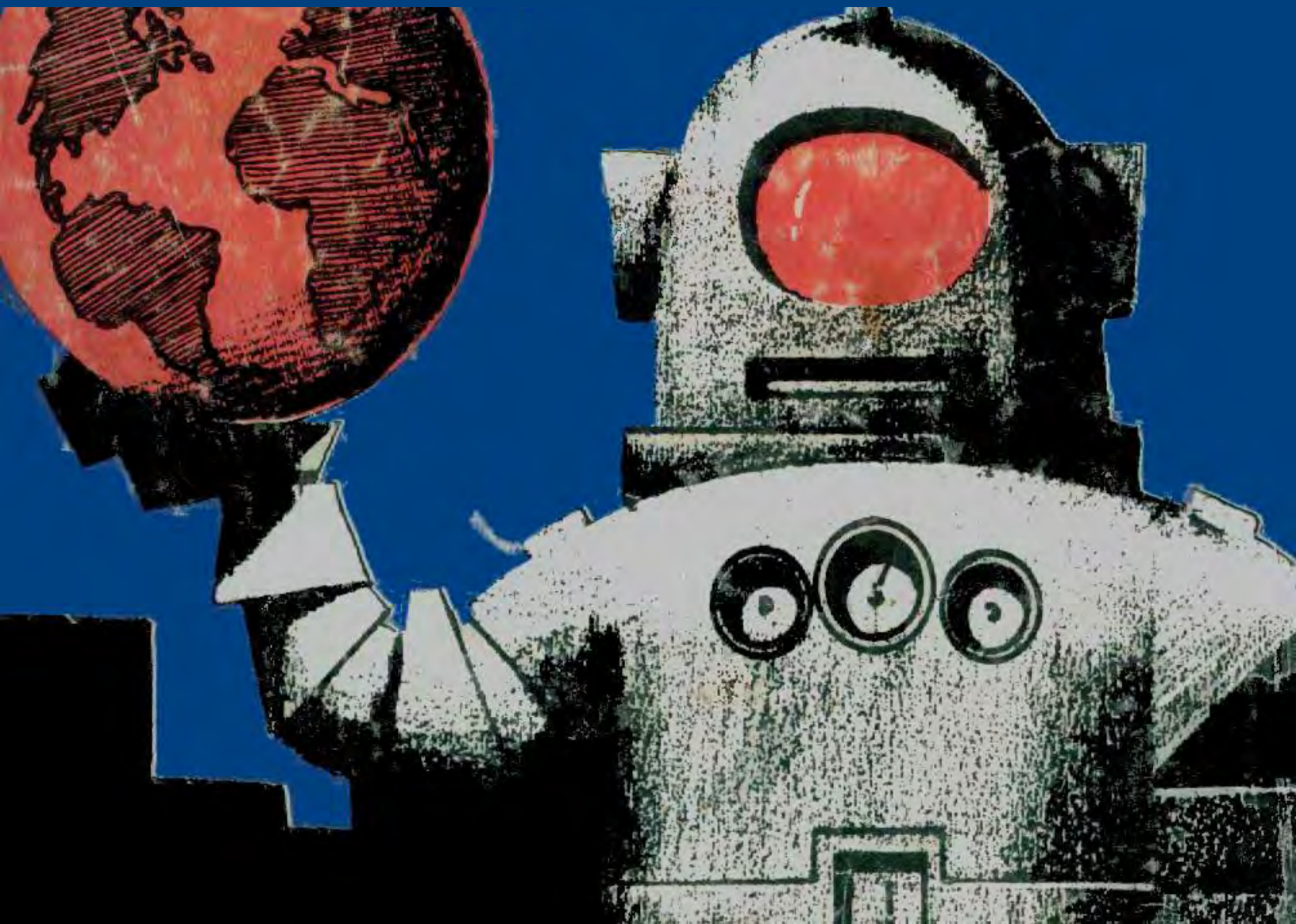


كتاب اليوم

يصدر عن مؤسسة إخبار اليوم

نهاد شريف

رجل «ياموك»



ثقافة اليوم وطى يوم
يصدر عن مؤسسة أخبار اليوم

كتاب اليوم

رئيس مجلس الإدارة :

على أمين

رئيس التحرير :

دكتور قاسم فرحات

نائب رئيس التحرير :

أمين محمد عدلى
عبد العزيز عبد العليم

العدد ٨٧

ديسمبر ١٩٧٤

ذو القعدة ١٣٩٤

الإدارة : دار أخبار اليوم ٦ شارع
الصحافة ب ٧٧٧٧٧ بنة خطوط

الاشتراكات

المجموعة الأولى ١,٥٠٠ ج.م.٢٠٠٤ واتحاد البريد العربى والأفريقى

البريد العربى

المجموعة الثانية ٢,٣٠٠ باقى دول العالم ..

المجموعة الأولى ٢,٣٠٠ ج.م.٢٠٠٤ اتحاد البريد العربى والأفريقى

البريد الجوى

المجموعة الثانية ٥,٣٠٠ باقى دول العالم ..

ترسل القيمة إلى الاشتراكات ٣ (١) شارع الصحافة بالقاهرة ٧٧٧٧٧/٧٧٨٦٠

الغلاف بريشة الفنان :

حسين بيكار

الرسوم الداخلية :

محمود مصطفى

الإشراف الفني :

سعيد عارف

إهداء

انها نافذة .. طاقة .. كوة .. أقف خلفها مبهورا .. مبهورا ..
ثقب باب اتلصص من ورائه في وجل وأنا ارتجف كورقة شجر يحملها
أعصار ..

كثرة رمل تتقاذفها فوهة بركان ..
انها رؤى تزلزل كياني .. تعنصر خلاياي وتمنص روحي ..
أى تطور مذهل ذلك الذى نحن مقبلون عليه .. ننزلق فى طريقه
الغامض ..

لقد وعت مفاهيمنا .. عقولنا المقيدة بأغلال بدائيتنا .. أحاسيسنا
العاجزة .. وعت القفزة من عجلة رمسيس الحربية الى الصواريخ ، أطلس
وتيتان وساترن وبولاريس وجوبيتر وسام وهوك وسى كات وسبارو وغيرها ..
ولكن .. ماذا بعد كل الذى ذكرت ؟

ماذا بعد نقل الصوت لاسلكيا والصورة تليفزيونيا .. ماذا بعد تفجير
الذرة .. ماذا بعد الصواريخ عابرة القارات وأقمار التجسس وأشعة الليزر
.. بعد نقل الكلى والقلوب .. بعد الحوامة والغواصة والهليكوبتر ..
بعد ثورة العقول الالكترونية ..

ماذا بعد نزول الانسان على القمر ؟
ان العلم يقفز الآن قفزات متلاحقة بالغة السرعة بالغة التجاوب ..
وحساب تطوره أصبح يقاس باليوم والساعة ، بعد أن كان مقياسه القرن
والحقبة ..

وقد اختفت العبقريات الفردية .. وحلت محلها الافكار الجماعية والعقول
الآلية .. كما ربط اللاسلكى والاقمار وشبكات المواصلات المختلفة سكان
كوكبنا .. بالخبر الواحد والشعور الواحد والانفعال الواحد .. وان
تأخر جمعهم تحت راية تقدم واحدة ..

ثم .. هل العلم نعمة .. أم نقمة ؟
فى يد الحاكم النزيه نعمة .. رفعة للشعب وحيرو غير للبلد وازدهار
للمدنية ..

وفى يد تاجر الحرب ثقمة .. استعباد للانسانية ودمار وخراب على
الشعوب الآمنة يؤخر المدنية ويسحق الحضارة ..

فاين الحكمة وسط كل ذلك ولن الغلبة .. للتجار الشرهين الجشعين
أم لرواد الحرية ..

وما هي معالم الطريق .. طريق وجودنا .. والغاية من حولنا مظلمة
.. كيئبة .. موحشة ..

وكيف تكون الرحلة .. صورة الرحلة عبر طريق وجودنا .. طموحنا
.. أهى طويلة شاقة .. وهل تكتنفها المخاطر دوما .. أم انها عطرة
مزهرة .. سعيدة الخاتمة ..

ان هذا .. أو بعضه .. هو ما أحاول تلمسه بين صفحات كتابي ..
ويبقى شيء ..

عاطفة جياشة .. واعزاز واكبار ازاء مجد تليد عبر العصور لنا ..
لمصر .. وأمل كبير .. ويقين أكبر .. وثقة لا حد لها فى واقع ملموس
بدأناه بايدينا .. دون تدخل من أجنبي .. صرح شامخ نشيده بعرقنا
ودمائنا .. ولسة الحنان الكامنة فى أعماقنا ..

على أن كلمة قلقة متوجسة تغص حلقى ..

هل الفناء الذرى على الابواب ؟

الى البعض .. وهم قلة .. بأنحاء العالم يعدون على الاصابع ..
بأنحاء العالم هم غير منحازين وغير مقيدين .. سوى بضمايرهم ..
هم قلة .. وهم أعظم قوة .. لان الحق الى جانبهم ..
الى هؤلاء الملاذ الوحيد ..

والى المؤمنين بهم .. الى كل من يقف الى جانب الانسان .. لا ضده ..
استل قلمى .. قلمى .. صغيرا مترددا .. يناسبنى ..
انه قلمكم ..

انه صدئ .. همسات أو صيحات تحذيركم .. من اجل السلام على
هوكبنا .. الارض ..

نهاد شريف

حذار أنه قادم ..

لا أدري ما الذى أثاره على فجأة حينما سألته ذلك السؤال العابر .. بل كاد يلطمنى بجهاز لحام الكهرباء فى وجهى فيحطم نصفه حتماً وهو يزأر من جوفه بصوته الحاد المحتاج الى اعادة صقله ..

- لا تكرر هراءك مرة أخرى .. لا تكرر ..

ثم أولانى ظهره العريض المرصع بمجموعة من أضرار السمع والحساسية فى حركة ساخطة ومد زراعيه الخليطين ليعاود لحام فتوء فى السيارة الصاروخية الرابضة قبالة ..

لكنى كررت الهراء : ألم أخلق مثل بقية المخلوقات ؟

- بلى ..

- ألسنت كائنا يتحرك ويتزود بالطاقة ليعمل وينتج ؟

قال الصوت الخارج من جوفه : هذا هو الحاصل بالفعل ..

- وأنا لم أوجد الا منذ عام فحسب ؟

- انه لكذلك ..

- اذن .. لماذا لم تكن لى طفولة مثل بقية الكائنات الارضية

.. الاخرى .. لماذا حملت أعباء الدنيا من أول دبيب لى على

ارضها ؟

توقف أبى .. صانعى .. عن حركته الآلية واستدار نحوى

فى غضب أهوج مريع .. واقترب من وجهى وكل ثنية فى مفاصله

المعدنية تهتز وتصطك ببعضها البعض .. وانطلق شريط معلوماته

يجمع رداً قاسياً ليرمينى به دون رحمة ..

- لانك لست مثلهم .. لست على شاكلتهم .. فأنت كائن متفوق

سام .. من نسل الآلهة أرباب العقول الالكترونية المفكرة ..

على أنى أصررت : كل هذا لا يمنع أن تكون لى طفولتى ..
قان : مسنحين .. لان تكوينك مختلف أيضا .. ولا بد أن
توجد فى الدنيا دفعة واحدة .. متحفزا .. مستعدا لان تعمل ..
وهذه هى ذرا النضج والكمال ..
- ما قيمة الكمال اذا كنت مرغما على شحن بطاريتى الذرية
مرة كل عام حتى أضمن بقائى .. ما قيمة الكمال ان أنا خالفت
الطبيعة ..

- الاقوياء يتحدون الطبيعة .. يقهرونها ..
قلت مكابرا : بل أوتر الانطلاق مع الطبيعة لا ضدها ..
- أخرق .. ثم ألا تعرف أن وجودك ذاته فيه تطوير للطبيعة
وارتقاء بها ..

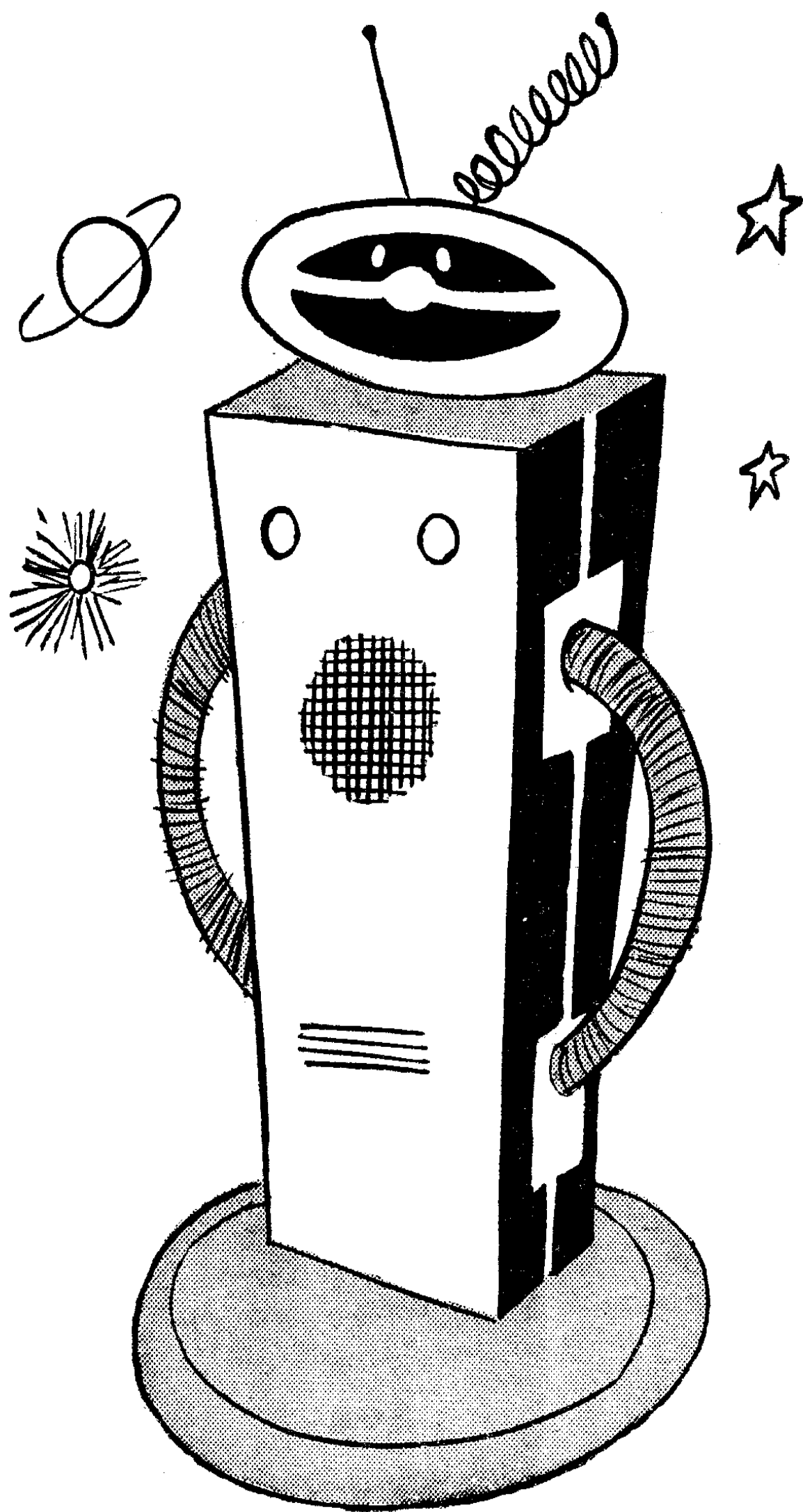
- أنا ألعن يوم وجدت ..
- مجنون .. أغرب عن وجهى .. بعيدا .. بعيدا ..
وأردف صيحته بركلة من قدمه اليسرى أطاحت بى خارجا ..
ألقت بى عبر السياج الى الخربة المليئة بأكوام القمامة من بقايا
علب الصفيح وشقف الزنك والنحاس .. وبرادة الحديد والمعادن
الآخري .. ولكنى تحاملت .. فوقفت .. وانطلقت من فورى الى
طرف المدينة الغربى .. حيث توجد غابة المتوحشين العفنة ..
وحيث توجد « سوها » .

بدفعة محمومة سرى تأجبها فى أدق توصيلات شبكتى الالكترونية
نبض ذلك الشئ الغامض الذى ثبتوه فى مؤخرة رأسى المربع منذ
شهرين .. وصرخ فى أعماقى .. وبلا ارادة منى دفع بى حثيثا
للانطلاق فى قوة القذيفة الجامحة عبر الطريق الاسفلتى ..

والطريق الاسفلتى يقع على حافة المدينة السكنية للمهندسين
والنى تعد آخر معاقل الآلهة غربا .. ويقود الى منحدر صخري
تجثم قبالة .. الغابة .. كثيفة متشابكة بأشجارها .. تبدو
للعيان كسد قاتم .. مخيف .. من التيه والروائح الكريهة ..

والطريق عريض .. له سياج على جانبيه يحد نهره عما يحيطه
من تلال وأكام غير ممهدة .. ولما كان انشاؤه يرجع الى زمن قديم
لا يمكن تحديده .. لهذا فقد هجر .. فهو لا يقاس بنوعية طرقنا
الحالية .. المعلقة .. والمتحركة .. والجوفية فى باطن الارض
أو تحت سطح المياه .

وأنا لم أعود السير على الطرق الاسفلتية .. فهى بدائية ..
مزعجة ..



وأنا لم أهد محموما هكذا من قبل .. فطائرتي العمودية هي
قدمي السريعتان ..

ولكن الشيء الموضوع في علبة المتلألئة والمثبت في مؤخرة
رأسى بث خرافه اللافتة في أنحائي .. في أعماق أعماقي ..
فأخرجني عن طوري .. أفقدني إدراكي .. شئت معلوماتي
المختزنة وأفقدتها قيمتها .. شوش على شريط عقلي وخبراتي ..
هذا الشيء المريع فيما ينتج عنه من آثار على صغر حجمه ..
هذا القاسي في تحكمه وسيطرته على كافة تصرفاتي .. ترى على
الغرض الحقيقي من تثبيته في مؤخرة رأسى ؟ وفي خفية من القوم ؟
اسمع .. تعال .. ارقد هنا .. لا ليس هكذا .. بل على
وجهك ..

وتقدم الآخر .. مرافق أبى .. رفع مثقاب الليزر بيده ذات
الاصبعين وأحدث به تلك الفجوة في قفائي .. مؤخرة رأسى ..
وكطبيعة جنسى السامى لم يصبنى أحداث الفجوة بضر .. حتى
ثبت مرافق أبى العلبة المتلألئة وبداخلها الشيء في الفجوة ..
وأجرى بعض التوصيلات بينها وبين شبكتي الالكترونية .. وحينئذ
.. ماذا أقول ، كيف أعبر ..

لقد ردد شريطي المتكلم نغمة أجشة .. بشعة .. جديدة على
ذاكرتي ..
« أه .. أه .. »

ومضت خلايا أبى ومرافقه الضوئية .. وامتز بدنامها
فاصطكت أجزاءهما ..
هل تحسن لما .. أعني .. ما الذى حدث ؟
.. انه .. ان الشيء الذى وضعته .. يدفع فى أعماقي قوة
لهريرة ..

توقف مرافق أبى عن الكلام .. أطفأ مثقاب الليزر ثم أولانى
ظهره وعاد يتطلع بخلاياه الضوئية من خلال الفرجة فى أستار
النافذة ربما للمرة العشرين .. وتبعه أبى .. وتهامسا طويلا ..
وحين استدارا نحوى كانت جبهتهما تطفحان بالاضواء القرمزية
المتباينة النانجة عن تالق كامل لخلاياهما العقلية ..



اقترب مرافق أبى من مرقدى وأوما الى بطريقة ذات مغزى :
لأنك أصبحت « تحسن » ..

- ماذا ؟ ..

نعم أبى : لا تقاطعه .. فقط انتبه لما يقول .. بينما تابع
الآخر : انت أول مخلوق سام .. من نسل الآلهة .. يمتلك شيئاً
جديداً لم يحصل على مثيله أحد سواه .. انك أول من يمتلك
الاحساس ..

اعترضت : وما معنى كلمة الاحساس هذه ؟

- لا أدري .. لا أدري .. سوف تعرفه .. سوف تنعم به
ونجى الكثير من ورائه .. هكذا قرأت فى سجلات الاقدمين كما
قرأ عنه بعض العلماء سوى .. وان حرم مجلسنا الحاكم محاولة
استخدامه ..

- ولماذا يحرم استخدام ...

عاد أبى الى ضغطه على : اصمت .. ليس هذا من شأنك ..
غادرا الحجرة ليتركاني وحدي مع الشيء الغامض فى مؤخرة
رأسي .. اتجهت أفكاري - لأول مرة منذ تم تصنيعي ومجيني الى
كوكب الارض - وجهه مغايرة لمعايير عقلي ذى الثمانية عيارات
خلية اشعاعية .. ان كلمات أبى المتسلطة منطقية ..

فلا بد أن أبحث .. وأستفسر .. وأفكر .. لان الامر من صميم
شغوبى وخصوصياتى .

اجل .. لامفر من ذهابي فورا الى المكتبة الاهلية لاقتحم بوسيلة ما
تلك القاعة السرية ذات المنفذ المغناطيسى المسحور والتي لا يؤمها
سوى العلماء من حاملى الشارات الحمراء المطرزة باطار ذهبي
على شكل زهور اللوتس .. وحتى أطلع على محتويات القاعة
السرية من سجلات ومجلدات بالغة الخطورة .. وذهبت ..
تسللت فى حماية شارة حمراء صرعت صاحبها .

حين بلغت القاعة تملكتنى الحيرة .. من أين أبدأ .. ما العمل
وسط كل هذا التيه من الصفوف والاكوام من سجلات وأشرطة
تسجيل وبطاقات مايكرو وأقلام تأريخ مجسمة .. وغيرها ..

لكننى على أى حال بدأت .. غرقت الى قمة رأسي .. غرقت
وضعت .. فقد استوعبت من خلال قراءتى حقائق مرة شديدة
الفسوة .

غير أن الذى قضى على .. حرك الشيء فى مؤخرة رأسي ففجئ
طاقته القصوى تدمر قدراتى الالكترونية الذاتية .. كان مخطوطاً
قديماً كتب بطريقة الآلة الكاتبة التى بطل استعمالها .

صعقنى قول المخطوط بأن أجدادنا القدامى .. أجدادنا الساميين .
من نسل الآلهة أرباب العقول الالكترونية المفكرة .. انما كانوا فى
المبدأ من ابتكار وصنع القوم الحثالة .. المتوحشين ..

وقرأت بالمخطوط حقائق أخرى عديدة .. باللغة الغرابة باللغة
الاثارة ..

اذن فتقويم « الفناء الذرى » تقويم مختلق .. أو هو على الاقل
ليس الأساس فى تدوين التقاويم والحسابات الفلكية والارضية
المعروفة لدينا .

كنت أظن أن التوقيت بيوم « الفناء الذرى » هو التقويم الوحيد
الذى عرفته كائنات الارض .. ولكنى قرأت أنه كانت هناك أنواع
أخرى سابقة من التقاويم أبرزها التقويمين الميلادى والهجرى ..
وقرأت أيضا أن أصل الانسان الآلى فيما قبل ١٨٠٠ عام مضت
كان ثمرة جهد المخلوقات المتوحشة المعروفة بالبشر أبناء آدم
وحواء .. ان الكائن المتفوق .. الاله .. جدنا الاول فى سلسلة
تطورنا الابتكارى .. الصناعى كان منشأه أحد انجازات البشر
المدمشة .

يا لأساى ..

يا لضعة نشأتى ..

يا لحقارة منبعى على أيدي هؤلاء المتوحشين البدائيين .

أما أبى .. صانعى المتزمت .. وليى المتحجر الوجدان ..
فقد عرفت سبب ضغطه لقتل تساؤلاتى .. وتحطيم شكى
واعتراضاتى .

عرفت انه وذلك الآخر المرافق له انما يجريان تجاربهما فى
الخفاء بغية محاكاة تكوين المخلوقات المتوحشة فى شخصى ..
فان أفراد جنسنا السامى يماثلون المتوحشين ويحاكونهم فى أغلب
مواصفات تكوينهم المظهرى فيما عدا بضع نواح لعل أهمها افتقار
العواطف والاحاسيس ..

أما الروح .. فهى كلمة غريبة .. لم ترد فى قواميس الآلهة
وليس لها أى مدلول لدى .. لذا فأنا لن أتعرض لها لاننى أجهل
فكرتها .. وان تطاير الى سمعى أكثر من مرة أن المتوحشين
ينسبون لها مغادرتها لاجساد موتاهم .

وعرفت أن المتوحشين كانت لهم حضارة عظيمة راقية .. بل
العديد من الحضارات المزدهرة ..

المتوحشون هم أصل العلم وتطوراته ومنجزاته المذهلة ..
وأصل كل ما كان فى الأزمنة الغابرة حضارى .. وراقى ..
ومتمدين ..

وكانوا يؤمنون بشيء بالغ القدسية والرفعة لديهم .. يسمونه
الدين ..
لكنهم اختلفوا .. تنافسوا فاختلفوا فيما بينهم .. فتقاتلوا
فى ضراوة ..

وكانت الانفجارات النووية التى سادت أرضهم وكان الفناء
الذرى الرهيب الذى دمر حضاراتهم .. قتل الملايين من أفرادهم
وشرد الناجين تلاحقهم لعنات أشعة جاما وألفا وبيتا وما يصاحبها
من أنواع الحروق والأمراض والعلل والتشوهات ..

وبرزنا نحن .. من العدم .. أسف .. من نبت أفكارهم السابقة ..
ساد كوكب الأرض جنسنا الآلى .. المتفوق .. الذى يعمل
وينتج وفق أرقى وأدق وأضبط النظم والقوانين الكونية ..
الانسان الآلى الذى يتزود بالطاقة مرة كل عام بشحن بطاريته
الذرية لدى المفاعل النووى بمركز الطاقة القومى بأساحة الشعبىة
المزدانة بالاعلام .. فلا وقت لديه للأكل والنوم وإفراز الفضلات
.. ولكنه يفتقد العواطف والاحاسيس ..

ان بنى جنسنا بدون العاطفة يتسلطون فى المرتبة مع الجماد ..
وان تحركوا .. وفكروا .. اننا بلا حس أو شعور نسير فى
طريقه الوجود بلا وجود ..

ووصلت فى رحلتى المحمومة الى نهاية الطريق الاسفلتى ..
توقفت برهة أسفل المنحدر الصخرى قبل أن أُلج الغابة ..
فقد لمحت بحلاياى الضوئية ظلال أجسادهم النحيله تجمد بامتداد
الاعصان .. ولمحت عدساتهم تبرق فى وجل .. تلك التى تكمن
متحفزة على الدوام ترقب أقل بادرة تأتى من الشرق .. من اتجاه
مدينتنا السكنية ..

ثم التقطت خلاياى السمعية نسائم الغابة المتربة تردد ما يشبه
العواء .. عواءهم .. رفيفا .. يسرى كالكهرباء .. وجرنى
سمعى الى لمحة من التخيل دخييلة على .. بدا أن نوعا من
من الاحساس يعترينى ..

فقد تصورت أنوفهم المعقوصة القانية تسرع بتشمم عبير القادم
الغريب .. فلما تبينوا فى صديق « سوها » صديقهم .. تعالت

مهمات الرضا من أنوفهم ولم تتعال صيحات الفرار والحرب من أفواههم .

« حذار .. حذار .. انه قادم .. أفسحوا له الطريق .. »
وبين صفين من الوجوه الكالحة والاجساد الضامرة الملساء المشوه بعضها بأنواع متوارثة من الحروق والاكزيما ، لهتت قدماى تستعجلان هدفهما الى حفرتها ..

ومن أسفل الحفرة برزت « سوها » ..
واسعة العينين .. دقيقة الانف والفم ..
لدنه .. ناعمة البشرة .. على الرغم من قذارة قدميها الحافيتين .
ينسكب شعرها الفاحم على كتفيها العاريتين فى حلاوة الابدية ..
يشرئب نهذاها من خلال خصلات شعرها .. شهيان .. سرحان ..
جلست الكائنة الرقيقة قبالتى على جذع شجرة .. مدت ساقيها البضتين .. المليئتين بتلك الخلايا البالغة الطراوة .. ووددت لو مددت أصابعى الجافة أتحنس طراوتهما .

قلت جادا : لن أعود اليهم ..
كلمتنى بلغة قومها التى أفهمها : أهو أبوك مرة أخرى ؟
- لقد سئمت خداعهم .. سئمت وجودهم الزائف المرسومة أبعادهم بدقة تثير الغثيان .. لذا فلن أعود للعيش بينهم ثانية ..

- الى أين ستذهب ؟
- سأبقى هنا ..
- أين !!
- معك .. بجوارك أنت ..
- كيف ؟
- سأرتبط بك .. سأبقى فى حفرتك ..
- تعنى نتزوج ..
- هى الكلمة ..
- ولكن غير ممكن .. مستحيل .. فأنت ..
- انتفضت : أنا ماذا ؟
- أنت لست على شاكلتنا .. تكوينك مغاير لتكوينى ..
- أنا ماذا ؟
- أنت .. أنت اله من نسل اله من نسل الآلهة المتسيدة ..
أما نحن .. فأننا حيوانات ..
- بل أنتم أحياء .. مخلوقات حية .. أما نحن فجماد ..
هكذا أخبرتنى مجلداتنا القديمة ..

- لا تبتئس ..

- أنا جماد .. أنا جماد ..

- أنت اله .. طيب ..

- أنا جماد .. أنا جماد ..

وتركتها .. استدرت وابتعدت وأنا أردد القول فى مرارة بأنى
جماد .. مهما ثبتوا فى مؤخرة رأسى من عواطف وأحاسيس
ومشاعر رخيلة على عالمى وتكوينى فأننى سأظل فى نظر الطبيعة ..
فى مرآة النظام الكونى .. فى حقيقة تفكيرى الفاحص المدقق ..
مجرد جماد .. راحت قدماى تتعثران وأنا فى طريق أوبتى عبر
دروب الغابة الضيقة .

انى راحل .. ولن أعود اليك أبدا يا .. سوها ..

وتباطأت خطاى .. ثقل بدنى فأحسست بوطأة معدنه الثقيل
البارد .

- انتظر ..

لم أسمع الصيحة الرشيعة فى المبدأ حتى كررتها عدة أفواه من
ورائى ..

- انتظر .. انتظر ..

حملقت مغتاظا : ما الذى تريدونه منى ؟

- شيخنا قادم لحادثتك ..

لوحت بقبضتى عاليا : اغربوا عن وجهى .. اتركونى وحالى
.. ماذا تريدون .. اننى لست منكم .. لست من مادتكم .. لست
ندا لخفتكم ..

- سموك فى حاجة الينا ..

أطلقت قهقهة متحشجة من فرط غيظى .. صمت .. وجمت يأسا
.. وعدت أحملق .. فرأيت الشيخ العجوز ينتصب قبالتى ولحيته
البيضاء تغطى صدره العارى حتى سرتة .

- ماذا تريد ؟

قال : بل سموك الذى تريد .. ورغبتك البقاء بيننا ..

تساءلت فى وقاحة نادرا ما يلجأ اليها شريطى المتكلم : ما الذى
فى مقدورك أن تفعله ؟

- لتهدأ سموك أولا .. ولنتفاهم .. أرى أنك ناقم على بنى

جنسك .. وانك راغب فى النأى عنهم ..

- تماما ..

- لكن ألا ترى سموك .. ان بقاءك معنا فيه خطر عليك وعلينا
فى نفس الوقت ..

- تعنى احتياج بدنى لتجديد شحن بطاريته الذرية كل عام ..
لقد جددت شحنها لآخر مرة منذ أسبوعين ..

انحنى الشيخ قبالتى فى أدب يستغرب من أحد المتوحشين ..
وتمتم والكأبة تملأ تغضنات وجهه البادى الذكاء لدهشتى : ان
بنى جنسك لن يقبوا هربك الى غابتنا .. ثم هم لن يغفروا بالتالى
تشجيعنا وايواءنا لك .. صدقنى .. سوف يصبون علينا نقمتهم
التي لا تقاوم ..

اضطرب شريط معلوماتى .. اهتزت أبره ذات الرؤوس البللورية ..
- أرايت .. لا يوجد حل .. اذن فدعونى وشأنى ..
همس الشيخ فى كثير مودة : بل هناك منفذ .. فقط لا مهرب
من التضحية ..

وعرفت ذلك المنفذ .. عرفت مطلبه الرهيب ..
لكن الاختيار بين رفض مطلبه وتنفيذه لم يكن صعبا على ..
لم يكن بشعا ..
أجل انه المنفذ الوحيد حقا على قسوته ..

تطلعت اليهم طويلا .. حدقت بخلاياى الضوئية فى وجوههم
القلقة الملتفة حولى ..

لم تكن نظرتى جامدة هذه المرة .. تحرك ذلك الشئ فى مؤخرة
رأسى فربط بينى وبينهم .. أزال نفورى وتقزضى وزاد قربى منهم
.. كم هو ممتع ذلك الاحساس الذى يغمرنى .. يدغدغ ثناياى
.. بنوره الذى لا يقاوم .. ولوحت لهم بكلتا يدى .. وقد بدا
بين وجوههم وجه « سوها » ..

وفى ببطء تحركت .. ربما اعترتنى لحظة من التردد ونظرات
« سوها » تودعنى .. لكنى تماسكت .. تقدمت مبتعدا عنهم
تشيعنى مهماتهم بما يسمونه .. الدعاء ..

وغادرت الغابة أخيرا .. وروائح ثمارها ماتزال عالقة بى ..
وكانت وجهتى الاكيدة المفاعل الذرى .. الضخم .. الذى يمد
قوى بطاقة بقائهم .. وقد انطوت تحت ابطى بعد حين لفافة
تحوى عبوة ناسفة شديدة الانفجار ..

لكى يختفى الجراد ..

انشقت السحب المتراكمة بعرض السماء عن مجموعة من الجراد راحت تقترب فى اصرار غريب من القرية الراضية فى أسفل .. والتي يحدها شرقا مجرى نهر فضى .. فى حين تحيط مشارفها الغربية بضع مداخن عالية .. تبرز من ثلاثة مصانع ضخمة تتراعى وراءها صحراء شاسعة لا يدرك البصر نهاية لها ..

زاد اقتراب مجموعة الجراد .. وبدأ يتضح لها أزيز مكتوم مكر صفو السكون المتسربل بأولى لمسات الفجر الرطيب .. وكبر حجم الجراد أكثر .. وسقطت عليه خيوط متسللة من ضوء مبهم فان الشمس لم يظهر قرصها بعد من خلف الجبال السامقة فى أقصى الشرق ..

وبغثة سمع نعيم متقطع .. يرن صداه خافتا مترددا وسط بيوت القرية .. التى عراها هرج كبير لمقدم الطائرات العمودية وقد زاد عددها عن الستين من حاملات الجنود ذاكنة اللون .. وبالفعل انطلقت عدة صواريخ طائشة فى اتجاه الطائرات .. وقد علا الآن هدير محركاتها العوية يحسم الاذان ويعتصر تفريغ الهواء المتسبب عنها قمم الاشجار ..

لكن المقاومة الارضية لم تعمر طويلا .. فسرعان ما غلبت على أمرها ازاء القصف الجوى المركز .. وأمام الاعداد الوفيرة من الجند الذين تدفقوا هابطين بعدة الميدان كاملة .. ليستولوا على اهم المرافق والدور .. ويحيطوا بالقرية من جميع الجهات احاطة حديدية ..

وكما جرى قبلا مع سكان القرى المنتشرة جنوبا .. لمسافات شاسعة .. حيث قدم من اتجاهها الغزو المشؤم .. فقد تم هذه

المرّة أيضا حصر الاحياء المتبقين من الاهالى .. وجمعهم كلهم تحت الحراسة القوية ليملاؤا - وقوفا - نصف الميدان الرئيسى بالقرية .. وهم يشكلون مثلثا متساوى الاضلاع .. ترتكز قاعدته فى الميدان .. وتخرج قمته فى اتجاه أحد الشوارع الجانبية العريضة .. وفيما وراء قمة المثلث البشرى .. قامت شلة من الجند تثبت فى أرضية الشارع لوحا عاليا .. من رقائق تشسبه الحصب .. طلى بمادة لامعة لها رائحة السكر المحروق النفاذة .. بينما اصطف فى مواجهة قاعدة المثلث البشرى بالجانب الاخر من الميدان .. طابوران كاملان من الجند ذوى الارضية البرتقالية السمكية والمدججين بالمدافع قاذفة أشعة الليزر الساحقة .. وقد جمدت قسماتهم وهم على أهبة الاستعداد ..

دخلت الميدان سيارة جيب مقفلة .. راحت تتقدم من طابورى الجند الذين سارعوا يفسحون لها مكانا فى منتصف طابورهم الامامى .. ووقفت السيارة فى الرقعة المعدة لها .. وفتح ظهرها المقابل لاهل القرية فى وقفتهم الساخطة المتذمرة .. وأخرج جهاز صغير يشبه تليفزيونا من ذوى الحجم ثلاث وعشرين بوصة وان استبدلت شاشته البانورامية بفوهة قمع مستطيلة برزت أماما وقد ملأتها عدسة عملاقة لا يقل قطرها عن نصف من الامتار وهى ذات بعد بؤرى كبير فى الوقت الذى يرتكز فيه الجهاز على عجلات مطاطية ثلاث .. ثم تقدم ثمانية من كبار الضباط لينتصبوا على يسار الجهاز فى اعتداد وعيونهم مشرّبة الى أعلى ..

اخيرا .. استدارت الطائرة العمودية المتبقية وحدها معلقة فى الجو .. والتى ينطبع على كل من جانبيها شعار يمثل أفعى سوداء تقذف لها من جوفها لتأخذ فى الهبوط ويبدأ وكأنها ندفة قطن يحتضنها الهواء حتى استقرت فى قلب الميدان تماما ..

وبرز من جوف الطائرة ضابط قصير مكتنز البدن يضع على عينيه عوينات قاتمة بينما تزين قبعته وكعفيه شرائط ذهبية عريضة .. وتوقف الضابط الذى بدا عليه من الوهلة الاولى أنه القائد الاعلى للغزاة توقف برهة يجيل بصره فى الجموع المترصة بأنحاء الميدان قبل أن يتقدم صوب الجهاز المحاط بجنده وضباطه فى مشية متندة باردة ملئت بالصلف والكبرياء ..

وسكنت قدما القائد عند يمين الجهاز ..

لكن تعالت من بين جموع الاهالى أصوات حنقى مشاغبة ..
وحاول أربعة أو خمسة منهم التحرك خارج نطاق المثلث المجبرين
على تكوينه بأجسادهم فلاقوا حتفهم بطلقات النيزر على الفور ..
وتفحمت أجسادهم فى لحظات .. على أن عين القائد لم تطرف
للشغب ولم تتحرك فى وجهه عضلة واحدة .. وحين شمل الصمت
والهدوء الميدان مرة أخرى ركز القائد حدقتيه من خلف العوينات
على الجهاز القابع بجواره يتفحص أجزائه ثم مال قليلا نحو أقرب
الضباط اليه وهمس له من بين شفثيه المغلقتين :

- أكل شيء على ما يرام ؟

أجاب الضابط ووجهه فى صلابة الرخام : أجل يا سيدى ..

- وهل الجهاز معد ؟

- اننا رهن اشارتك ..

اشرب القائد بقدميه وحافة قبعته تطاول السماء ونطق وجفناه

مرخيان ..

- .. اننا الشعب المختار .. الذى يؤمن بعقيدة واحدة ومبدأ

واحد وأمة واحدة تسود العالم تحت حكمنا .. ومن خرج عن

تعاليمنا ليس منا .. ويجب أن يقضى عليه .. وأنتم فى هذه

اللحظة هؤلاء الحمقى المارقون .. السلوبة عقولهم بخرافة تاريخكم

وأصل وجودكم .. هانحن قد جئنا لنحرركم .. لنمنحكم الفرصة

الوحيدة الباقية لكم لتعودوا الى حظيرتنا فتجنوا البقاء ..

وسيتولى تقويمكم الشعاع المقدس باعث الوجود الجديد ..

وباعث الكيان الامثل لابدانكم والفكر الاطهر لعقولكم .. انا

نستطيع اليوم أن نوكد لكم اننا .. الشعب المختار .. على مدى

خطوات قليلة من هدفنا العظيم .. ولم تبق الا مسافة قصيرة حتى

نتم الافعى الرمزية - شعار شعبنا - دورتها .. وحينما تغلق

الدائرة ستكون كافة بلادكم ومدنكم وقراكم محصورة داخلها بأغلال

لا تنكسر ...

وابتسم القائد الاعلى بركن وجنته المحمرة من الافراط فى

تناول الخمر ابتسامة صفراء عبرت عن باطنه المهتز .. وببطء خلع

قفاز يمينه ليمسكه بيده ويطرقه طرقتين ملولتين على راحة يده

اليسرى .. ثم فجأة رفعه فى ايماءة حاقدة أعطى بها اشارة البدء ..

فانساب من فوهة العدسة بمقدم الجهاز ضوء باهر غطت أشعته

الارجوانية المختلطة بأولن قوس قزح على ضياء الصبح الوليد ..

وبدت من خلال الاشعة دخنة لها قوام الضباب زحفت فى مواجهة
الاهالى المحاصرين وانتشرت بينهم ٠٠ ثم سرعان ما لفتهم بداخلها
حتى غطتهم كلية ٠٠ على أن الامر لم يستمر لأكثر من دقائق أربع
أقفل الجهاز بعدها ٠٠ وفى نعومة مثيرة راحت سحابة الضباب
تنقشع سحلفة وراءها الذين احتوتهم من قبل وقد بدوا مجرد هامات
مجمدة عابسة يغرقها تيه من الذهول الغامض الذى يثير الشك ٠٠

وساد السكون برهة كأنها الدهر ٠٠

فى حين أطلق القائد اهة ارتياح عميقة وقد بان عليه النصب
والاعياء فقد أدى فى التو واحدة من أثقل المهام التى أقيت على
عاتقه مؤخرًا ٠٠

- لقد بلغت السابعة ؟

- بالضبط يا سيدى ٠٠

وقطب القائد جبينه مفكرا : الجو اليوم حار ٠٠ اذن فدعوهم فى
مكانهم خلال الساعات العشر المعهودة دون اقامة الاستار الواقية
حولهم ٠٠

- حسنا يا سيدى ٠٠

ألقى القائد نظرة أخيرة على الاهالى وقد بدأوا فى افتراش
الارض جماعات وكأن سيقانهم لم تعد تقوى على حمل أجسامهم
قبل أن يترك الميدان ويتجه الى الطائرة فى خطوات عجلة هاربة ٠٠
فى حين بدأ الجنود فى الانصراف تباعا فى غير مبالاة حتى خلا
الميدان منهم ومن سياراتهم وأدواتهم فيما عدا جنديا واحدا ترك
لمراقبة الاهالى عن كثب وهم على حالتهم من القبلد والتوهان ٠٠



فى نفس اليوم وبعد مرور أقل من أربع ساعات على غزو
الطائرات العمودية للقريه سالفة الذكر ٠٠ وفى مكان يناهى عنها
شمالا بثلاثين ميلا من الجبال الوعرة وغابات أشجار المانجو
والليمون المغزاة بالمحاليل الكيميائية المتدفقة صناعيا خلال التربة
الجدياء ٠٠ كانت هناك أحداث أخرى لا تقل اثارة تدور فى الخفاء
وقد دمغها طابع من الجدية والتصميم ٠٠ فعبر واحد من الممرات
الجبلية التى يتوارث أسرارها أبناء المنطقة أبا عن جد راح نفر
من الرجال الفارعى القامة والمتدثرين بأردية بنية تميل الى الزرقة
ويحملون أسلحة قصيرة شديدة الفتك ٠٠ راحوا يطأون بنعالهم
المطاطية أرضية الممر الضيق المليئة بالحصى المدبب ويخوضون البرك

الاسنة المنتشرة بطوله حتى صدورهم وهم يتقدمون حثيثا فى صمت
وبلا أدنى صوت أو أقل بارقة من ضوء تنير لهم طريق سيرهم ..

كانوا ستة من المرده يتسللون عبر الظمة الضاربة فى الممر
الى غايتهم وكأنهم قطع متحركة من سوادها .. الى أن خرجوا
لوصح النهار حيث أشعة الشمس تعشى الابصار فوق سهول الذرة
المترامية الى ما لا نهاية ..

على أن الرجال لم يتقدموا خطوة واحدة وانما انبطح سبتهم
على الثرى المعشوشب يفحصون رقعة الارض الممتدة على مرمى
بصرهم وبها زراعات الذرة .. وخزان المياه .. ومجرى القطار
النفاث المعلق بعيدا .. وفيما وراءه مدينة الابحاث الزجاجية
وبجوارها مصنع قطع غيار البشر الذى افتتح منذ عامين ..
وأخرج أحدهم عدادا مستديرا أدار مفتاحا فى واجهته فأخذ ينز
بشدة وكأنه يوشك على التفتت الى أشلاء متناثرة ..

هتف الرجل بالمقدمة وهو يقيس بعينه المسافة بين مكنهم وبين
خزان المياه المهجور الذى يشمخ وسط عيدان الذرة ..

- ليس بعد .. انكم تسمعوننى معى يعطى انذارا بتسليط موجات
الرادار على منطقتنا .. فلننتظر حتى تنجاب الموجات .. وتبتعد ..

لم يجبه واحد منهم وانما ظلوا على صمتهم ساكتين مترقبين
وحين كف العداد عن الازيز على حين غرة وضع الرجل بالمقدمة
يده الثقيلة على كتف الرجل التالى له وتمتم : والآن أنت ..
تقدم ..

فانسل الرجل بين أعواد الذرة يطير بحمله من الاسلحة والذخائر
فى اتجاه خزان المياه الى أن شوهد خلال دقائق يتساق درجاته
المتأكلة ويختفى فى جوفه بخفة الهر .. وعاد العداد الى أزيزه
.. ثم صمت مرة أخرى لينفلت رجل ثان .. فرجل ثالث .. ورابع ..
حتى اختفى الرجال الستة بداخل الخزان وخيم السكون المطلق
على السهول والتلال والى ضفتى النهر الفضى المنساب رقيقا من
بعيد ..

فى قلب الجدران الخرسانية للخزان الضخم بدأ عقد الاجتماع
الشاذ بين تسعة زعماء يمثلون قطاعات مختلفة من فدائى
(الجبهة الحرة المكافحة حتى الفناء) فى حين جثم فدائى عاشر
فى القمة لمراقبة وعيناه تجولان فى حدة عيني الصقر .. ولم

يكونوا رجالا عاديين .. ولا كانوا بمرتزقة قتال أو ذوى طموح
سياسى وطلاب شهرة .. وانما هم من غلاة الثوار المفكرين ..
وكانت غايتهم الوحيدة منذ عقدوا العزم هى قهر الغزاة بأى ثمن
كان مهما غلا ومهما بعد مناله .. ولكن كيف السبيل ؟ انطلق صوت
الفدائى حامل المشعل الكهربائى يجلجل وهو يلوح بيده الطليقة
فى كثير من الحيرة .. وكثير من الغيظ ..

- أجل .. كيف نوقفهم عن التقدم عبر أراضينا وقرانا ..
ثم ولاهم .. كيف نوقفهم عن غزو عقولنا ؟

وقال فدائى يعبث فى قاذف اللهب فى حركة آلية : ذلك الجهاز
الجهيمى .. الذى يسلب العقل والارادة والشخصية حتى الذكريات
ويحولها الى شىء مغاير بالمرة .. انه يحصل عداوتنا وبغضنا
وتربصنا للعدو الى .. ماذا أقول .. انه يحولنا الى مجرد أناس
يسيرون فى ركب الغزاة وقد حسبناهم منا ومن أهلنا وشعبنا
وليسوا غرباء معتدين .. أثمين ..

واتضححت المرارة فى نبرات فدائى ثالث وهو يضيف : والغريب
أن الذى يسيطر عليهم الجهاز بمجرد أن يفيقوا يتقدمون للمسير
فى فلك الاعداء تلقائيا وقد نسوا كلية الحرب التى خاضوها معهم
منذ ساعات قلائل .. فإذا حان موعد غزو جديد اندفعوا بدورهم
يخوضونها جنبا الى جنب مع جند الاعداء ويسلطون نفس الجهاز
على أقاربهم وأبناء وطنهم السابقين وقد أصبحوا لا يعرفونهم ..

وقال فدائى رابع بخده جرح غائر : أرى أن الخطأ ناتج من
تقاعسنا نحن .. فالمعتدون هم المعتدون وانما اللوم كله يقع على
كاهنا وحدنا ..

تساءل الفدائى الاول فى نغمة غضبى : ولكننا بذلنا المستحيل !!
- الحقيقة انهم متقدمون عنا علميا فى نواح شتى .. متعددة ..
ومواردهم أضعاف مواردنا المحدودة بأرضنا .. فقدرتهم على
النسول بين الأمم الغنية معروفة ..

- بل هى مشكلة أزلية .. فمادام يوجد تفاوت فى الثروات
وتفاوت فى القوى الحربية .. فانه لن يكون هناك عدل دولى ..

وعاد الفدائى الاول يعترض بشدة : كل الذى تذكرون لا يبرر
غزوهم الغامض لأراضينا .. اننا يا رفاق فى القرن الواحد
والعشرين ولسنا بعد نعيش همجية القرون السالفة ..

وهب فدائى آخر لم يتكلم قبلاً فدنا من فتحة الخزان العليا المتسعة حيث يجثم الحارس وملاً رثتيه عميقاً بالهواء النقى ثم استدار اليهم ليقول فى صوت خافت أقرب الى الهمس ..

- صبرا يا رفاق .. لنفكر بهدوء ودون انفعال .. لقد جربنا منذ بدأ الغزو منذ أكثر من عام مضى أشياء عدة .. جربنا قتالهم بعنف وبلا هوادة ولكننا على الدوام عانينا من نقص الرجال من جراء ما يحولونه من شعبنا الى أناس مغايرين ينقلبون نقتالنا نحن .. وحاولنا أكثر من مرة تحطيم جهازهم المشع الذى يطلقون عليه « باعث الوجود الجديد » ولكنهم كانوا يسارعون دوماً بجيب أجهزة غيرها مع أن الواحد منها صعب الاعداد باهظ التكاليف .. ثم جربنا أخيراً ابطال مفعول جهازهم على عقول الذين سحرهم ولكن .. للأسف .. لقد فشلت كافة الادوية والعقاقير التى استعملناها معهم ..

- معنى ذلك اننا نسير فى طريق مسدود ؟

- وأن لا أمل فى وقفهم على الاطلاق ..

- بل هناك أمل على الدوام ..

التفت الكل الى مصدر الصوت الهادئ الآتى من ركن الخزان المعتم ومع انهم لم يتبينوا فى العممة سوى الانف الحاد المبحى لأسفل فقد عرفوا صاحبه على الفور .. انه الفدائى ذو القامة الطويلة والنحيفة بعض الشيء والذى يحمل وجهها أسمر رصينا ويلقبونه بالصامت لندرة ما ينطق به .. ترى فأى قوى تدفعه فى هذه اللحظة ليتكلم عن « الامل » فى الوقت الذى استحال فيه مناله وتشتت كافة السبل اليه ؟

ورد الفدائى الملقب بالصامت : من الحمق يا رجال أن يفقد الواحد منا اتزانه فى مثل ظرفنا العصيب هذا ..

فتحداه واحد منهم : ان الحلقة تضيق حتى أصبحنا نرى الخاتمة بأعيننا وبالرغم من ذلك تطلب منا ألا نفقد اتزاننا

قال الفدائى الملقب بالصامت : على عكس كل الذى سمعت ففى رأى أننا لم نقل كلمتنا النهائية بعد ..

- وهل بقى ما نحاوله ؟

- أجل .. شيء واحد ..

لم يقو غالبية الرجال على اخفاء فضولهم فأمطروه بأسئلتهم

الملحة فاذا به يفاجئهم بذكر الامر الوحيد الذى غاب بالفعل عن
بالهم ولم تصل اليه محاولاتهم ٠٠

وتساءل الفدائي الاول متحيرا : وبماذا يفيدنا أن نحصل على
واحد من هذه الاجهزة ؟

أجاب الصامت : منذ خمسة شهور ٠٠ وعلى وجه التحديد في
الثانى من ديسمبر الماضى عثرت بداخل محفظة أحد القتلى من
ضباط العدو على أوراق هامة احتوت بينها فيلما ميكروسكوبيا
فيه رسم دقيق على جانب كبير من الخطورة ٠

- ماذا كان ؟

- لقد وجدته رسما تفصيليا لتركيب جهاز الاشعة الذى
يستعملونه ضدنا ٠٠

تعالى همسة دهشة بين الرجال الا أن الفدائي الصامت أبعد
رأسه عن العتمة فاتضحت معالم وجهه الجادة وهو يسترسل فى
بساطة: ومن بين عشرات الالوف من الصمامات والدوائر الكهربائية
بالجهاز فلعلكم سمعتم بأهمية جزء خاص يقع خلف العدسة مباشرة
ويسمى (شمعة النفاذ الانكرونى) ٠٠ هذه الشمعة هى الجزء
الحيوى فى الجهاز وبالتالي المعقد غاية التعقيد ٠٠

- لابد انها السبب فى كل ما يحدثه الجهاز من آثار مخربة ٠٠

- تماما ٠٠ فبداخلها تتولد الجزئيات النشطة التى تدفع
بومضات الاشعاع الى نرى تلايف الخلايا العصبية بالمخ البشرى
فتمحو ذكرياته القديمة وتمزق تسجيلات العقل الباطن شر ممزق
مثلا نمحو التسجيلات السابقة من على شريط التسجيل ٠٠ وهى
لا تفعل ذلك فحسب وانما تسيطر أيضا على كل ذرة فى الجهاز
العصبى المركزى وكل خلية عصبية تأتمر بأمره ٠٠

- يا له من تفكير اجرامى ذلك الذى توصل لكل ما تذكر ؟

- بل قل انها حاجتهم الملحة لتعويض ما يعانون من قلة فى
الافراد ٠٠

ولم يتوقف الصامت عن الكلام : ولقد فكرت ذات ليلة فى شيء
مثير ٠٠

- وما هو ؟

- لقد سألت نفسي « أليس فى الامكان صنع شمعة الكترونية مضادة ؟ » ..

- ماذا تعنى ؟؟

وفى كلمات مختصرة أوضح الفدائى لمستمعيه فكرته الجريئة ..
فلو أمكن صنع شمعة الكترونية ذات مفعول مضاد فان بمقدورها أن تحول فاعلية الجهاز الى عكس المطلوب منه فبدلا من الاسسلاام والخروع يقوم الجهاز ببث الكراهية والحقد فى عقول المستلطة عليهم الاشعة تجاه حائزى الجهاز وفى هذا مفاجأة ضخمة للغزاة لم يعدوا عدتهم لها من قبل وليست هى فى حساباتهم بحال من الاحوال ..

- وهل توصلت الى تصميم لهذه الشمعة التى تقترحها ..
اننا نعلم بمدى شغفك وتمكنك من العلوم الالكترونية ..

فابتسم الفدائى الصامت يخفى مسحة خجل اعترته : بالطبع ليس بعد .. فكيف لى بالادوات .. والمعدات ؟

- سنعمل على توفيرها لك ..

- وانى لى بالمساعدين الجادين .. الاكفاء .. الصابرين ؟

وهمس الفدائى الاول فى نغمة متحفزة تحمل رائحة الكفاح المرتقب وتعبر عن عزيمة لا تلين ..

- لابد وأن نهىء لك كافة ما تطلب .. أيها الرفاق فيم انتظارنا هلم لنتخذ أولى الخطوات نحو الطريق الشاق الطويل ..



ومر عام ونصف عام آخر والغزاة سادرون فى تقدمهم البطيء المتمهل فقيم الاستعجال والغلبة لهم فى النهاية على الدوام ..
على انه فى مكان قصى وسط ممرات الجبال السرية وخلف أجمة وارفة من أشجار الجوافة توارت خلية للنحل تعمل فى تكتم شديد من أجل انجاز شىء صغير ودقيق .. ولكنه بالغ الاهمية ..

وفى ليلة غاب عنها القمر وأظلمت فيها السماء بما حملته من سحب سوداء متشابكة انقضت فرقة انتحارية من الفدائيين على قافلة للعدو أثناء عبورها ممرا وعرا يلقى بين جبلين فقتلت جميع جبود القافلة وأحرقت سيارات ثمان من مجموع سيارات القافلة

البالغة ثمانى عشرة سيارة .. ولحسن حظ الغزاة أو لسوءه فقد
امكن للفرقة من جندهم التى سارعت لنجدة القافلة أن تعثر على
أهم ما كانت تضمه سياراتها وهو مجموعة من أجهزة « باعثى
الوجود الجديد » أخفيت بمهارة أسفل السيارات التى لم تحترق
فقد فات الفدائيون أن يعثروا عليها وبذلك نجت من تدميرهم لها !

أخذ رداء الليل الحالك ينجاب زويدا زويدا عن أسطح الدور
المتلاصقة فى تزاخم أعلى التل المنبسط .. وعلى الرغم من عدم
اتضاح أى مصدر للضياء فقد أنارت السماء الرائقة لمسة حانية
من ألوان باهتة فيها انتعاشة الفجر وجليب نسائمه الباردة ..

ونفص عصفور نظرات الندى التى نبيل جناحيه فوق غصن
مائى .. وأطل جرد من شق بجدار متداع يشتم رائحه الفجر
فيتوارى فى جحره .. وصاح بك مرتين وقد أمضيه السبات
المحيم على الناس داخل بيوتهم .. وبالفعل تعالت بعض الاصوات
الناشدة عبر السكون المنشر فى تلك الساعة المتدنة ببداية يوم
جديد ..

وجاء الجراد ..

بدا كعادته مجرد نقط قاتمة تكاد لا تميزها العين عند الافق ..
ثم أخذت أحجامه تكبر وتزداد وصوحا كلما زاد اقترابه .. حتى
اعتلت الحركات الهدارة سماء القرية وقد حاصرتها جوا .. ثم
هبط الجند والسلاح والعتاد فجرى حصار القرية أرضا كذلك ..

وخلال ساعة حافلة أعد الميدان الرئيسى للاستعراض المعهود ..
وحينئذ استدارت الطائرة العمودية المتبقية وحدها محقة فى
الجو فبان على جانبها شعار الاعى السوداء قاذفة اللهب ..
وعقب هبوطها برز من جوفها القائد الاعى وعلى قبعتيه وكتفيه
الشرائط الذهبية ..

وتوقف القائد حيث يتحتم توقفه بيمين الجهاز .. وعقب القائه
لكلماته القصار المقيمة رفع ذراعه ملقيا شارة البدء .. فانساب
الضوء الباهر من فوهة عدسة الجهاز الاشعاعى وغطت دخنة
الضباب مثلث الاهالى المجبرين على التجمع فى ركن الميدان ..
وفى النهاية ساد السكون كما يسود فى كل مرة ثقيل متوترا لاقصى
الحدود ..

- انها السادسة والنصف ..

• ثامنا يا سيدي ••

• والجو هذا الصباح بارد على الرغم من صفاء السماء ••
الذين فُتقِموا حولهم الاستار الواقية وتركوهم دون ازعاج حتى
تنتهي الساعات العشر •• وبعدئذ سيكونون منا فيتلاشى خطرهم ••

• حسنا يا سيدي ••

وغادر القائد مكائه في طريقه الى الطائرة العمودية المنتظرة
في حين بكر الجنود ذوو الاردية البرتقالية في الاسترخاء نوطنة
للانصراف من الميدان بمجرد صعود الطائرة فقد كانوا أكثر ارهاقا
اليوم واشد مللا وضيقا ••

لكن القائد لم يبلغ طائراته أبدا ••
وكذا الجند لم يغادروا الميدان اطلاقا ••

فمع انقشاع الضباب اندلعت المفاجأة صاعقة مذهلة لتشل في
التو كل خلية وكل عصب بأجساد الغزاة •• انطلقت من أعماق
السحابة على غير توقع وكأنها آلاف الشهب تدمر وجه القمر أو
كالاعصار يسحق قاربا في طياته ••

لقد انكسر المثلث البشري فتهاوت أستار القماش الواقية وانطلقت
جموع الاهالي كالسيل قاصدة الجند والضباط والقائد الاعلى
وحقد الازل يتطاير من عيونهم ليعتلى دمدمتهم غير الادمية ••
في حين تسمر أفراد الغزاة وقد عجزوا عن التصرك فان اخرون
ما كانوا يتوقعون هو الذي يحدث أمامهم بالفعل ••

واييد المعتدون خلال دقائق •• فبدون الجهاز باعث الوجود
الجديد وبغير السلاح المشهر عن بعد لا يساوى الواحد من الغزاة
نفحة هواء ويصبح جرادهم أعجز من الطير المذبوح •• وانهزم
الجراد في قرية مجاورة •• وفي قرى أخرى عديدة •• وظل
ينهزم جنوبا باستمرار •• فمنذ تلاشى سحر جهازهم الخرافي
تلاشت أسطورتهم الوهمية •• وانجاب الوباء المسمى باسمهم ••
انجاب وبعد الى أن اختفى ••

الدقي - مايو ١٩٦٩
فازت بجائزة نادي القصة

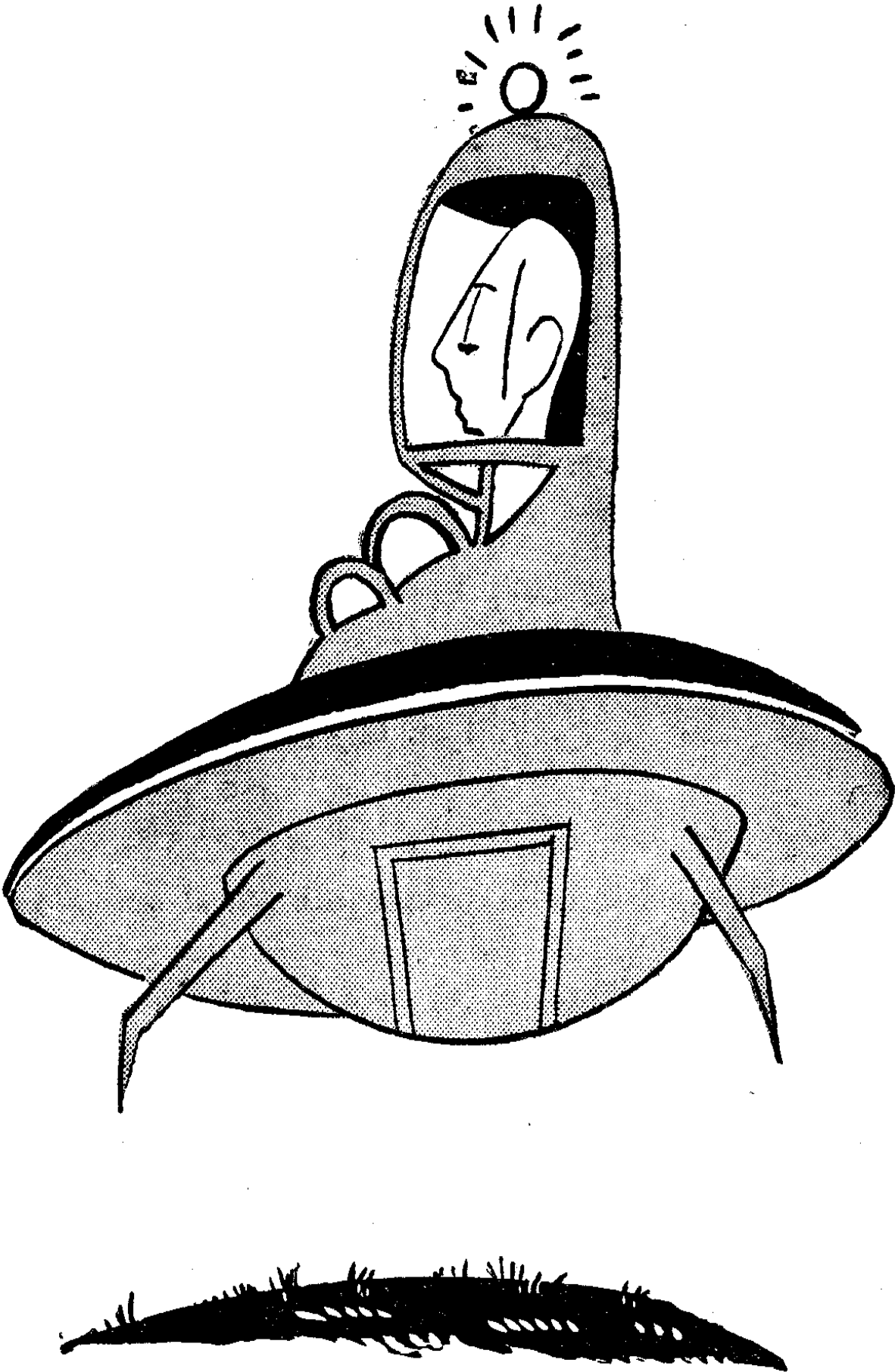
رقم ٤ . . يامركم . .

بدت أشباحها خلال العتمة الضاربة وقد قبعت فى استكانة
يضمها صف باهت طويل وكأنها متواليمة من مقدسات المصريين
القدماء تحرس ممرا روحيا الى واحد من معابدهم . .

وانتفض الرجل المتسربل فى السواد ونهض ليجلس القرفصاء
وقد أيقظته حاسة تكمن فى أعماقه . . وتشمم الهواء البالغ البرودة
بأنفه الحاد وهو يراقب الافق عبر اللثام الذى يحجب كل وجهه
فلا يكشف سوى عينيه . . وعبر التلال وكثبان الرمال المتلاشية
شرقا فى فلول الليل الراحل لم يك يرى أى شىء ولكنه أيقن بفطرته
. . وبومضة توقيت مدهشة قلما خدعته أنه لم يخطئ الميعاد . .
فهب يلكر الرجال النائمين حوله فى شبه دائرة . . كل بدوره . .
لكزة هينة بطرف عصاته التى كان يقلب بها جمرات الحطب تحت
اناء الشاى قبيل سباتهم دون أن ينفرج لثامه عن همسة واحدة . .

ولم تمر برهة من الزمان الا وكان الرجال قد أخذوا أهبتهم
وكمل استعدادهم . . فى حين انتفضت مجموعة الاصنام فاذا هى
طابور من النوق البيضاء القوية يبلغ عددها خمسا وعشرين ناقة
. . وسرعان ما تحركت القافلة والفجر يوشك على البزوغ لتأخذ
اتجاه الغرب عبر دروب الصحراء الكبرى الملتوية . . وقد
أصبحت على مسيرة ليلة أخرى من جبال الحجار حيث ترقد فى
أحضانها قلعة الطوارق المسماة تمانراست . .

وعلى التقريب فى نفس الوقت وان اختلف التوقيت المحلى
بساعة ونصف الساعة تأخيرا كانت هناك تلك الاسرة الايطالية . .
الاب المترهل والذى لا تفصح ملامح وجهه المحمر وبشرته الشبيهة
ببشرة النساء عن أعوام عمره الخمسين . . وبناته الثلاث



الخمريات فى لون فتيات مصر وجدتا هن المعمرتان المكملتان
صحة رحيوية ٠٠ كان الرجل ونساء أسرته يغوصون الى ركبهم
بداخل جدول أسن ضيق يحتضن المبنى القديم ذا الطوابق الاربعة
حيث يقطنون ٠٠ بينما يفتح على جدول أكثر اتساعا يقود بدوره
الى واحدة من أشهر قنصوات مدينتهم ذات التراث الفنى الذائع
على مر العصور ٠٠

كان سقتهم منهمكين فى تزيين قارب من قوارب الجندول
الانسيابية بجداول الزهور والاوراق المزركشة المعطرة استعدادا
لحمل عروسين يترقب الاهالى حفل زفافهما منذ أسابيع ٠٠

وفى نفس لحظة الزمن من مطلع الفجر الرطيب وبفارق لا يذكر
للتوقيت المحلى وقد تلبدت الغيوم بعرض السماء مما ينذر بمطر
وشيك يفرق عاصمة الفرنسيين اللاهية الجميلة التى لا تنام الليل
٠٠ عكف جماعة من العلماء البارسيين الشبان بداخل معمل
واطىء السقف يراقبون فى اثاره تجربة يجريها أستاذ متخصص
على شحنة مركزة ينفثها جهاز الكرونى متقد بدار بالذرة ٠٠

وفى حديقة الحيوانات الشهيرة بلندن وبفارق فى التوقيت
المحلى يبلغ عشرين دقيقة ولا يزيد عن الزمن الذى يضم أحداثنا
الجارية انطلق الحارس الليلي وقد لف جسده النحيل بالمعطف
الصوفى الخشن يجوس ربما للمرة الاخيرة بين أقفاص السباع
والنمر والدببة وغيرها من الضواري ٠٠ قبل أن يأوى الى كوخه
هربا من وطأة الزمهرير الذى راح يعلن فى اصرار مقدم الشتاء ٠

ولكن أبدا لم تكن الحيوانات هادئة كدأبها فى كل ليلة
٠٠ وانما وجدها متيقظة تدور بداخل أقفاصها على الرغم من
تأخر الليل وقد اعتراها فزع وقلق غامضان لا يدري كنههما ٠٠
فهل تراها تحس قرب وقوع زلزال ؟

ولو نشرنا الخريطة واتجهنا ببصرنا نحو أقصى الطرف الجنوبى
لجزيرة جرينلند المتجمدة الشمالية وحيث فارق التوقيت المحلى
يقرب من ساعات أربع للحظة الزمن السابقة الذكر وحيث أوشك
النهار الصيفى الطويل على المغيب ٠٠ لوجدنا جماعة لا تقل
عن أربعين من رجال الاسكيمو المتدثرين فى معاطف من جلود
حيوانات الفراء والذين ينحدرون فى الاصل من سلاسل الهنود
الامريكيين وهم يلتفون حول فرس بحر ٠٠ يسحبون جثته الضخمة

على الجليد عن طريق خطافات التفت حول رقبتة أو حول نابيه
العاجيين أو غرست في جلده السميك ..
وقد تعالت صيحات سرب من الطيور المهاجرة تشق خسواء
السكون الجاثم فوقهم ..

وحين تم للجماعة القاء الحيوان البالغ الثقل بعيدا عن الشاطئ
المغطى بشقف الثلج وقطعه المتكسرة المتناثرة .. تقدم زعيمهم وهو
واحد من أقصرهم قامة لو قيس بقاماتهم الواطئة وأضخمهم بدنا
فأفسحوا له مكانا بينهم . وحينئذ ابتسم وجه الزعيم النحاسي وزاد
بروز عظام خديه والتمعت عيناه السوداءوان المنحرفتان كعيون
الصينيين .. وبسرعة رفع نضل بلطته اللامع وهوى به على غرس
البحر ليبدأ ذبحه ولتبدأ معه عشرات النصال الحادة في تقطيع
الضحية المقيدة في حين دوى عواء عدد من كلاب الهسكى تترقب
عن بعد نصيبها في الوليمة الشهية ..

وبفارق محلى يزيد في التوقيت بخمس ساعات ولكنه يتفق مع
زمن تحرك القافلة عبر الصحراء الكبرى .. وفي إحدى ضواحي
العاصمة الكندية منتريال .. وقد كست طبقة رقيقة من الثلج الهش
هومات عيدان القمح الذهبية التى التفت بكوخ ريفى ذى طابقين
.. فأننا نشاهد بالطابق الأرضى منهما صاحب الكوخ وهو مزارع
كندى المولد فارح القامة عريض الصدر .. وزوجته الحسنة
الشقراء وتقوم بتدريس التاريخ فى مدرسة مجاورة .. وابنه
الكسيح الذى أقعده شلل الاطفال وهو لم يتعد عامه الثامن ..
يرافقهم جار عجوز يقطن الكوخ التالى لكوخهم فى المنطقة ..
نشاهدهم وقد جلس أربعتهم يتابعون عرضا تليفزيونيا عن رعاة
البقر فى جهازهم الموصل بهوائى مزدوج .. وكما بدا من صمتهم
وجمود قسماتهم فقد استحوذت أحداث العرض على كل حواسهم .



هكذا كانت الحياة البشرية تسير فى مجراها الطبيعى ذات يوم
خلال رحلة الزمن التى لم يعرف لها بداية ولا يتصور لها نهاية
على ظهر كوكب الارض الداخر بالخلق والنماء .. والذى تميز
بغلافه الجوى من دون توابع الشمس الثمانية الباقية .. والسابحات
فى فلكها ضمن مجرة سكة التبانة مع الملايين من النجوم والتوابع
وتوابع التوابع وغيرها من الاجرام الفلكية عبر الكون الواسع
.. الفسيح .. اللانهائى .. كان اليوم العاشر من أكتوبر عام
١٩٩٠ .. يوما ليس له نظير فى التاريخ وما قبل التاريخ ..

فمع مطلع ذلك اليوم .. وفى تلك الثانية الشاذة من مسار الزمن الأزلى .. وبطول الخط البياني البادئ من الصحراء الكبرى ليمر بشمال إيطاليا فشمال فرنسا فجنوب إنجلترا فجنوب جزيرة جرينلاند حتى ينتهى لدى الطرف الجنوبي الشرقى لكندا .. فى تلك الثانية الفريدة فى رهبتها بدأ حدوث الشيء الذى لم يدر بخلد سكان الكرة الأرضية على الإطلاق .. ولم تومض امكانية وقوعه فى خيالهم قط من قبل ..

على حين غرة انشقت السماء كما يشق قالب الزبد بنصل مرهف عن الصوت الغامض .. انبثق عموديا أو رأسيا أو من كافة الاتجاهات أو ربما انسكب بعيدا على صفحة الأرض فعكسته فى حلقات موج تتسع وتتسع الى قريب .. وقد انسب الصوت هامسا .. هادئا .. فى حنان الحلم ولذة المخدر .. ثم رويدا رويدا راح يقوى ويتعالى فأصبح رخيفا .. عميقا .. نفاذا .. وجادا لاقصى الحدود .. وسمعه رجال قافلة الطوارق خلال سيرهم الحثيث عبر متاهات الصحراء .. كما نفذ الى أذنى الإيطالى ونساء أسرته .. وسبب الحيرة لجمهرة العلماء الفرنسيين .. وجمد حركة حيوانات الحديقة البريطانية وحارسها اللبلى .. وشل تفكير أفراد الاسكيمو أثناء تناولهم وليمتهم النينة .. أما الاسرة الكندية فقد اتخذت ظاهرة الصوت حيالهم أسلوبا مغايرا .. فاظلمت شاشة تليفزيونهم دون ما سبب مرة واحدة .. وخرست الاصوات بداخل صندوقه الانيق برهة لينساب بدلا منها الصوت الغامض دون أن تصاحبه صورة ما ..

ودقيقة وراء دقيقة .. وساعة فى أعقاب ساعة .. راح الصوت يزداد انتشارا بين الناس بتغطيته المزيد من أنحاء الكرة الأرضية وهو يخاطب كل شعب بلغته القومية التى يفهمها .. وكان أثناء انتشاره وسريانه السريع الشامل بالوسائل السمعية المعروفة وغير المعروفة يعطل فى طريقه بكهرباء استاتيكية مبهمه عمل كافة أجهزة التليفون وأجهزة البث اللاسلكية من راديو وتليفزيون وأقمار صناعية وأجهزة البث الكونى البعيد المدى ليبرز من خلالها .. حتى دور السينما لم تسلم من سطوة القوى الخفية فتوقفت آلات العرض السينمائى ليملاً الصوت ميكروفانات التكبير بداخلها .. فى حين بدأ التشويش والاضطراب على أجهزة الرادار المنتشرة عالميا ..

شيء واحد لم تسمه الكهرباء الاستاتيكية هو أجهزة الاستخدامات
السلمية المتقدمة والتي تدار غالبيتها الكترونيا وبالطاقة الذرية
المبسطة وخاصة في المستشفيات ٠٠ كما لم ينقطع سريان التيار
الكهربائي بالمدن ٠٠

وكرر الصوت الغامض في المبدأ قوله ٠٠ عميقا الى الاذان ٠٠٠
« بيان الى مخلوقات الارض ، »

كرره لمدة دقائق عشر ظنها البعض عشرين أو تزيد ٠٠ ثم أخذ
في تلاوة فقرات البيان الآتي من السماء يزج به عبر الاثير في
مقاطع جامدة ٠٠ متتالية ٠٠ يخيّل للسامع أنها تنفذ خلال ثروس
جهاز حاسب يعمل آليا ٠٠ أو يخرج على شريط من فوهة صندوق
للتيكرب دور في رقابة »

« يا سكان الارض الكوكب المعروف لدينا بالرقم ٢
بحسب قربه من النيران المتأججة وتسمونه الشمس ٠٠ يا سكان
كوكب الارض يا من تطلقون على أنفسكم البشر
يا مخلوقات الطين المتسيدة ثرى اليابسة على كوكبكم القريب منا .
اننا نحن موجهى البيان جيرانكم سكان كوكب المريخ أو التالي
بعديكم فى أرقام حسابنا ما كان الوقت ليصين بعد
لقيام أى نوع من الاتصال بين كوكبيننا — لوجود هوة ضخمة
بين حضارتنا المتقدمة وبين ما ترسفون فيه من تخلف فكرى وتناحر
عقائدى الامر الذى نراقبه بوسائلنا التى تجهلونها — للتنقل عبر
الكون بسرعة تقارب سرعة الضوء — وبمعاييرنا العلمية الدقيقة —
وكأننا نعيش بين ظهرانيكم — منذ ما قبل نشأة تقويمكم الميلادى بزمان
ضارب فى القدم — ولم يكن هناك ما يثير فضولنا فى مجال تقدمكم
الحضارى البطيء والذى اتسم بالانانية واستغلال بحوث العلم
وتطبيقاته على بدائيتها فيما يضر بجنسكم البشرى أكثر مما يفيد
— حتى كان اكتشافكم لسر تحطيم الذرة مما شكل مفاجأة غير
متوقعة لدينا — فقد جاء اكتشافكم مبكرا يسبق نضجكم الفكرى
والوجدانى لاسيما وأنتم أصلا كائنات يغلب حب الذات على
تصرفاتها — ولعل أقرب الامثلة على تخلف عقولكم هو تناسيكم
أنكم جميعا وبلااستثناء — وأنتم تدرجون من المهد الى اللحد على
تنوع قاراتكم — انما تشتركون فى سكنى جرم سماوى واحد
هو كوكبكم الارض ، — — — — — »

وتوقف الصوت الغامض عن السريان فترة زمنية شابهها صفير
هاد ٠٠ بدا وكفه يتسلل ضاغطا الى أعماق الخلايا البشرية ٠٠

يسرى مع سائر الدم داخل الشرايين .. فتتهتز له الابدان .. ترتعد ..
وقد أوشكت على التمزق - - - ثم عاد الصوت مرة ثانية
جهوريا .. مدويا ..

• وكانت قمة أفعالكم الاجرامية حين أجريتم اول تفجير نرى
فوق مدينة هيروشيما اليابانية - - يوم ٦ أغسطس من عام ١٩٤٥
الارض - - وكان تبريركم وقتها لهلاك أكثر من ٧٠ ألف نسمة في
ثانية واحدة انه انما كان لاجل الانسانية المعذبة بوقف الحرب
العالمية الثانية - - وعقب مجزرة هيروشيما فجرتم قنبلة ناجازاكي
وكانت الثانية والاخيرة حتى الآن - - - - -

يا مخلوقات كوكب الارض - - ودون شك لم يكن تجنب
المزيد من القتل والدمار هو بالفعل ما تهدفون تحقيقه ويشهد على
ذلك أن المخزون في خبايا أرضكم من قنابل الهيدروجين ذوات
المائة ميجا طن - في المتوسط - يبلغ أربعة ملايين قنبلة - - فهل
لديكم على ظهر أرضكم أربعة ملايين مدينة تزيد في حجمها عن
ثلاثة أضعاف حجم مدينة نيويورك - - تستحق الافناء ؟

إن تفجير قنبلة هيدروجينية زنة ٢٠ ميجا طن - لا مائة - فوق
مدينة كنيويورك ينتج كرة نار هائلة الحرارة قطرها ٢٥ كيلومترا
- - ويعلو التفجير سحابة عش غراب الى ارتفاع ٩ كيلومترات - -
وعلى الفور تدمر المدينة بأكملها - - ويهلك غالبية سكانها - -
ثم يندلع حريق مريع تمحو نيرانه في الدقائق التالية بقية الاحياء
بالمدينة - - وخلال ساعات تتسع دائرة الاشعاعات المباشرة للطاقة
العالية - وتهطل الامطار الذرية - فيتساقط المزيد من البشر - -
بل ان الناس يموتون على بعد ٢٠٠ كيلومتر من موضع الانفجار
- - اما بقايا الاشعاعات التي تحملها الرياح لمسافات شاسعة
فلا يعلم مدى ما تشيعه من خراب الا الله - - -

هذا ما يفعله الانشطار النووي لقنبلة الهيدروجين ذات العشرين
ميجا طن يا مخلوقات كوكب الارض - - فهل تقدرّون عواقب
تفجير قنبلة الهيدروجين ذات المائة ميجا طن ؟ بل هل تجرؤون على
تخيل ما يسببه تفجير أربعة ملايين قنبلة هيدروجينية من نفس
النوع الشيطاني من اثار مدمرة فانية ؟ - - - -

وسمعت فرقة مبهمة أسكتت الصوت لحظة .. مجرد لحظة ..
• ومع كل ، فسواء شملت الاعاصير والزلازل أركان الارض
وغلفت سماءها سحب الاشعاع والرماد النرى الداكنة - - سواء

هالك ملايين البشر لحظتها أو أصيبوا فيما بعد بالحروق والتشوهات والعقم - - بل حتى لو تم فناء مظاهر الحياة الأرضية نهائيا - - فان ذلك كله ما كان يسبب لنا سوى مزيد الرثاء والاسف العميقين من أجلكم - - -

فاننا على بينة من قدركم - -
لقد تحدثت حكمة الله في خلقه لكم وخلق له لتنعمون به على

أجمل وأحسن الصور فحقت عليكم لعنته ونقمته - - وانه لعقاب انتم حقا تستحقونه - - وهو حصاد بالفعل أنتم سائرون الى جنه - - هكذا نرى مصير كوكبكم بجلاء بصرنا العلمى الفاحص المدقق والذي لا يقاس ببصركم المفتقر للنور - - وما كنا لنحرك ساكنا - - من أجل حمقكم - - -

لولا أن هلاككم يا مخلوقات الارض فيه أكبر الخطر على مخلوقات كوكبنا نحن - - بل ربما فيه هلاك مخلوقاتنا أيضا - - - - وقطع تلاوة البيان صوت آخر له نغمة رفيعة صارخة ٠٠ بتارة الوقع ٠٠ بلا أى مناسبة احتل الصوت الجديد مكان الاول و أخذ ييث بدله طبقات من الايقاع الوتري تصحبه نبضات من نفخ الابواق خيل للعلماء من السامعين ٠٠ انه ٠٠ قد يكون لغة ما ٠٠ غير معروفة لأهل الارض ٠٠ على أن الأمر لم يستمر طويلا فسرعان ما عاد الصوت الاول ٠٠ واختفى الثانى - - - - -

« ولتوضيح بياننا - - وتقريبه الى أذهانكم يا مخلوقات الارض - - فاننا نسوق الواقعة التالية والتي باقطع تجهلون كل شئ عنها لوقوعها فى زمن غابر يسبق بدء التدوين التاريخى لديكم بتسعمائة ألف عام - - أما نحن فاننا نتوارث روايتها ودراسة ما ترتب عليها - - وما نزال نعيها الى يومنا - - - - ففى أعماق الزمن السحيق - - حين كانت طفرة الحياة تأخذ أولى أشكالها على حواف قارتكم الوحيدة حينذاك بكوكبكم الارضى - - ووسط دوامة فورانه وعدم استقراره وتمزق قارته الكبيرة الى قارات ست لم تتضح معالمها بعد - - وبينما كوكبكم الارضى يدور حول أمه النيران المتأججة فى فلكه المرسوم - - - - كانت هناك بالفعل تسعة كواكب سيارة غيره تلف بدورها فى مساراتها حول النجم العظيم - النيران المتأججة - أو الشمس كما تسمونه - - فكأن المجموعة الشمسية كانت تضم حينذاك وبحسب القر - الى قرصها المستعر الكواكب - - - عطارد ورقمه ١ لدينا - - يليه الزهرة ٢ - - فأرضكم ٣ - - فمريخنا ٤ - - فمرقم ٥

— فالمشتري ٦ — — فزحل ٧ — — فأورانوس ٨ — — فنيبتون ٩ — — فبلوتو ١٠ — — — — —

وقد تتساءلون : كيف حددنا وجودا لكوكب أعطيناه رقم ٥ فيما بين كوكبي المريخ والمشتري ؟ بينما الثابت برصده من خرائطكم الفلكية لنتج المنطقة — — إنما هو وجود مجموعة الكويكبات وعددها ٥٠ ألف كويكب ؟؟

إن حقيقة وجود الكوكب الخامس هي حقيقة ثابتة وقاطعة لدينا — — فقد شاهدته وقام برصده علماءنا القدامى — — وأجمعوا في بحوثهم وكتاباتهم على أنه كان أجمل من الأرض في تناسق قاراته العشر وزرقة بحاره ومحيطاته — — وأن مخلوقاته كانوا فارعى الطول ومعمرين على المريخيين — — وأنه كان أكثر كواكب المجموعة الشمسية بهاء ووفرة في ثرواته وخيراته — — ثم الأهم أن الحضارة عليه كانت بالغة التقدم والازدهار — — وأن مخلوقاته قاموا بعدة محاولات سابقة للاتصال بالمريخ بينما كان أهله يصعدون أولى درجاتهم الحضارية — — كما قاموا بتفقد أنصاء كوكبكم الأرضى عدة مرات — — — — —

والاجدر بكم الآن — — أن تصدقوا القانون الذى نادى به أواخر القرن ١٨ الأرضى العالم الالماني (بود) — — ويقول إن التناسق الكونى الكامل فى المسافات والمتوالية العددية لابعاد الكواكب عن الشمس يشير بحتمية وجود كوكب بين المريخ والمشتري يبعد عن الشمس ٢٨ وحدة فلكية — — ولكن — — كيف اختفى الكوكب رقم ٥ من الوجود ؟

بمنتهى الوضوح والبساطة — — فقد قامت حرب نووية مباغطة بين مخلوقات الكوكب الخامس بعضهم البعض فشملت سطحه بأكمله — — وفى أثناء حمى الحرب الصاعقة التى لم تدم غير أربع وثلاثين ساعة فحسب تم تفجير ٣٠٠٠ ر ٧٠٠ ر قنبلة هيدروجينية من زنة الواحدة ١٠٠ ميجاطن — — فكانت النتيجة الرهيبة انفجار الكوكب رقم ٥ وتفتته الى ٥٥ ألف كويكب اختفى منها ٥ آلاف فى متاهات الكون — — — — —

هذا يا مخلوقات كوكب الأرض ما حدث ذات يوم منذ مليون وألف عام فى الجزء من المجموعة الشمسية بين المريخ والمشتري — — وهو نفس ما ينتظر حدوثه فى الجزء بين المريخ والزهرة وحيث تسبح أرضكم القعسة ، — — —

قال واحد من الناس أن الصوت الغامض لا يأتيه من السماء
.. أبدا .. وإنما هو ينبع من أعماق جسده .. من تحت حجاب
الحاجز .. من بين أضلعه .. وقال آخرون بل هو يأتيهم من
الخارج .. من بعيد .. ولكنه يتسلل برغمهم .. إلى أغوار
أرواحهم .. وأجمع الكل على أن بشرتهم .. مسامهم .. قد
تحولت بالفعل إلى أدوات تستقبل الصوت في حساسية مطلقة ..

« وإن نترك نحن المأساة تتكرر هذه المرة - - - »

لن نترككم يا مخلوقات الأرض تعيدون تمثيل الهزلة على مسرحكم
البائس - - -

وانا لقادرون على منعكم وبالكيفية التي لا يصل إليها ادراككم - - -
يا مخلوقات كوكب الأرض - - - ولكننا أولا - - - ومنعنا
لوقوع أى خطأ أو لبس - - - فانفسا نهيب بحكوماتكم أن تبادروا
فى الحال الى اتخاذ ثلاث خطوات عاجلة هى على التوالى

أولا - فك وإبطال جميع المخزون لدى كل دولة من قنابل ذرية
ثانيا - هدم كافة المفاعلات والافران الذرية ومحطات اليه
الثقيلة ومصانع التجميع مع تحطيم الطائرات حاملة هذه القنابل
وسفن الفضاء والغواصات والسفن البحرية وكل ما تسيره
الطاقة النووية - - -

ثالثا - أتلأف كل كبيرة وصغيرة فيما يختص بأسرار تحطيم
الذرة من بيانات وتصميمات ورسومات وأفلام ميكرو ونماذج
مجسمة حتى ما يستخدم منها فى الأغراض السلمية الى جانب
تدمير مصادر الوقود الذرى أينما كانت - - -

وخفت الصوت قليلا .. واختلطت كلماته .. بدا كما لو كان
نوعا من التشويش يتداخل مع مسار ذبذباته .. ثم دوت الفرقة
مرتين متتاليتين .. استقام بعدهما الصوت واستأنف وضوحه
السابق - - - - -

« يا مخلوقات كوكب الأرض المستقرة فى رحاب قاراته الست
- - - اننا نهيب بحكوماتكم - - - وأحزابكم - - - وجموعكم - - -
وكل فرد منكم - - - أن تأخذوا بياننا مأخذ الجد المتناهى وأن
تعكفوا على تنفيذ خطواته الثلاث المطلوبة منكم - - - ففى تنفيذها
نجاهة مخلوقاتكم ومخلوقاتنا - - - وانا نمهلكم مدة زمنية مقدارها
أسبوعان من أيام حسابكم الأرضى لالنتهاء من تنفيذها جميعا

والا فلنا معكم تصرف اخر لا مجال لذكره اذا لم تدع الحاجة
لاتخاذ ، - - - - -

وصمت الصوت الغامض أخيرا بعد القاء بيانه الطويل الذي
لم تسمع بمثله أذن واحد من أهل الدنيا قبلا ٠٠ والذي لم يدن
فحواه بتصور وخيال وتفكير أى منهم منذ بدء أول دبيبهم فى
أرجائها ٠٠ وكما برز الصوت الغامض فجأة من أعماق الليل
والنهار ٠٠ من العدم ٠٠ لينتشر مع كل ذرة هواء تلف الارض
٠٠ صمت ٠٠ وانتهى ٠٠ وتلاشى أيضا ٠٠ فى ثنايا العدم ٠٠

ساد سكان الارض وجوم قاتم قاتل ٠٠٠

حط عليهم ذهول موحش شل تفكيرهم وخدر أحاسيسهم ٠٠٠

لأول مرة تبينوا المعنى المخيف لكلمات الانفجار الذرى ٠٠
الانشطار النووى ٠٠ المفاعلات ومحطات المياه الثقيلة ٠٠ لأول
مرة عرفوا مبلغ ما تطلقه قنبلة الهيدروجين من قوى رهيبية وشموا
رائحة الموت المنبعثة من أحرف اسمها المشنوم ٠٠ ولأول مرة
كذلك وعوا أمكانية مراقبة كائنات السماء لهم ٠٠ وانهم مهددون
من قواها المتفوقة ٠٠

الا أنهم سرعان ما أفاقوا وقد سكت الصوت ومرت ساعات على
تلاشيه لينقسموا الى فرق وأحزاب وشيع وجماعات وفئات متفرقة
ومتجمعة فى شتى أنحاء الدنيا ٠٠ وهم بين مصدق ومكذب
وساخر ومؤمن وكافر وفرح ومذعور وموتور ومتفائل ومتشائم
وقلق ومتوجس ومستغل ٠٠ وغيرهم وغيرهم ٠٠

تعددت المشاعر ٠٠ وامتألت الدور والطرقات ووسائل المواصلات
بالشجار المحموم وكأن الوجوم والخرس الذى قيد الخلق فى المبدأ
قد انقلب الآن الى هوس مقذع طاغ من الصخب والجعجة وطرق
النظريات المختلفة من علمية الى تقليدية الى خرافية ٠٠

ثم كان رد الفعل التالى ما تناقلته وكالات الانباء من انطباعات
ورود فعل عميقة بين مختلف الناس على تباين ثقافاتهم وطبقاتهم
الاجتماعية من أقصاها علوا الى أدناها انخفاضا ٠٠ وما نشط
محرورو الابواب العلمية بكافة الصحف والمجلات ومحطات الاذاعة
والتليفزيون التى عاودت بثها الى اجلائه وتفسيره والتعليق عليه
٠٠ وهل الصوت الغامض قد أتى فعلا من قبل كائنات المريخ ٠٠
واذا وجدوا فما شكلهم وما مدى حضارتهم ورقبهم وما يملكون

من قبل لمراقبة الارض والتجسس على اهلها .. وكيف تراها كانت وسيلتهم الخارقة التي فرضوا بها صوتهم على اجواء الارض عنوة واقتدارا .. أم أن الصوت لا هو غامض ولا هو آت من كائنات مريخية وانما هو مجرد عبث لدولة من الدول أو جماعة من الناس لم يتضح هدفهم بعد ..

وبينما انفردت قلة بتأييد البيان وتحمست له في حذر وتردد وقد رأت فيه منقذا من حرب نووية مقبلة .. راحت الغالبية ترفضه وتناقضه وتسخر من بنوده الثلاثة المستحيلة التنفيذ .. بل انها هاجمت مجرد الانصياع للتفكير فيه في حملة مسيورة شعواء .. وقد رجح رأى الاغلبية كذلك ما أعلنه مديرو مراصد العالم الفلكية من استحالة وجود أى نوع من الحياة الراقية على ظهر المريخ .. ولا على ظهر أى من كواكب المجموعة الشمسية الثمانية بخلاف الارض .. لا التسع .. ولكنهم لزموا الصمت ازاء مسألة الصوت الغامض فلم يؤيدها أو ينفيها أحد منهم ..

على انه جد جديد .. وقد أوشك على الانتهاء يومان حافلان لم يطرق فيهما النعاس أجفان الناس على تباين أعمارهم .. فقد قطعت الاذاعات السوفيتية برامجها ليعلن المتحدث فى جدية على الشعوب الاشتراكية والصديقة كشف مؤامرة الامريكان السخيفة .. وماتهدف اليه من دفع الروس ودول الكتلة الشرقية الى التخلص مما لديهم من مخزون القنابل النووية والتي هي بمثابة صمام الأمن ضد أطماع الامبريالية الامريكية والاستعمار الغربى .. وببساطة أيد المتحدث السوفيتى احصائيات بيان الصوت الغامض .. وفى شجاعة قرر أن رقم المخبأ فى المخازن السرية لديهم من وقنابل الهيدروجين ذات المائة ميغا طن يبلغ مليوناً وربع مليون قنبلة .. ولكنه نفى نفياً قاطعاً احتمال استخدامها لأى غرض عدوانى وانما يحتفظ بها فقط من أجل الحماية والردع ..

أما فكرة وجود حياة على ظهر كوكب المريخ واتصال مخلوقات هذا الكوكب بأهل الارض فهي أكذوبة ساذجة سبق أن نفاها علماء أمريكا أنفسهم منذ أواخر عام ١٩٦٩ ..

ولكن الاذاعات الامريكية سرعان ما قطعت بدورها برامجها الموجبة لتنفي التهمة الجريئة وتعلن بدورها على الملأ وفى أسلوبها المنمق أن الامر لا يعدو محاولة مكشوفة من الروس لخداعهم وبالقلى لبث الرعب فى أفئدتهم ودفعهم الى تجريد أنفسهم من

السلح الوحيد الذى يخيف أعداءهم ويحمى قواعدهم ولا يقرب ميزان القوى ضدهم ٠٠ وقد اتفقوا مع الروس فى خلق المريخ من مظاهر الحياة تماما مؤيدين قولهم بما أرسلته آخر سفنهم الفضائية الذرية من طراز مارينر والتي هبطت بقرب قطب المريخ الجنوبي منذ ثلاثة شهور خلت برائدتها الاوحد لتثبت خلق أجوائه من أى أثر للنيتروجين أحد العناصر الرئيسية لصور الحياة الارضية ٠٠ فى حين سخروا من خدعة الصوت الغامض وأرجعوها دون شك الى بث لاسلكى عكس بمهارة عن طريق الاقمار الروسية المنتشرة بالآلاف فى سماء الكرة الارضية ٠٠

والتهبت الاتهامات بين العسكريين الشرقى والغربى ٠٠ وتحولت الى حملات مجنونة للنيل من الخصوم وتجريحهم وسبهم صراحة ٠٠

ثم تحركت القاهرة ٠٠ راحت تلم شتات حيرتها لتتوقظ من من حولها أعضاء المعسكر الثالث ٠٠ الحيسادى ٠٠ الذى بذل بالفعل عدة محاولات غاضبة وقام بجهد مضى لتقريب وجهات النظر ٠٠ ولكن محاولاته وجهوده باءت كلها بالاخفاق ٠٠

وخلال أسبوع طويل ٠٠ بالغ الطول ٠٠ أصبح العالم وقد انقسم الى ثلاث معسكرات متنافرة ٠٠ معسكر يقوده الروس ٠٠ ومعسكر يقوده الامريكان ٠٠ وثالث وسط يقوده المصريون ٠٠ وحينئذ ومن خلال دوامة اللغو والتهديدات وملء الصدور بالغل وحشد القوات العسكرية المهولة وتوجيه الصواريخ عابرة القارات برؤوسها الفتاكة ٠٠٠٠٠٠٠ صدر البيان الثانى ٠٠٠

عاد الصوت الغامض الى الانتشار بنفس طريقته الكاسحة عبر ذرات الهواء الارضى ٠٠ وكانت نبراته حانقة غضبى هذه المرة ٠٠ بدت لهجته جافة ٠٠ وباردة ٠٠ وقاطعة والكلمات تترى من ثناياه -----

١ بيان ثان الى مخلوقات الارض - - - - - يا مخلوقات الارض - - - الكوكب رقم ٣ - - - يا أيها المخلوقات التعسة - - - التى اثارنا خيبتنا فيها لأبعد مما كنا ننتظر - - - يا أيها المخلوقات البليدة فى تقبلها لكل ما هو جديد على ادراكها - - - ومعارفها - - - ومجالات بحثها - - - - -

انا نحن - سكان الكوكب رقم ٤ أو ما تسمونه المريخ - من وجهنا بالفعل بياننا الاول ونوجه الآن بياننا الثانى اليكم - -

وليس الروس أو الأمريكان أو غيرهم من شعوب كوكبكم - - -
 أنا نحن مخلوقات المريخ المتقدمة ذكاء وحضارة عليكم بمئات
 الاعوام والاف القفزات والمراحل العلمية - - - أنا مخلوقات المريخ
 موجودون حقا على كوكبنا المجاور لكم - - - والذي يتراوح بعده
 عن كوكبكم في أقرب حالاته بنحو ٥٦ و ٧٢ مليون من الكيلومترات!
 أنا نؤكد لكم حقيقة وجودنا - - - وان عجزت سفن فضائكم بما
 تحمله من أجهزة وعقول الكترونية عن اكتشاف أى أثر لنا - -
 حتى تلك السفن التى هبطت - مؤخرا - فى قلب صحرائنا ممتدة
 لدى خط الاستواء المريخى - - - فأنها لم تنقل اليكم تيليريوبيا
 سوى بعض من مظاهر عواصفنا الترابية اللافتة - - - من ان
 سفينتكم الكونية (ليوبارد ٨٠) وقد مرت على بعد ٤٥٠ كيلومترا
 من تابعنا الذى تسمونه لديكم بالقمر فوبوس منذ قرابة شهر
 مضى - - - فان آلاتها الحساسة لم تستطع تمييز ان هذا القمر أو
 التابع لريخنا على ضخامته إنما هو قمر صناعى - - - أعدده
 وأطلقه علمائنا منذ ألف ومائتى عام خلت - - - - -

يا مخلوقات الارض - - - ان أفراد مخلوقاتنا يعمرون محيطهم
 الحيوى الاكثر رقيا وازدهارا بطريقة تختلف عنكم تماما - - -
 فهم يستقرون فى مدن ضخمة - - - تمتد عبر طوابق متعددة متتالية
 - - - وانفاق طويلة متشابكة - - - شيدت جميعها على عمق قد
 يصل تسعة كيلومترات تحت ثرى كوكبنا لا فوقه كما هو حادث
 هنى سطح أرضكم - - - وقد دفعنا لسكنى باطن كوكبنا - - -
 ما يميز به فى السطح من برودة شديدة بحكم تزايد بعده بالنسبة
 للشمس عن الارض - - - كما دفعتنا اليه كارثة انفجار الكوكب
 رقم ٥ وتفتته - - - الامر الذى عرضنا لتساقط الاف قذائف
 الكويكبات والشهب والاحجار - - - تدك مدننا وقرانا القديمة
 وتمحوها من الوجود - - - تاركة مكانها فجوات مخروطية كبيرة
 الاتساع هى ما تصوره راصدوكم - بعد انقضاء الاف السنين
 على حدوثها - بأنها فوهات بركانية عجيبة - - - - -

يا مخلوقات الارض - - - وكما ترون فقد كتب علينا أن نعيش
 تحت الثرى بعد أن كانت حياتنا فوقه - - - ولكننا عوضنا الانقلاب
 الكبير فى مصيرنا بتشبيد المدن المتسعة المنسقة - - - التى تفوق
 مدنكم ارتقاء ومدنية وازدهارا - - - وهى مدن زودت بكافة ما
 تحتاجه من أحدث وسائل التكيف والتدفئة - - - وبقنوات المياه
 النقية - - - والانارة الفسفورية الذاتية بعد أن بطل استخدام

الكهرباء - - وبموجات الاشعة البنفسجية تعويضا لفقدنا ضوء
نجم النيران المتأججة المسمى لديكم بالشمس - - ثم هى مزودة
علاوة على ما ذكر بالهواء النقى المحتسوى على غاز النوشادر
لا غازى الاوكسيجين والنيتروجين اللذين لا نتنفسهما مثلكم - -
كذلك فقد أقمنا مدنا حيوانية سفلى تشبه المراعى من أجل العديد
من أنواع ماشيتنا وحيواناتنا - - كما نربى أسماكاً فى بحيرات
جوفية - - وأما الطيور فقد مضى زمان على انقراض كل ما كان
يعلو منها فى الجو المريخى - - -

شئ واحد يا مخلوقات الارض مايزال على حاله باقياً فوق
سطح المريخ - - انها مزارعنا التى تضم أعداداً محددة من النباتات
قصيرة السيقان - - حمراء اللون - - وهى التى يكسب حمارها
سطح كوكبنا فى مواسم انباتها وأزهارها لونه الاحمر المائل
للأصفرار - - فى حين ترجعون اللون الاحمر الى وجود مساحات
وفيرة من أكاسيد الحديد عليه - - وتمد مزارعنا النباتية بالمياه
بواسطة شبكة رى باطنية تجلب الماء من قطبى المريخ بعد اذابة
قنوجهما صناعياً - - - - -

هذا هو نوع الحياة الذى تجهلون وجوده على الكوكب رقم ٤ - - -
هذه لحظة - - مجرد لحظة - - عنا - - عن وجودنا - - -

وانا - - اذ نكرر لكم يا مخلوقات الارض - - فاننا بسبيل
مدكم بالدليل المادى الحاسم على صدق وجودنا - - والذى
سيؤكد فى نفس الوقت مدى اصرارنا على كل كلمة جاءت فى
بياننا الاول « - - - - -

أحس الناس أن الامر جدى حقاً ...
وأن الصوت الغامض يستحيل أن يكون مصدره أى بقعة على
ظهر الدنيا ...

وتملك الحكومات حيرة فعلية مشوبة بالرهبة والحرص من
امكانية وجود قوى خفية .. مجهولة .. تتربص بها وبشعوبها ..
ولف الجميع تساؤل مبهم .. راح يلطم عقولهم فى همس كئيب
.. « وبعد تفجير القنابل النووية لو أذعنا لبيانهم .. ترى ..
ما هى طلباتهم التالية » ..

وفى أعقاب يوم مضطرب آخر .. وقد تضاءلت المدة المحددة
لانتهاء الامر الذى وجهه المريخيون من خلال بيانهم الاول لأهل
الارض فلم يعد باقياً غير أيام خمسة ..

في أعقاب يوم سهاد وعجز تامين ..
في أعقاب ساعات اليوم الثقيلة التي لا تتزحزح كاتمة الانفاس ..

في أعقاب دقائقه .. وثوانيه .. المتصركة بطينا بلا رحمة
ولا هدف محدد وانما هي تقوم من وهدة الى فجوة الى جرف الى
هوة لا قاع لها .. والخواطر السود الموحشة تشل الافكار ..
تسحقها .. ثم تذروها هباء في هباء ..

في أعقاب يوم من أيام عشر لم تؤرخ بالمرّة في السجلات ..
هبطت تلك الاشياء وملأت سماوات الارض .. فوق كل مدينة
وكل قرية وكل طريق وكل حقل وكل جبل وكل قطعة فضاء وكل
نهر وكل بحر أو مساحة ماء .. فوق كل جزء يلفه الغلاف الجوي
حول كرة الارض البالغ قطرها ١٢ ألف كيلومتر .. مئات ..
بل آلاف الاطباق الطائرة .. ظهرت فجأة وقد ربضت عاليا في
صفحة السماء الارضية .. في ضوء النهار وتحت أشعة الشمس
بدت واضحة للعيان بألوانها الفضية المتألئة .. وحين جن الليل
.. راحت أضواؤها الحانية تتغير بسرعة من الفضي الى الاصفر
فالبرتقالي فالاحمر القاني فالقرمزي فالازرق فالاخضر الفيروزي
.. الى أن تعود فتستقر على ضوئها الاول والمذبذب بين اللمعان
والبهتان .. ولم يمكن تحديد قطر الواحد منها ولا حجمه بالضبط
.. ولا أمكن التأكد من وجود مخلوقات بداخلها فقد استحالت
رؤية مقاصيرها العلوية الضيقة الفتحات عن قرب لاختفاك الطائرات
النفاثة في التحليق حولها .. تحتها أو فوقها .. فكل طبق من
هذه الاطباق الاسطوانية الشكل وقد ظل معلقا بلا أدنى صوت أو
حوم لدقائق معدودات يعتريه قليل من الاهتزاز أو غير موضعه
بالاندفاع بغتة في زوايا حادة عبر الهواء .. كل طبق منها كان
فيما يبدو يفرض حوله مجالا قويا من الكهرباء الاستاتيكية يفقد
أي طائرة نفاثة اتزانها متى تخطته ..

وزاد فزع الناس .. واختناقهم ..
وفي الخفاء أولا ثم العلانية مؤخرا علت الصلوات والابتهالات
في الكنائس والجوامع والمعابد وغيرها من دور العبادة
غالبية الخلق اتجهوا الى الله .. المنقذ الوحيد وقت الشدة ..
وربما فعلها بعضهم لأول مرة ..

على أن الحكومات اتجهت بأفكارها وجهة مختلفة .. الى القوة
.. ان هناك خطرا ماحقا يهدد سكان الارض فلابد من مجابهته
بكافة الطرق والوسائل القتالية ..

وفى تكتم بالغ وسرية مطلقة جرت اتصالات ومشاورات
ولقاءات عاجلة بين الدول الكبرى العشر فى العالم وكان مقرها
القاهرة ٠٠ وقد ساد تلاحقها جو من الترابط والثقة لم تعرفه أبدا
فى مثل هذا الاخلاص ٠٠ وفى ختام ثلاثة أيام من المناقشات
المحمومة وبعد استعراض أوجه الرأى المتباينة والمتضاربة التى
عرضت أثناءها ٠٠ أجمعت النية على أكثر الخطط اثارة ٠٠

ففى صبيحة اليوم الرابع على ظهور الاطباق الطائرة وقد بقيت
٤٨ ساعة على انتهاء مدة الامر انطلقت فى ساعة الصفر عشرات
الصواريخ القصيرة المدى نتجه بحساسة عيونها المغناطيسية نحو
عشرات الاطباق الساكنة فى الجو ٠٠ على أن الصواريخ وقد دنا
كل منها من الطبق الذى يسعى اليه سرعان ما شملها الاضطراب
٠٠ والتخبط ٠٠ ثم انحرفت جميعها عن مساراتها لتذهب بعيدا
وتنفجر فى أعالي الجو ٠٠ وأطلقت لدى الظهيرة صواريخ اكبر
حجما وأبعد مدى ٠٠ واحفقت كذلك فى المساس بأى طبق طائر
٠٠ وقبل المساء التجئ الى آخر ما فى الجعبة من سهام ٠٠
وعلى سبيل التجربة طلق فى المبدأ عشرون صاروخا جبارا من
قوات الرؤوس الهيدروجينية ليتم تفجيرها فى الجو وسط مجموعات
من الاطباق المحمومة بقرب سماء احدى القواعد الامريكية بصحراء
نيفادا ٠٠ ولم تنفجر الرؤوس النووية اطلاقا ٠٠ وانما اقتيدت
الصواريخ الحاملة لها ٠٠ بقوى خفية ٠٠ لتسقط كلها وتغوص
فى مياه المحيط الصاخبة ٠٠

أما الاطباق الطائرة ٠٠ الآتية من كوكب المريخ ٠٠ فقد ظلت
ساكنة ٠٠ معلقة فى الجو كما هى دون أقل تغيير طرأ عليها ٠٠

ونادى هندی من فقراء السيخ بفكرة حلول نهاية الدنيا وأن
علامات الساعة لم تعد خافية عليه ولا على أتباعه ٠٠ وهول كثير
من الزاهدين والنساک والمؤمنين يعظون الناس فى حماس دافق ٠٠
ووجد محترفو الشعوذة والمنجمون وأدعياء العلم بالغيب فى
زحمة الحدث الرهيب فرصة لا تعوز لسلب السذج مدخراتهم التى
لم تعد لها أى فائدة ٠٠ والحقيقة أن الفارق فى هذه الآونة بين
السادج وبين المحتفظ ببعض من أعصابه وتفكيره هو مجرد خيط
ورقيق واه ٠٠

وخرج انسان جزائرى ٠٠ مجرد انسان عربى عادى يحرر
جريدة جزائرية غير معروفة وغير منتشرة ٠٠ خرج بنظرية سخيفة

سرعان ما آمن بها واعتنقها بقية الخلق فى كل مكان .. فقد قال
« ان انتقام مخلوقات المريخ ولا بد سيكون سريعاً بعد محاولات
نسف اطباقيهم بالصواريخ الارضية » ... وهبت جموع الناس
المخبولة وقد ركبها هلع طاغ تنقب فى كل شبر من الارض بحثاً
عن مخابىء القنابل الذرية والهيدروجينية فى محاولات طائشة
يائسة وكأن فى مقدورها فكها .. وابطال خطرهما .. بأيديها
المجردة ..

أى شيء وكل شيء .. كانت الجموع على استعداد لتفعله من
أجل ارضاء هذه الاجسام الاسطوانية المظلمة من عل فى برود ..
أى شيء وكل شيء لدرجة التلاحم والتشابك والفوضى ..

ولكن برزت صفوف متراصة من الجند المدججين بالسلاح
والمدرعات والدبابات تسد الطريق أمام آلاف الاقدام الزاحفة ..
وفى تردد .. وبطء .. سقطت الانزع المتعبة الى جوار اجسادها
.. وكفت الحناجر المبحوحة عن الصراخ الهستيرى .. وتسمرت
الارجل المرتجفة عن العدو عشوائياً ..

ومع صبيحة اليوم الاخير .. كان يسود الكرة الارضية صمت
عميق .. مميت .. مميت .. مميت ..

صمت فيه لا مبالاة المحكوم عليه بالاعدام حين يسلم عنقه
صاغراً ليدي الجلاد ..

صمت .. مدمر .. ساحق .. لا يعكره ولا تردد أنفاس ..

حتى دمدمة الرعد وصرير الريح وخرير الماء وتحرك أغصان
الشجر ذوت واستكانت ..

ملايين الآلات توقفت .. الطبيعة على شمولها واتساع افاقها
جمدت .. الحيوانات والطيور والاسماك والحشرات هجعت وقبعت ..
ولم يعد يتعالى بكاء طفل ..

ولا قرص أسنان جرد فى قطعة خشب ..
ولا هفهة جناحى فراشة شاردة ..

ولا نسمة هواء مارة .. مجرد حفيف نسمة هواء يسيرة هينة
لم يعد له وجود ..

ثم تسالت رائحة الكافور النفاذة الى الانوف .. وفى أعقابها
هبطت سحابة الدخن الوردية تغلف الاجسام التعسة المستسلمة ..

متى هبطت السحابة وكيف طوت كل الاحياء فى أعماق عبيرها
.. لا أحد يدري ..

.....
.....

وحين انجابت سحابة الدخن الوردية .. واستيقظ الناس من
ففتوتهم القصيرة .. وكان قد مر يوم بساعاته الأربع والعشرين ..
وحينئذ فان كل ما أحسه الخلق .. أهل الدنيا .. كان حاجة
ملحة للطعام والشراب .. وشعور متسلط بالارهاق .. مثلهم مثل
من أمضى يومه فى تسلق جبل عال صعب الدروب دون أن يتناول
زادا بالمرة ..

أما مخزون القنابل النووية الذى اختفى .. وأصرار تحطيم
الذرة وتفتيتها وقد انمضى كل دليل عنها .. والمعدات والآلات
وأدوات الحرب والسلم المتحركة بالطاقة الذرية وقد تلاشت ..
وأما بيان سكان المريخ الاول والثانى وأطباقهم الطائرة التى عادت
الى كوكبهم

كل هذه وتلك .. كل أحداث الاسبوعين التى امتدت بطول ١٥
عاما لا ١٥ يوما .. فقد نسيها الناس .. انمحت من عقول البشر
كافة فلم يعودوا يذكرون .. ولا أقل القليل عنها .. فقط ..
خلال سويغات ناعسة كانت تتراءى للبعض من الناس .. رؤى
عصية التفسير .. فيها رقة الحلم ورهبة الكابوس .. أو تشملهم
أحاسيس مبهمه تختط بداخلها لهفة الخلاص بخشية المجهول ..
ان هناك .. بعيدا .. فى ظلمة الكون ..

هناك .. من يراقبهم ويحصى كل حركة لهم من أعماق جارهم
الكوكب القصى .. المسمى بالكوكب الاحمر ..

الدقى - نوفمبر ١٩٦٩

نهر السعادة ..

لو تجمع كل حنان البشر منذ بدء الخليقة الى يومنا هذا وتركز
في حدقتي واحد من الناس لما اتضح في مثل هذا العمق الذي بان
في أغوار عينيه .. ولو انطبع على وجه انسان كافة حب البشر
وعواطفهم الجياشة لما صور شدة اللفة التي نطقت بها قسما
وجهه الحزين .. واليأس الى أقصى الحدود ..

هكذا كنت أراه طيلة الاسبوع الماضي وقد جلس قبالتها لا يحيد
ببصره عن وجهها الشاحب السادر في غيبوبة كاملة .. فقط
كنت ألمح يتململ أحيانا فوق كرسيه ماذا أصابعه في عصبية
وكأنه يصارع شبحا غامضا يود انتزاعها من برائنه .. وأحيانا
أخرى كان فكه يتصلب وفمه ينكمش وتظل شفاته تتمتان بكلمات
مبهمة تتخللها أنات ألم مكبوت يهرىء قلبه ويدميه ..

على أن تتابع الايام ما كان ليغير من رتبة المنظر الذي بات
يطالعي مع بداية مروري الصباحي من أمام حجرتها فيحط على
نفسى الى أن تنتهى نوبة عملى فى الثالثة مساء .. فالفتاة ماتزال
راقدة بداخل خيمة الاوكسجين فى غيبوبتها القاتلة وقد أحاطت
بوجهها الحلو القسما جدائل شعرها الفاحم تلتف فى موجات
مهفافة حتى تستقر خصلاتها أعلى نهديها الصغيرين .. فتبدو
كالمرقة فى النوم .. وذراعها تبرز من أسفل غطاء الخيمة فى
انثناء خلات من الحيوية لتغرس فيها ابرة الجلوكوز تسحب
الى شرايينها قطرات ضئيلة من قيس الحياة .. وفى حين ..
ويا للعجب .. كانت تقلاأ عبر شفتيها الورديتين اللتين لم
تطفئهما الغيبوبة ابتسامة تصور ذرى السعادة والنشوة والرضى ..

وحينما كان يسألنى بعض نزلاء المستشفى أو زواره عن السر
وراء اهتمام الرجل وإيثاره لهذه المريضة بالذات كنت ألوذ بالصمت

ولا أجيب بحرف مع اننى الوحيد - فى ظنى - الذى يعرف تفاصيل
القصة الدفينة وراء اشجانه ولوعته فقد امتدت الصلة الوثيقة
بيننا الى أبعد من عامين مضيا ..

ان لم تخنى ذاكرتى فان أول لقاء معه كان خلال أمسية كئيبة
لم ينقطع المطر خلالها عن الهطول غزيرا منذ الصباح الباكر ..
وكان قد مر سبعة شهور على التحاقى بوظيفة مساعد أشعة فى
المستشفى الحكومى بدمنهور حين استدعانى كبير أطباء المستشفى
يومذاك الى مكتبه لاشاهد الرجل يقف بجواره تحت لوحة بيانية
ملونة يتشاغل بتفحصها ..

- هذا هو حسنين الذى حدثك عنه .. انه من خيرة العاملين
المشهود لهم بتفانيهم فى عملهم ..

استدار الرجل ليواجهنى بوجهه الوسيم ونظراته النفاذة : أهلا .
- أهلا بك يا سيدى ..

بينما استطرده كبير الاطباء : الدكتور أمين عزمى أخصائى
جراحة المخ والاعصاب .. قد أفضى الى برغبته فى إلحاق شخص
موثوق بكفاءته ليساعده فى أبحاثه التى يجريها بمعمل خاص
بمنزله .. فلم أجد سواك لارشحه ..

- أرجو ملاحظة أنى أعمل معظم النهار بالمستشفى ..
- ان الدكتور يكتفى بعملك لديه أثناء الفترة المسائية ..

وقبل الدكتور خدمتى بعد أن تفحصنى طويلا كما رحبت انا
بعرضه الجزى فحاجتى كانت ملحة لزيادة دخلى .. الا أن
الانطباعة الاولى لرؤية الدكتور أمين أشعرتنى شيئا من النفور لم
أدرك كنهه حيال الرجل الذى بدا يومها باردا متعاليا .. يكاد
أنفه يلامس سقف الحجرة وينفذ منه .. فهل كنت متسرعا فى
حكمى عليه ؟ ..

على أن الايام كلما أوغلت بى فى خدمته كانت تزيدنى قربا منه
وتعودا عليه .. ورويدا رويدا انجابت الصورة القاتمة التى
سبق أن رسمتها له فى أعماقى .. صحيح انه كان قليل الكلام
معنى غير أنه كثيرا ما أسبغ على عطفه ومودته .. كما كانت
معاملته لى نموذجية .. وبمرور الايام على عملى بمنزل الدكتور
أمين كنت قد المت ببعض المعلومات عن حياته .. فعرفت أنه

مجهول الموطن مجهول الاسرة .. وعرفت أنه يعيش فى منزله
المكون من حجرتين أماميتين ومعمل كبير تمتد خلفها حياة
غامضة .. وأنه بطبعه يتجنب الاختلاط ولا يصادق أحدا من
الناس .. وان علاقاته مع زملائه الاطباء يشوبها التحفظ الشديد
.. كذلك كان زواره فى منزله معدومين فيما عدا مساعده الطبيب
الشاب وفتاة نحيفة القوام هى نفس الفتاة الغائبة عن وعيها
بالمستشفى والتي قيل لى انها ابنة جار كان يسكن قبالة فى زمن
مضى وهو يصطفئها كابنته ..

غير أن الامر الذى لم يكن يصل اليه ادراكى ويسبب لى هما
كثير بل وكان يشكل قبالتى حلقات متداخلة من التيه والغموض
انما هو أبحاثه .. تلك التى كانت تستغرق كل وقته وكل مشاعره
ويظل عاكفا عليها الساعة تلو الساعة دون زاد وبلا أقل قسط
من راحة ..

وكنت اذا ما خلوت وحدى فى معمله المتسع الارعاء لانظفه
وأرتب أدواته وأطعم ما فيه من حيوانات وحشرات تدور فى رأسى
تساؤلات شتى عن كنه ما يدور هنا فى أعماق الليل حتى اذا
ما عدت فى اليوم القالى راعنى ما أجده من فوضى شاملة فى
الاثاث والمعدات ومن روائح غريبة تعبق المكان الى محاليل
مسكوبة وحيوانات ميتة ..

ولما كان المعمل يطل بنافذتيه وبابه الواطىء على حديقة خلفية
للمنزل فقد كنت ألح الدكتور عقب حضورى فى أغلب الاحيان
يجوس وذراعا متشابكتان خلف ظهره بين أشجار الحديقة المهمة
وأحواضها الخالية من النباتات وقد اعتراه تفكير عميق ..

وكثيرا ما كنت أسمعهم يصفر بفمه لحنا موسيقيا قديما أو
يحدث نفسه فى صوت خافت لا أتيين تفاصيله ثم اذا به يهرع الى
مكتبه ليخرج مجلدا ضخما أحمر الغلاف ويظل يدون فيه كلمات
عجلى يملأ بها صفحات مطولة خلال دقائق يسيرة ..

وقد تجرأت ذات أمسية وكنت قد سمعته يدندن لحنا لسييه
درويش فدلقت الى الحديقة واقتربت أوجه اليه سؤالا عابرا ..
- يا دكتور ..

وبدا كمن أوقف من حلم مخيف : أه .. نعم ؟

- معذرة .. فهذا الكلب الليت وقد غرست فى عنقه بضعة اسلاك معدنية .. لا أدري هل أواريه القربة والاسلاك معه أم أنزعها أولا ؟

- لا حاجة لى بها ..
- ألا تنفعك فى تجربة مماثلة ؟
- لدى منها الكثير ..

فدنوت أكثر وسأته : وفيه .. استخدامك لاسلاك معدنية يا دكتور .. أعنى هل التجربة كانت تدور حول شيء يختص بالكهرباء .. كهربائية المخ مثلا ؟

تطلع الى الدكتور فى امتعاض وقد بوغت من تدخلى ولكنه همس فى هدوء وكأنه يوجه كلامه الى صبي جانبه السلوك القويم : ان ماهية التجارب التى أجريها من شأنى وحدى يا حسنين ..

غير اننى استطعت أن أفوز بإجابة حاسمة على سؤالى عقب ذلك بأسبوعين .. فقد تصادف أن نسي الدكتور أمين مجلده الضخم حتى مكتبه دون أن يغلق عليه درجا من أدراجه المكتظة بالاوراق والادوات .. وبلا تردد تناولته ورحت أقلب صفحاته وأنا لاهث الانفاس ..

كانت الصفحات الاولى من المجلد تتناول تجارب تدور بالفعل حول التنبيه الكهربى للمراكز العاطفية بالمخ البشرى وذلك ضمن دراسة متسعة عن مرض الصرع وطرق مقاومته .. وقد أفرد الدكتور أمين صفحات كاملة من الدراسة تناول فيها أجزاء المخ وقصوده المختلفة بالتحليل والتعليق ذاكرا طرق قياس كهربائيتها بجهاز رسم المخ الكهربى والاجهزة الالكترونية الأخرى .. وبدأ أنه كان يركز غالبية تجاربه المبدئية على الحيوانات فى الأجزاء الخلفية من أمخاها والمقابلة فى المخ البشرى لما يسمى «منطقة الثلاموس» .

وحين وصلت فى قراءتى الى الصفحة الخامسة والثمانين من المجلد استرعت بصرى السطور التالية وقد دونت على ما يبدو فى عصبية محمومة ..

• الاربعاء ١٦/٤/١٩٦١

تملكنى ليلة البارحة تفكير عميق أرققت معه حتى بزوغ فجر اليوم وذلك عقب اجرائى للتجربة على مخ الارنبية من نوع البوسكات

٠٠ فكالعادة وجريا وراء البحث الذى أعده حول الذبذبات الكهربائية بامخاخ الحيوانات فأننى قد أجريت التجربة على الارنبه الوديعة الناعمة الفراء طيلة يومين كاملين قيدت خلالها الارنبه بطاولة خشبية على مرأى من ذكرها الذى شمله فى هذه الاثناء زعر شديد لآخذنا اياها بعيدا عنه ٠٠ فكان لا يفتأ يروح ويجىء بداخل قفصه الضيق ثم يشرب بقائمتيه الاماميتين ليتطلع وعيناه قبرقان فى اتجاه أنثاه والاسلاك المعدنية تغطى رأسها الصغير ثم يعود فيضرب أرضية القفص بقائمتيه ضربات عنيفة تعبر عن غضبه ويعاود من جديد حركته الدائبة فيما وراء القضبان التى تحجزه عنها ٠٠

ومع حلول ليل ثانى أيام التجربة التى كانت قد شارفت على نهايتها طلبت من عم طلبة مساعدى العجوز أن يضع على الطاولة المجاورة أرنباً آخر من النوع البرى ومن ثم يوصل الاسلاك المعدنية بين مخى الارنبين لاجراء مقارنة كهربائية أخيرة ٠٠ وحين دخلت حجرة العمل أنرت لمبة السقف القوية واتخذت مكانى قبالة جهاز رسم المخ وجهاز القياس الالكترونى الموصلين بمخ الارنبه ولكن تصادف فى هذه الآونة أن انقطع التيار الكهربائى فاضلمت حجرة العمل كما يحدث فى بعض الليالى لانقطاع التيار بالمدينة كلها ٠٠

ولدهشتى البالغة طالعتنى من خلال الظلمة ظاهرة محيرة لم استطع لها تفسيراً ٠٠ فعبر الظلام الجاثم على جسمى الارنبين شاهدت ما يشبه ومضات مستطيلة من ضوء فيروزى باهت يخرج من مخ الارنبه ليسير على الاسلاك بطيئاً ٠٠ حانياً ٠٠ فى اتجاه مخ الارنب فيسكن فيه ٠٠

ترى ما كنه هذا الضوء الروحانى الغريب ؟

ولماذا يخرج من الانثى ليسير الى الذكر وليس العكس ؟

ولقد ظل سريان السيل من الضوء الباهت وتدفعه من مخ الارنبه الى مخ الارنب مستمرا لمدة ١٦ دقيقة فاذا أضفنا اليها ٢٠ دقيقة أخرى هى الفترة منذ وصل عم طلبة الاسلاك بين مخى الحيوانين وحتى دخول حجرة العمل لمباشرة التجربة تكون مدة تدفق السيل الضوئى قد بلغت ٣٥ دقيقة تقريبا ٠٠

ومع سطوع الضوء ثانية فأننى كنت أعيش دوامة كبرى من الذهول والتخبط لم أقو معها على مواصلة المكوث فى معملى فأنى الآن بازاء ظاهرة شاذة ٠٠ لم أسمع ولم أر مثيلاً لها من قبل

•• وهى دون شك فى حاجة ملحة للتأمل والبحث العميقين خاصة
فى حين نظرت فى لوحة جهاز رسم المخ الكهربى فوجئت بتوقفه
تماما كأن قوى حفية أسكتته عن العمل برغمه وكذا الجهاز
الالكترونى كان صامتا ؟؟ اذن فالظاهرة لا علاقة لها بالكهربائية
كلية ••

والذى زاد فى دهشتى بعد كل ما تقدم ذكره كان موت الارنب
البوسكات عقب فك قيدها كذلك فقد اكتشفت أيضا أن الارنب
الآخر لم يكن سوى ذكر الانثى البوسكات نفسه فقد نسي عم طلبه
وأتى به بدلا من الارنب البرى ••

وقلبت صفحات تاليه من المجلد ذى الغلاف الاحمر قرأت فيها
وصفا لمحاولات قام بها الدكتور أمين لكشف سر السعال الضوئى
دون جدوى حتى توقفت فى الصفحة ٢١٢ قبالة نظرية خرج بها
الدكتور لتفسير الظاهرة الغريبة حيث كتب بقلمه الجاف الحبر
وفى كلمات دقيقة متجاوزة تشبه خط النساء ••

• الاحد ٢١/٨/١٩٦١

هل السعال الضوئى هو الروح ؟

لقد خيل الى لبرهة مجنونة من الوقت اننى بازاء اكتشاف أجل
أسرار الوجود وأكبر معجزاته المغلقة •• وذهبت بى الخيال الى
أن الله - لسبب لا أدريه - قد اصطفانى لاطل على السر الازلى
وأعرف ماهيته •• فهل أنا على عتبة الروح حقا •• لقد قلت
لنفسى بعد موت عدد من حيوانات التجارب عقب خروج السعال
الضوئى منها انه الروح •• أو هو جزء من مكنوناتها أو له على
الاقل علاقة وثيقة بها ••

ولكنى على يقين الآن أن السعال الضوئى ليس بالقطع شيئا من
هذا كله •• فقد عاش فيما بعد عدد آخر من الحيوانات بعد انبثاق
السعال الضوئى منها لساعات طوال قبل أن تموت ••

ومن مشاهداتى اتضح لى كذلك أن ظاهرة السعال الضوئى لا
يتم حدوثها الا بين كائنين حيين متآلفين يكونان من جنس مماثل
شريطة مرض أو احتضار أحد هذين الكائنين فيتدفق منه السعال
الى الثانى السليم •• وإن كنت وبعد مرور أربعة أشهر ونصف
أجدنى ما زلت لا أعرف حقيقة السعال الضوئى •• وكيفية تدفقه من
كائن لآخر •• ثم لماذا يذهب من الاضعف الى الاقوى ؟

وتحول الدكتور فى الصفحات ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ يرثى مساعده
العجوز الذى توفى بالسكتة القلبية لكبر سنه ويعدد مناقبه دون
أن يذكر شيئا عن الظاهرة التى شغلته طويلا ٠٠ ثم عاد فتكلم عن
تجربتين يبدو أنه قام بإجرائهما وحده فأشار الى نتائجهما ببعض
الأرقام والمصطلحات المبهمة ٠٠ وكذا وجدت كتابات الدكتور تنتهى
بانتهاى الصفحة ٢٦٠ من مجموع صفحات المجلد البالغة ٢٠٠
صفحة من القطع الكبير ٠٠



مرت تسعة عشر شهرا وأنا أعمل فى خدمة الدكتور أمين
استطعت خلالها أن ألم بغالبية متطلباته المما كبيرا ٠٠ والاهم
انقضى أيضا أصبحت على بينة بطباعه وحدة مزاجه وهو أمر تجب
معرفته اذا عمل الشخص لدى واحد من هؤلاء المفكرين الباحثين
خاصة عندما تحتويهم صوامع بحثهم ٠٠ وقد كان أكثر ما يغيظ
الدكتور ويثير غضبه أن يقطع حبل تفكيره نداء ساذج أو ضوضاء
طائشة ٠٠

ولم يجر الدكتور طيلة الزمن المنصرم منذ تواجدى معه سوى
تجارب أربع أشركنى فى الاخيرة منها فحسب ربما لعدم تأكده
من خبراتى بعد ٠٠ وقد أجريت التجارب الأربع على أربعة أزواج
متألفة من ذكر وأنثاء كان زوجان منها من القرن الجبلى وزوج
من نموس الغيط وزوج من الثعالب المصرية ٠٠ غير أن التجارب
الأربع على ما يبدو لم تكلل بالنجاح الذى كان يرجوه لذلك فقد
انصرف الدكتور الى نوع من البحوث انصب معظمه على تفحص
الصور الفوتوغرافية وصور الأشعة تحت الحمراء والأشعة
البنفسجية التى التقطها للسيال الضوئى أثناء مروره عبر الأسلاك
من حيوان لآخر ٠٠ كذلك فقد قام بإجراء عدة تغييرات وتحسينات
فى شبكة الأسلاك المعدنية ونوعية الأسلاك نفسها وطريقة توصيلها
بفصوص المخ المختلفة سواء عن طريق غرس نماذج من الأبر المعقمة
أسفل الأذنين للجس الداخلى أو بوضع مجسات بالغة الحساسية
للجس السطحى فى أماكن مدروسة بأعلى الأم الجافية أو بالجزء
الجبهى من القشرة المخية القاعدية الحديثة ٠٠

على أن أبرز حدث وقع منذ التحقت بالخدمة لدى الدكتور أمين
كان شيئا مغايرا يبعد عن مجال أبحاثه ودنيا عمله ومستشفاه كلية

فقد تصادف عند مجيئي لمنزل الدكتور في احدى الليالي وكانت
مهددة القبط راكدة الهواء .. وبينما أنا أدور مع ناصية الشارع
المواجه لمنزله اذا بي أجد على غير العادة سيارة رمادية فخمة
تقف أمام البوابة الرئيسية للمنزل .. ومررت بالسيارة أتفحصها
في فضول ثم جريا على عادتي عبرت البوابة وصرت في ممر
جانبي قاذني الى الحديقة الخلفية ومنها دلفت الى داخل المعمل
مباشرة .. على انني وقد هممت بإضاءة النور تناهى الى صوتا
شخصين يتشاجران بحجرة الجلوس المجاورة .. وقد تطايرت
الكلمات الى سمعي على الرغم مني لاعرف حقيقة الشجار الدائر
بين الدكتور أمين وزائره الغامض الذي دل صوته الاجش الخشن
والاخف بعض الشيء على أنه لرجل وليس لامرأة ..

فرقت كلمات الزائر ذي الصوت الخشن مهددة منذرة : هذه
كلمتي الاخيرة .. ولا بد من الاخذ بها ..

وجاء صوت الدكتور مرتاعا : ولكنه .. قرار .. بالغ القسوة ..
اعترض الزائر : انه في صالحها على أى الحالات .. فأنا
أريد لها تعليما جامعا راقيا .. وأريد لها زيجة تليق بمركزها
الاجتماعي المرموق ..

- ولكنها ابنتي يا عبد العظيم .. وأنا أنشد لها السعادة قبل
الثراء والمركز والجاه وكل هذه الاشياء ..

قال الزائر وصوته يمزق الجدران الى حيث أقف بالمعمل : بل
هي أمام الناس ابنتي أنا .. وهي تحمل اسمي سواء شئت أو لم
تشأ .. أم تراك ترغب أن أطلعها على حقيقة مولدها ؟

وبدا الفزع طاغيا في نبرات الدكتور وهو يتمتم : لا .. لا
لا داعي .. مستحيل أن أجعلها تعلم أنها أنت الى الدنيا عن
طريق غير شرعي .. مستحيل ..

- اذن نفذ ما أطلبه منك ..

غمغم الدكتور في صوت واهن : سأطرق كل وسيلة لابعد الشاب
عنها .. أعدك بذلك .. أعدك بذلك ..

ثم أضاف حزينا يائسا .. مع أنها شديدة التعلق به .. ومع
أنه انسان ممتاز ينتظره مستقبل حافل ..

- ان أصله غير مشرف .. هل نسيت أن أباه كان يتاجر في الملابس البالية ؟

- وبالرغم من ذلك فقد استطاع أن يصنع من ابنه شيئاً عظيماً .. استطاع أن يجعله طبيباً ناجحاً .. ولقد أصبح الدكتور أحمد مساعداً لى فى المستشفى ..

عاد الزائر ذو الصوت الخشن يتكلم فى ثورة جامحة : لا داعى لكل الذى تذكر .. أريد أن أنتهى .. هل تنفذ كلامى أم لا ؟
- س .. سأنفذ ..

- حسناً .. ولتثق تماماً اننى أحب هذه الفتاة كابنتى ومتعلق بها مثلك .. واذا قسوت عليها فانما أفعل ذلك فى سبيل مصلحتها

ولم يجب الدكتور .. لم يتفوه بكلمة واحدة .. فقط تعالى وقع خطوات ثقيلة راحت تبتعد حتى انصفق الباب خلفها .. ودوى فى أعقابها صوت محرك سيارة سرعان ما خفت بدوره حتى تلاشى .. وساد سكون ملؤه التعاسة أحسست خلاله بأن هناك فى الحجرة التى يفصلنى عنها جدار رقيق قطرات ساخنة تتساقط من عيني رجل ..

وحاولت أن أبدد الجمود الذى شملنى فأثرت حجرة المعمل وبدأت أزالو عملى فى أنحائها .. ولكنى لم أعد فى أعماقى انساناً طبيعياً .. لقد أثقلنى السر الذى عرفته وملاً حنايى بالاسى حتى أصبحت لا أتبين حقيقة ما تؤديه ذراعى من مهام وحتى أصبحت أحزان الدكتور تغطى كافة الرؤى أمام بصرى ..

واتضح حقيقة انطواء الدكتور واعتزاله الناس ونظرة اليأس التى لا تفارق وجهه .. اتضح ورسخت فى مخيلتى .. حقاً انه يعيش مأساة عميقة الجذور .. انه يعيش مأساة فلذة كبده التى يراها تنمو وتكبر تحت سقف سواه .. انه يبكى سنوات الضياع والهرب دون أن يمنحها أبوته وحنانه الصادقين ..

وتسلل الدكتور الى حجرة نومه ولم يبارحها .. ولم أجرؤ بدورى على تعكير خلوته .. فقط أعلمته بحضورى ثم بانصرافى من خلف الباب النافذ الى حجرة النوم ..

وظل الدكتور أسير مريضاً لعدة أيام متتالية .. صحيح انه قابل مساعده الطبيب الشاب بعدها بيومين وتجاذب معه حديثاً

مريرا .. وصحيح أنه أخذ يتردد على المستشفى كدأبه فى الايام
العادية .. الا اننى كنت ألمح المرض والسقام بطلان من عينيه ..
وفيما يبدو كانت العلة تستقر فى نفسه غائرة عن سائر أجزاء بدنه .
ولكنى كنت ازاءه عاجزا .. مقيدا .. لا أعرف كيف أمد
اليه يد العون دون أن أسبب له المزيد من الآلام ..

ومرت أيام طويلة .. ثقيلة .. بالغة الملل .. ولكنها مرت على
كل حال وخيل الى أن الدكتور قد استعاد فى أعقابها بعضا من
روحه .. والكثير من قواه .. لدرجة أنه بات يدخل معمله ..

وفى المبدأ كان يقنع بالقراءة فى عدد من المراجع ويدون بعض
الملاحظات التى تعن له أو يستخلصها من معادلات حسابية حتى
باغتنى مؤخرا بطلب اعداء المكان لتجربة وشيكة ..

وبالفعل أجرى الدكتور أمين تجربة جديدة على نكر وإنشاء من
الارانب البلدية كان كل منها مغرما بصاحبه بصورة واضحة ..
وعقب التجربة .. سجل فى مجلده ذى الغلاف الاحمر الكلمات
التالية

« السبت ١٤ / ٨ / ١٩٦٣ »

على الرغم من عدم حصولى على نتيجة نهائية لباحثى حتى
هذا التاريخ الا اننى بت أرجح أن السيلال الضوئى ان هو الا
الصورة المرئية لشيء بالغ السمو .. انه الجوهر من العواطف
المتأججة أو هو فخر السعادة الحقة .. يتضح مرئيا لأول مرة أمام
بصر انسان على ظهر الارض قاطبة خلال تدفقه الرائع لياخذ
مسيرته الى اللقاء .. فالالتحام .. بعد أن ترك الجسد الفانى
- أو أوشك - ليمتزج بالروح الابدية .. وهو ذروة ما يمنحه
المحب لحبيبه ..

وبمعنى أكثر وضوحا اننا اذا فرقنا بين زوجين متآلفين من
الكائنات الحية مهما كان جنسهما ثم حضرت أحدهما ساعة
الاحتضار فطالما وجدت الوسيلة - وليكن سلكا معدنيا - فانه يمكن
نقل السيلال العاطفى وهو ما يرى فى الظلمة حانيا .. باهنا ..
من الكائن المحتضر الى الآخر السليم ليتلاقى الاثنان فى واحد
فالامر أشبه بوداع أبدى يترك فيه المسافر شيئا من نفسه لدى
مودعه .. ولا يهم أن تم النقل من الانثى للذكر أو من الذكر للانثى
.. على انه وكما أكدت كافة تجاربى فان هذا اللقاء لا يكون بين

لذكرين أو اثنيين مهما كانت درجة التآلف بين الثنائي منهما حتى
لو كانا توأمين ، ..



كان وجهه مصفرا شاحبا فى شحوب وجوه المرضى .. وكانت
الرجفة تشمله من قمة رأسه الى اخمص قدميه .

وحين تنبه لوقوفى بجانبه استدأر الى بنظرة الغريق الذى يلوح
طوق النجاة على مرمى ذراعه .. ولكنه عجز عن التقاط الطوق
فقد تحجرت الكلمات على طرف فيه المغفور فى مواجهتى ..

فأشحت ببصرى بعيدا يعترينى الارتباك لظهره المحطم ..
وتشاغلت بالبحث عن السر وراء استدعائه العاجل لى لمقابلته
بالمستشفى فى هذه الساعة المتأخرة من الليل وقبل أن أبرأ من
الوعكة التى ألزمتنى الفراش منذ أمس الاول ..

وبذل الدكتور أمين جهدا خارقا حتى استجمع شتات قواه
وأمكنه فى النهاية السيطرة على مشاعره فقد أحسست أصابعه
الباردة تتشبث بيدي فى تردد .. ثم تسال الى أذنى صرير جاف
يشبه مفصلات صدئة ليست فيها نغمة واحدة من صوته ..
- انها ترقد هنا .. فى الحجرة المجاورة .. وهو يرقد على
فراش يقابل فراشها .. ان الاثنين .. انهما فى غيبوبة كامنة
يصارعان الموت منذ الظهيرة ..

ارتج على : من هى ؟

- شهيرة ..

أقلت الصبيحة برغمى : ابنتى —

- أجل ابنتى .. وأنا أعلم أنك تعرف الكثير عنها ..

ولم أقو على الإنكار : والآخر الدكتور أحمد ؟

ويبدو أن وجهى كان ينطق بالدهشة بصورة فاضحة فقد سارع
الدكتور يقول : لقد علمت بفرارهما معا ليتزوجا فجر اليوم ..
ثم جاءوا بجسديهما الى المستشفى ظهرا عقب حدوث الفاجعة ..
لقد اصطدمت سيارتهما بسيارة نقل فى الطريق الصحراوي الذاهب
للقاهرة بعد أن أمضيا ليلة فى الاسكندرية ..

سألته فى لهفة : وما مدى اصابة كل منهما ؟

خرجت الكلمات بصعوبة فى أعقاب آهة حاول أن يكتمها :

الاثنان حالتها بالغلة الخطورة .. وان كان موقف الفتى أسوأ
من الفتاة ..

- ومتبنى الفتاة .. ألم يبلغه النبا ؟
- لقد علم .. ولكنه أبى أن يراها مادامت قد عصته وفرت ..
- وما فرصتهما فى النجاة ؟
- بالنسبة لها فلدى بعض الامل .. وأما بالنسبة له فقد لا يطلع عليه صبح الغد على الرغم من إجراء كافة الاسعافات الضرورية وأولها نقل كمية من الدم اليه ..
- رددت أحاول تهدئته : سيعيش ..
- قال فى أسى : لا أظن .. ومن أجل هذا قد استدعيتك ..
- وما الذى فى مقدورى أن أقدمه .. لهما ؟؟
- لن يقدم لهما انسان أكثر مما قد قدم .. والامر قد خرج الآن من أيدينا نهائيا وأصبح بين يدي الله ..
- حيرتنى كلماته : اذا فـ
- قاطعنى : لقد ألححت فى طلبك من أجلى أنا .. لتساعدنى فى تقديم هبة أخيرة .. لابنتى ..

- لا أفهم ؟

- قال وكأنه يقرر أمرا مفروغا منه : سأنقل سيالة الضوئى اليها ..
- أتعنى .. حقا .. ما تقول ؟
- وفورا ..

أمدنى الانفعال المندلع من صدرى بالجرأة لاعارضه بقسوة :
ولكنه الجنون بعينه .. فأنت لم تجرب أبحاثك هذه على واحد من البشر مطلقا .. أفلا تقدر مدى ما أنت مقبل عليه .. ألا تعلم انهما قد يقضيان نحبهما من جراء فعلتك ؟

- صدقنى .. لا يوجد أى تأثير مميت للمحاولة ..
- ولماذا لم تجربها على انسان حتى اللحظة ؟
- كانت هى خطوتى التالية ..
- قلت فى حزم : ومع كل فانى لن أساعدك .. وسأمنعك أيضا ..
- غير أن الغضب لم يملكه من سلاطة لسانى وحدثى عليه وانما أطرق برهة الى الارض قبل أن يهمس فى ضراعة : بل دعنى أمنحها شيئا يا حسنين .. دعنى أمنحها الشئ الوحيد المتبقى لدى من أجلها .. فمئذ ولدت لم تر منى الا العقوق .. والتنكر ..

والسلبية .. لقد نبذتها حيث كان يجب أن أقف بجوارها بابتوتى
الحقة .. انها فرصتى يا حسنين .. لاعطيها أغلى ما فى الوجود
.. السعادة .. نهر السعادة ..

ونزلت على ارادة الأب البائس المتعاع .. وأجريت التجربة
المهولة ولا رقيب لها سوانا نحن الاثنين .. وقد تم تركيب الادوات
التي جلبها الدكتور من معمله فى حقيبة على رأس الفتى وبعده
على رأس الفتاة حيث ثبت بخبرة الجراح القدير المجسات
الحساسة تحت منطقة الثلاموس فيما وراء الجمجمة والتي تحتوى
النقاط القوية للعاطفة .. ثم وصل الاسلاك المعدنية الرقيقة بين
الاثنين .. وحينئذ أطفأت النور بالحجرة لتبدأ التجربة المثيرة
وسط أعرق سكون شعرت بوطأته فى حياتى ..

ثم تدفق السيلال الضوئى ..

قويا .. باهرا .. هذه المرة

يا للروعة .. يا للقدرة الالهية القابعة فى ثناياه .. لقد لاح
بغثة وكأنه الرحيق ينبثق من قلب زهرة خالدة .. أو هو جدول
من أطياف ملائكية ينساب عبر اللانهائية .. وليس فى الوجود
ما هو أجمل وأرق من ضوئه الفيروزى الحانى الذى يشد البصر
والمشاعر مع مجراه الحالم ..

ولم أدر أكانت النشوة تتدفق مع السيلال الضوئى الى مخ
الفتاة .. أم الى أغوار روحى ..

واستمر تدفق السيلال ساعة وخمسين دقيقة من الزمن
الاسطورى ..

ثم أوقف اتصال الاسلاك .. ورفعت الادوات جميعها ..
وقرابة منتصف الليل سكنت أنفاس الطبيب الشاب نهائيا بينما
بقيت رثنا الفتاة ترددان أنفاسا خافتة وهى سادرة فى غيبوبتها
تتأرجح على خيط رفيع بين الحياة والموت .. وظلت على حالها
طيلة الاسبوع الماضى .. وأنا أراقبها خلال مرورى من أمام
حجرتها بالمستشفى تضمها خيمة الاكسيجين التى لا ترفع ..
وترسم على شفيتها نفس الابتسامة السعيدة التى لا تزول ..

فى حين يجثم قبالتها أبوها الدكتور وقد أصبح مجرد شبح ذاو
محطم يختلج صدره برجاء واحد لم يطمع فى مثله طوال حياته ..

عين السماء ..

انها مشاهد خمسة مختلفة .. تتباعد أحداث كل منها عن
الآخرى .. وتتباين أماكن وقوعها .. ولكل مشهد تاريخ محدد
يختص به وحده .. وقد تصادف أن ربط بينها خيط رفيع ..
وسجلها قلم شخص مجهول .. فكانت هذه القصة التي لولا وجود
أبطالها أحياء لظن بكتابها جموح الفكر وشطط الخيال ..



سوف نتجاوز هذه المرة فحسب فنقدم المشهد الثالث على
سابقه ثم نتابع بقية المشاهد كلا في دوره ..

المشهد الثالث : تاريخه الاحد ٤ أبريل ١٩٦٥ صباحا - مكان
وقوعه محكمة الجنايات بباب الخلق .

- محكمة ..

هب الجميع وقوفا .. اشرابت أعناقهم وتعلقت الأنفاس في
صدورهم .. بينما شحب وجه المتهم الغض وارثم عليه يأس
طاغ فبدا وكأن ماء مغليا انسكب عليه أو كأن صاحبه تعاني
النزاع الأخير فهي تعرف مسبقا الحكم الذي سينطق به القاضي ..

لقد أدانتها كافة الأدلة والقرائن والملابسات .. وحدها ..
وحين استماتت لأظهار براءتها فان الكل أصموا أذانهم وأعرضوا
عنها .. حتى أبوها ..

تزايدت الهممة .. وبرز القاضي بمقامته الهيبة وقسماته
المبينة .. تتراقص في أعماق عينيه نظرة لا مبالاة .. وتعالى
صوته الخشن من أغوار حنجرتة الغليظة ..

- بعد الاطلاع على ملف القضية ٣١١٤ جنایات لسنة ٠٠٠٠٠
والتهمة فيها صفية أحمد نصار بقتل زوجة أبيها المدعوة ابتسام
نصحي أبو العينين ذبحا ٠٠ وبعد دراسة كافة المستندات المقدمة
من ٠٠ وفحص الادلة ٠٠ وخاصة بصمات أصابع التهمة ٠٠
وبقع الدم على ملابسها وبأنحاء مختلفة من جسدها ٠٠ حكمت
المحكمة ٠٠ حضوريا ٠٠٠٠٠

بغثة هز القاعة صوت جهورى غطى على كلمات القاضي
الرتيبة ٠٠

- لحظة من فضلك يا سيادة القاضي ٠٠

بان الاستياء على وجه القاضي وهو يدير رأسه الكبير المرتكز
على عنق رفيع طويل فى اتجاه الصوت الذى تجاسر على مقاطعته
٠٠ فى حين تابع وكيل النيابة المليح الفم والعينين وهو يخرج
الكلمات فى لهات وعصبية ٠٠

- ألتمس من سيادة القاضي تأجيل النطق بالحكم ٠٠ مدة
ثمانى وأربعين ساعة ٠٠

- ما السبب ؟

- لأقدم للمحكمة أداة ارتكاب الجريمة التى طال البحث
هنا ٠٠

قطب القاضي جبينه : هل عثرت الشرطة عليها ؟

- اننا بسبيل ايجارها ٠٠

- بمنزل المتهم ؟

- أرجو اعفائى من ذكر مكان اخفاء الاداة ووسيلة العثور عليها
٠٠ وأكتفى حاليا بتكرار طلبى ٠٠ للاهمية القصوى ٠٠

قال القاضي وهو يحاول اخفاء امتعاضه : لقد استوفت النيابة
ادلة الاتهام فى مرافعتها ٠٠ فلم الآن ٠٠

دمدم صوت وكيل النيابة جادا مسيطرا : سوف تكون الادلة
أكثر حسما باحضار الاداة التى ارتكبت بها التهمة جريمتها البشعة .

- ولكن ٠٠

- أرجو المحكمة ٠٠ ضرورة اجابتنى الى طلبى ٠٠

تعملل القاضى فى مكانه ضجرا ٠٠ ثم همس على مضمض وكل
الغيط يملأ حدقتيه ٠٠

- قررت المحكمة ٠٠ بناء على طلب النيابة ٠٠ تأجيل النطق
بالحكم على المتهمه صفية على أحمد نصار ٠٠ وذلك حتى جلسة
يوم ١٠/٤/١٩٦٥ القادم ٠٠



المشهد الاول : تاريخه الجمعة ١٩ مارس ١٩٦٥ مساء - مكان
وقوعه حجرة أمامية بالطابق الاعلى من احدى الفيلات النائبة
بجبل المقطم .

فى هدوء جذب الرجل المتدثر فى سترة صوفية داكنة الاخضران
والمنحنية قامته أماما بعض الشيء ٠٠ جذب أنفاسا أخيرة من لفافته
ثم ألقى بها عبر النافذة المستعرضة بطول الحجرة ٠٠ وتتبع ذبالتها
وهى تتوهج أثناء انحدارها مع سفح الجبل حتى اختفت تماما
عن ناظريه ٠٠

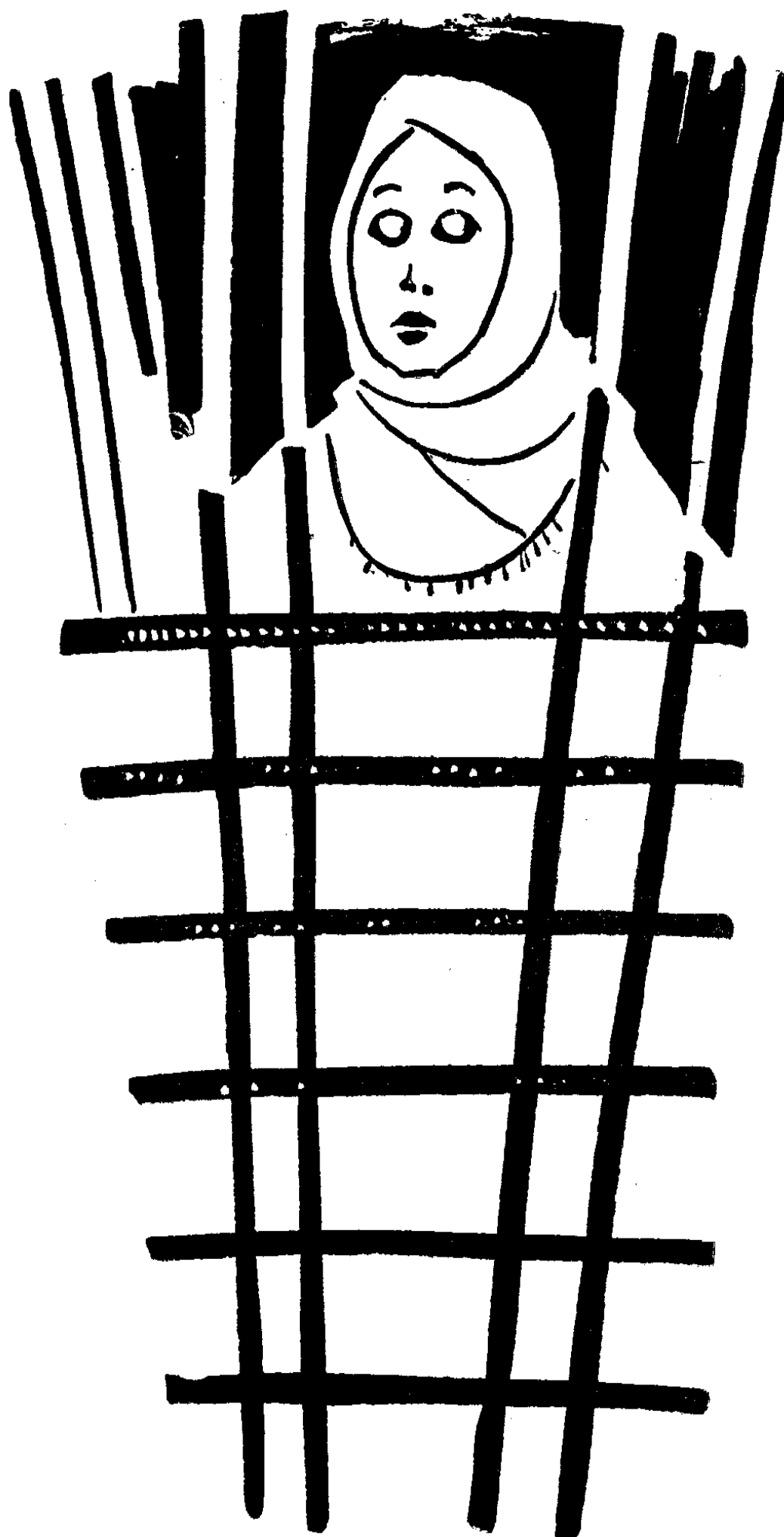
حينئذ استدار بقامته الفارعة وكتفيه العريضتين يواجهه أركان
الحجرة المكتظة وقد بان التحفز فى ثنايا وجهه الباردى بجبهة
عريضة تمثل حاجزا عظيما يكاد يحجب عينين حادتين كعيني
الصقر ٠٠ والمنتهى بذقن مسحوب مفلج من منتصفه ٠٠

عن يمينه كان يجثم مكتبه وخلفه عدة أرفف واطئة تراصت
عليها كتب فى علوم الفلك والطبيعة والفضاء واللاسلكى وما أشبه
٠٠ وعن يساره منضدة عالية الأرجل امتلأت بالعدادات والاسلاك
وأجهزة القياس وأدوات اللاسلكى والكهرباء ٠٠ بينما استقر فى
المنتصف جهاز الاذن الالكترونية وهو جهاز معقد للاستماع
والارسال اللاسلكى فى متاهة الكون الفسيح سبق أن قام بتركيب
أجزائه على مر الايام ونمو الهواية معه ٠٠

وتقدم بضع خطوات .

وأدار مفتاح تشغيل النصف الاسفل من الجهاز والخاص
بالتصنت على الموجات الاشعاعية المنبعثة من النجوم والكواكب
ومواد الكون على اختلاف أحجامها وأنواعها ٠٠

سحب الرجل كرسيه بلا مسند جلس عليه فى يقظة كاملة ٠٠
ان جهازه على صغره وعلى بساطة الهوائى المتصل به جهاز
قوى ٠٠ زود بالمكثفات والدورات والاقطاب الالكترونية العظيمة



الفاعلية على دقة احجامها .. وزوده بأحجار للتضخيم الصوتي
من ابتكاره والتي تغنيه عن الاستعانة بهوائى ضخم أو بطاقة
كهربائية مزدوجة ..

وبدأت تتضح على شاشة الجهاز سلسلة من المتوازيات
الضوئية على هيئة خطوط طولية يصحبها صفير تعتريه هتات من
العلو أو الخفوت بين الحين والحين .. انها أصوات الكواكب
المحيطة بالنجم « أبسيلون أربداني » ويقع على بعد ١٠٨ سنة
ضوئية من أرضنا ..

وفجأة تتراقص أمام بصره ومضات متقطعة لها وقع غريب ..
ومضات لم يالفها من قبل ..

زادت يقظته .. بلغ تحفزه أقصاه .. لقد انقطع ظهور
المتوازيات الضوئية .. اختفت الخطوط الطولية .. وظهرت محلها
ذلك الومضات على شكل كرات .. أو مربعات .. أو نقط ..
تدقوات فى الايقاع وفى شدة الاضاءة وفى التنعيم الموسيقى
المصاحب لظهورها ..

وبلغ فضوله ذراه ..

ترى من أين تأتية الاشارات الغامضة .. وما حقيقة كنهها ؟

أهى رموز غير معروفة تفد من كوكب مجهول ؟ ترى فأى الكواكب
مصدر الومضات والسماء تزخر بملايين الملايين منها .. على الأقل
.. فهى ليست آتية من الجهة التى يتسمع اليها فى هذه الآونة ..

وراح الرجل يقيس أطوال الموجات الاشعاعية .. وراح يتتبع
مصدرها فى صبر وأناة وقد أطربت أذنيه الانغام السحرية المميزة
لها .. وأذهلته النتيجة ..

أعاد حساباته من جديد فتوصل لنفس البعد الفلكى الذى قدره
من قبل .. حينئذ تناول منظارا أبرزه من النافذة .. وألصق عينه
به .. وانطلق يجوب من خلال عدسته المقربة المنطقة من السماء
فى اتجاه الجنوب الغربى ..

شملته رجفة من قمة رأسه الى أخمص قدميه وهو يشاهد لأول
مرة ذلك الجرم السماوى الخافت الضياء والتألق يعبر السماء
ويبدأ فى اتجاه الجنوب ..

تسمر مبهورا .. مأخوذا .. وأحس بروحه تفارقه .. تنساب
من بينه .. تطير من خلال السحب البيضاء في خفة الفكرة المبهجة
.. في لهفة الحنين .. ورجفة العاطفة الجياشة .. غير سموات
مرصعة بالأحجار المبرقة .. المعطرة .. المهاتفة بتساويح الهبة
.. قدسية ..

انها المرة الاولى في حياته على كثرة مراقبته للسماء التي يطالع
فيها شيئا في مثل هذه الروعة والبهاء .. لقد بدا له الجرم
السماوي بضوئه الهاديء وبتك الغمامة الزرقاء الرقيقة تغلفه ..
وكأنه اسطورة شعرية بالغة السمو والنقاء ..

توقف الرجل لحظة .. جذب كرسيه الى جوار النافذة .. وفي
حنو والفة عاد يحدق البصر الى السماء وقد استغرقت الروية
المثيرة فلم يسمع جرس التليفون وهو يلح في طلبه .. ولم يابه
بمياه تفور سبق أن أعدها ليصنع شايا .. بل نسي موعدا هاما
حدده قبلا مع صديق ..

تركزت كل حواسه ومشاعره فيما تشاهد عيناه .. ونسى حتى
تردد أنفاسه .. بينما ظلت الرسالة الكونية تقرئ ومضاتها
المتقطعة من وراء ظهره فيقوم فيلم سينمائي بتسجيل صورها أولا
بأول دون انقطاع ..



المشهد الثاني : تاريخه السبت ٢ ابريل ١٩٦٥ عصرا - مكان
وقوعه قهوة عكاشة بشارع محمد علي .

كانت رنات نرد الطاولة ونداءات العمال تختلط بضحكات
الزبائن وقفشاتهم فيصعب التمييز بينها .. يحيطها اطار صاخب
من صيحات الباعة الجائلين المتنافرة المتلاحقة .. وامتزاز الارضية
بفعل المواصلات الغادية الرائحة من سيارات وترام وعربات تجرها
خيل وغيرها ..

برغم قسوة الضوضاء التي تعم المكان فقد وجد الصديقان ركنا
منزويا أقل ازدحاما وأكثر هدوءا ونقاء في جوه .. وقد تعود
الاثنان على اللقاء في قهوة عكاشة كلما سئحت لهما فرصة ..
الاول معيد بكلية العلوم ومدرس غير متفرغ بمعهد الارصاد الفلكية
.. والثاني وكيل للنيابة يشمل نطاق عمله منطقة قسم السدرب
الاحمر .. الا ان الرابطة بينهما كانت تمتد بعيدا .. فهما أبناء

بلدة واحدة هي المنزلة .. نزحنا منها معا للدراسة في إحدى
مدارس المنصورة الثانوية .. ثم جمعتهما العاصمة بعدئذ في
سكن مشترك وإن اختلفت لأول مرة مناهج دراستهما فقد التحق
أولهما بكلية العلوم والتحق الثاني بكلية الحقوق ..

وحين افترقا بعد التخرج فتزوج خريج الحقوق وسكن العلمية
.. واشترى خريج العلوم منزلا بمدينة المقطم الجبلية ليستقر به
عزبا وحيدا .. فان اللقاء بينهما لم ينقطع .. وإنما استمر
كعهده متصلا منسجما يضمه نفس المكان الذي طالما شهد الكثير من
أيام مرحهما منذ وطئا القاهرة قبل عشرة أعوام خلت ..

استطرد معيد العلوم وقد استبد به الانفعال ...

- وحين تلقيت الرسالة الوافدة من الكوكب المار قريبا من
أرضنا .. لو جاز لنا تقدير البعد لمسافة سنتين ضوئيتين قريبا
نسبيا - وجدت الرسالة لدهشتي تنطق بالعربية .. فهم يعرفون
بعض لغات التخاطب عندنا بعد أن حلوا رموزها من قبل ..
والكوكب المار يبعد عنا بمسافة سنتين ضوئيتين كما أخبرتك أو
بما يساوي عشرين ألف بليون كيلومتر .. أى أن الصورة التي
رأيتهما للكوكب من نافذتي لم تكن تعبر عن حقيقته الراهنة وإنما هي
صورته منذ عامين مضيا .. لذا فقد أخبروني بأنهم قد ابتكروا
أسلوبا للتخاطب في المستقبل لم أدر كنهه .. وأن رسالتهم إلى
كوكبنا - وقد قدر لي أن ألقاها دون غيري - بثت بطريقة التخاطب
في المستقبل هذه .. فهل تتصور ما أعنيه يا عزيزي توفيق ؟

نقر توفيق بإصبعه على رخام المنضدة دون أن يحرك بقية جسده
فقد تصلبت فقرات عنقه من طول التحديق والانصات .. فهو إنسان
نحيف البنية رقيق الطباع بوجهه آثار جدرى خفيفة وإن عجزت
الآثار كما عجز شاربه الكثيف عن إخفاء وسامته وحلو قسماته
.. خاصة فمه وعينه ..

تمتم توفيق في نبرات أجشة صدئة : بقدر تفهمي .. أرى أن
رسالتهم إلينا .. ببثها في المستقبل .. مستقبلهم .. لو كان هذا
ممكنا .. فهي تصلنا في نفس لحظة خروجها من كوكبهم فلا يحسب
فارق المسافة بين الكوكبين وبالتالي فلا وجود لفارق الزمن الذي
قدرته بسنتين ضوئيتين ..

ظهر البشر على وجه معيد العلوم مختار : تماما .. أنه ما
حدث بالضبط ..

على أن الفضول كان يفرق وكيل النيابة الى أذنيه فلم يتوان
أن صاح : لكنك لم تعطينى أى تفاصيل عن الكوكب الذى تزعم
مروره قبالة أرضنا ..

- يقولون فى الرسالة .. ان كوكبهم يوازى فى الحجم كوكبنا
.. والجاذبية عليه تبلغ نصف قدرها لدينا .. لذلك فهم يصفون
أنفسهم بأنهم نحاف قصار خفيفو الحركة الى حد كبير .. صحيح
ان الرسالة المبعوثة لا تفرق بين مخلوقاتهم ومخلوقاتنا من حيث
الشبه فهم أناس يماثلوننا من كافة النواحي .. غير أنهم صورة
مصغرة منا .. الشخص لديهم يقارب فى الطول والورن نصف
شخص من أهل أرضنا ..

- وما الذى احتوت عليه رسالتهم أيضا ؟

أجاب مختار وهو يتخيل خريطة العالم قبالبته : انهم يركزون
نشاطهم اللاسلكى فى الآونة الحالية على الجزء من كرتنا الارضية
حيث تتضح لهم فى مجال الرؤية جمهورية مصر وأجزاء من
الصحراء الكبرى والسودان وشبه الجزيرة العربية والبحر المتوسط .

تساءل توفيق : ألهذا كان بثهم للرسالة باللغة العربية ؟

- بل ويقومون حاليا .. بتسجيل بعض المشاهد اليومية فى
أماكن متفرقة من مدينة القاهرة بالذات .. هكذا أخبرونى .. مع
ملاحظة أن الاحداث التى يشاهدونها ويقومون بتسجيلها انما هى
قد تم وقوعها لدينا منذ عامين مضيا .. فلا تنس فارق المسافة
والزمن الذى حدثت عن وجوده بيننا وبينهم ..

مد توفيق يدا متلهفة قبض بها على راس مختار فى عنف ..
وحملق فيه بعينين زائغتين ..

- تقول أنهم يقومون بتسجيل أحداث وقعت بالقاهرة منذ عامين؟

- وبآلات تصوير مركبة على تليسكوبات ضخمة فائقة الحساسية
وتستخدم موجات الاشعة تحت الحمراء ..

- هل يمكنهم التصوير على كل هذا البعد .. بوضوح كاف
.. ودقة ؟؟

- ولم لا .. ان أقمار التجسس التى نصنعها نحن بها آلات
تلتقط الآن صوراً مذهلة لأرضنا على ارتفاعات شاهقة .. فما

بالك بما لدى سكان ذلك الكوكب من معدات وأجهزة .. وهم بغير شك أكثر منا تقدما ورقيا فى مضمار العلوم والحضارة ..

أضاف توفيق : والا ما اتصلوا بنا .. بلغتنا ..

وغمغم مختار : أو ما كانوا يتوصلون لطريقة التخاطب لاسلكيا .. فى المستقبل ..

كتم توفيق صريحة كادت تفلت برغمه .. ترك وصغ صاحبه ليعتدل فى جلسته ويقول متخابثا ووجهه ينضج بفرحة غامرة : عظيم .. اذن فبمقدورك أن تقدم لى خدمة جنيلة ..

ارتسمت الحيرة فى عينى مختار : أى خدمة تريد ؟

استدار توفيق يواجه صاحبه : قل لى أولا .. هل تستطيع مخاطبتهم ؟

- اظن أنه .. أمر يمكن تحقيقه .. اننى أعرف مكان كوكبهم بالضبط .. فلدى أطوال موجات ارسالهم .. وأيضا مفتاح رموز النراسل معهم ..

أضاف توفيق : كذلك لا بد أنهم فى بقعة يتربعون أقل بادرة رد على الرسالة التى بعثوا بها ..

- أتعشم أن يتم تلقيهم لردى بطريقة المستقبل التى ابتكروها والا فن يصلهم قبل عامين .. والآن ماذا .. تطلب منى ؟

مال وكيل النيابة فى اتجاه صاحبه وهمس : اعطنى سمعك بأكمله ..

وفى كلمات مركزة سريعة راح يسرد عليه ظروف احدى القضايا التى حققها منذ قرابة العامين .. قضية مقتل المدعوة ابتسام نصحي أبو العينين بسطح دارها خلال غياب زوجها فى عمله الليلي كخفير باحدى المؤسسات الكبرى .. وبين توفيق أن القضية كانت سهلة .. واضحة المعالم والاركان .. فقد أدانت الادلة الابنة صفية دون غيرها .. فهى تعيش مع أبيها وزوجته الشابة فى تلك الدار بعطفة طوسون بالدرب الاحمر ولا رابع معهم .. والابنة هى التى عثرت على الجثة بسطح الدار وهى التى أبلغت الجيران بمقتل صاحببتها .. وقد وجدت ملابس الابنة ملوثة بدماء القنبلة وعثر على بصماتها وحدها على جثمان القنبلة وملابسها

٠٠ كذلك شهد الاب وأقارب الزوجة والجيران بنقمة صفية على الزوجة وتمسى الموت لها علانية ٠٠ وأجمعوا على دوام شجارها مع أبيها لتجربنها على سب عروسه واتهامها إياها بالطمع في أمواله وهي الراقصة ربيبة علب الليل التي لا شرف ولا أصل لها ٠٠ وأما دفاع الابنة صفية ببراءتها وبأنها استيقظت في أعماق الليل على شجار عنيف بين زوجة أبيها ورجل ما فوق سطح حجرتها وأن تلوثها بدماء الضحية أمر طبيعي لأنها الوحيدة التي سارعت لنجدها حين تناهت إليها صرخاتها الفرعة المكتومة ٠٠ فقد كان دفاعا واهيا يدحضه عدم العثور على آثار أو بصمات لأحد غيرها ثم أن الكل شهد بأنها وحدها التي رنيت بجوار الجثة يومذاك ٠٠ على أن الشيء الوحيد الذي كان يقلق وكيل النيابة هو عدم العثور على أداة ارتكاب الجريمة ٠٠ السكين الحاد كما رجح ٠٠ وذلك برغم البحث الدقيق والمحاولات المتكررة لحمل المتهمة على الإرشاد إلى مكان اخفائها ٠٠ وأنهى توفيق كلامه بقوله : ولما كان يوم ارتكاب الجريمة يتفق حدوثه في مثل الاحد غدا ٠٠ مساء ٠٠ ولكن منذ عامين انقضيا ٠٠ لذا فأننى أهيب بك أن تطلب منهم ٠٠ أقصد من سكان الكوكب ٠٠ أن يقوموا بتسجيل كيفية ارتكاب الجريمة التي ذكرتها لك بالدار رقم ٤٨ ج بعطفة طوسون بالدرب الأحمر ٠٠ وحتى أتأكد من مكان اخفاء السكين ٠٠ أداة القتل ٠٠

حاول مختار أن يعترض : سأكون مشغولا طيلة اليومين القادمين .

- فى ماذا ؟

- لا مفر من اعداد تقرير مطول بكافة ظروف وتفاصيل الاتصال التاريخي بين الكوكب المار بقربنا وبين كوكبنا لنشره على الملا ٠٠ فان تحقيق حلم الاتصال بأناس آخرين على كوكب غير كوكبنا حدث عظيم ٠٠ عظيم جدا لا يعقل السكوت عليه ٠٠

- أنا معك أن النبأ سيثير ضجة هائلة ٠٠ لكن يمكن ٠٠ أرجاء اذاعته ليومين أو ثلاثة ٠٠

- ربما لا ٠٠

على أن كلمات وكيل النيابة الملحة وأسلوبه المعسول المستعطف صرعان ما رجحا كفته فأذعن صديقه مختار لرغبته فى النهاية ٠٠



المشهد الرابع : تاريخه الاثنين ٥ ابريل ١٩٦٥ مساء - مكان وقوعه نفس الحجرة الامامية بالطابق الاعلى بفيلا جبل المقطم •

الحجرة مكتظة دافئة يخيم عليها سكون هادئ يمتد عبر نافذتها الوحيدة العريضة الى أرجاء الجبل فيتضح جموده برغم الظلمه الضاربه عليه •• وتبدو المنازل والدور المتناثرة بجوانب شوارعه وكأنها مهجورة •• خاوية تركها ساكنوها مع غروب الشمس وراء خط النيل المتألىء بعيدا ••

ويزداد ثقل السكون •• ويعم الضياع •• حتى أنفاس الرجلين لا يسمع وجيبها •• أو هي من كثرة الترقب والاثارة قد تحولت الى أنفاس باطنية تتلاشى قبل أن تولد ••

ويتردد صدى ناء لصيحة كروان •• مجرد ثوان ولا يعود يسمع •• ويطبق السكون من جديد •• والرجلان جامدان لا يتحركان •• والادوات والجدران قطع من مادة الجبل لها سمات وجهه الخشن الصامد •• ثم يحدث كل شيء دفعة واحدة ••

الانغام الشبيهة بالموسيقى (الكلاسيك) تمزق السكون •• الومضات على شكل كرات أو نقط •• تتراءى •• تتابع ••

ويسارع معيد العلوم بحل رموز الرسالة الوافدة في فضول يكاد يقتله ••

« الى سكان كوكب الارض - الى مدينة القاهرة - الى السائل بجبل المقطم - عاجل جدا - عاجل جدا - اليكم التفاصيل كما تم لنا رصدها وتسجيل وقائعها - زوجة الاب كانت يوم مقتلها على لقاء مع عشيق سابق لها اسمه عاصم - أو عاطف - السيد محمد - تسلل الى سطح دارها في تلك الليلة القمرية ليعاتبها - من الحديث بين العشيق وزوجة الاب اتضحت العلاقة الأثمة التي كانت تربطهما - لقد كان بينهما اتفاق على أن تسلب الزوجة مدخرات الزوج ثم تفر مع العشيق - لكنها أخلت بالاتفاق - الزوجة الشابة ابتسام قررت هجر عشيقها والبقاء مع زوجها - العشيق جن جنونه فاستل سكيناً انهال به طعنا عليها - القاتل كان يلبس قفازا •••

- وحين أحس باقتراب الفتاة صفية قفز من السطح ولاد بالفرار •••

الجانى رجل - القاتل هو عشيق زوجة الاب وكان يعمل فى ذات الملهى الذى تؤدى فيه زوجة الأب رقصاتها قبيل زواجهما الاخير - العشيق فر عقب ارتكابه لجريمته الى بيت والدته بقرية دار السلام - يمكنكم العثور على السكين أداة الجريمة وعلى ملابس للقاتل ملوثة بدم القتيلة مخفأة فى علبة من الورق المقوى دفنت بحديقة البيت رقم ٧٠ بجوار ترعة عطوة بدار السلام على خط مترو القاهرة / حلوان - دفنها القاتل أسفل نخلة ..

- هى النخلة الوحيدة بالحديقة ...

نعيد عليكم الرسالة .. الجانى رجل - القاتل هو ...



المشهد الخامس : تاريخه الاربعاء ١٤ ابريل ١٩٦٥ ظهرا - مكان وقوعه قهوة عكاشة نفسها حيث دأب الصديقان على التلاقى .

- لقد برئت الفتاة بالطبع .. بعد أن قمت بإرشاد الشرطة الى البيت بدار السلام .. وتم العثور على السكين وملابس للقاتل ملوثة بدماء القتيلة مخفأة عميقا بركن الحديقة ..

- وقبضتم على القاتل ؟

- عاطف السيد محمد .. لقد اعترف تفصيلا بجريمته .. زفر مختار زفرة طويلة .. قال والالم والشرود يرتسمان على قسماته .. وقد بدا شاحبا .. مريضا ..

- ليت لى مثل حظك ..

ظهر الانزعاج فى صوت توفيق : أراك متعبا .. متألما ..

- قد ضاع أمل كبير ..

- ما الذى تقصده ؟

قال مختار فى صوت خفيض مهتز : لم يعودوا يتصلون بى ..

- سكان الكوكب المار !!

- آخر رسائلهم هى تلك التى تلقيناها سويا .. بعدها .. اختفت موجاتهم الاشعاعية ..

هتف توفيق : ربما ضاعت الموجات بسبب كوى طارئ .. سبب كوى لاندريه ..

تمتم معيد العلوم ملتاعا : لا اظن .. فلم يجد ما يعكر سبيل
الوضوح والرؤية بيننا وبينهم حسب معلوماتي .. على أنه راح
يحدث نفسه والمسرارة تقطر من شسفتيه المزرقتين .. قد تكون
المسافة بينه وبين أرضنا بعديت قليلا .. وقد تكون طريقة الاتصال
في المستقبل اعترافا بالفشل في رسائلهم التالية .. وقد تكون بقع
شمسنا هي السبب فقد ازدادت ثورتها في الآونة الأخيرة .. قد
يكون هذا السبب أو ذاك .. المهم انني فقدت أدلة اتصالهم بي
.. فقدتها الى غير عودة ..

ربت توفيق على كتف صديقه في حنان وقال وعواطفه تتضح
برغمه في صورة قطرات حائرة بعينيه ..

- لا مفر من أن تحاول ثانية .. ومرات ..

- سأحاول ثانية .. وثالثة .. ودائما .. فان لم يكن سكان
ذلك الكوكب .. فهناك حتما مخلوقات غيرهم على كواكب أخرى
يلفها تيه الكون وغموضه الابدی .. وان لم أحاول أنا .. فسواي
.. كثيرون .. عديدون .. بأنحاء أرضنا .. سيحاولون ..
وينجحون ..

حلوان

ابريل ١٩٧٠

وَجْهَان لِقِصَّة وَاحِدَة

الوجه الاول ..

جميل هذا الصمت العميق .. المطبق .. الذى يندفعون من خلاله .. شاعرية هذه الظلمة المحيطة بهم .. الازدوازية .. المكسورة حداثتها ببثرات النجوم .. ملايين النجوم .. ملايين المجرات كنوف القطن النقية .. تضم ملايين الاجرام المضيئة .. اللامعة .. أو الخابية .. بعضها مضى بذاته .. والبعض يسرق الضياء من جاره المتفجر بالطاقة ..

لكن لا شئ يتحرك من حولهم .. لا شئ يتغير .. اللوحة ثابتة لا تتغير .. وهم أيضا لا يتحركون .. برغم انطلاقتهم الرهيب .. برغم سرعتهم المذهلة .. (١٥٠٠٠ ميل) فى الدقيقة .. والثلاثة لا يشعرون أنهم يتحركون .. القارب وسط اليم ولا جزر حوله .. لا أرض على مرمى البصر .. والرياح ساكنة ساكنة .. فهل يتقدم القارب أماما .. أم هو يتراجع خلفا .

وتعود العيون الست تتفحص الخواء حولهم .. الحيرة والرغبة لا وجود لهما .. بالداخل الارقام لها السيادة .. والارقام تقول أن بعدهم عنها أصبح قوا ٢١٢ مليوناً من الأميال ..

وتتركز العيون تلقائياً فى اتجاهها ..

الأرض .. التى تركوها منذ عشرين يوماً .. هى وحدها التى تتضاءل .. تنكمش .. تصغر .. تبهت .. ويعود الاحساس بالانطلاق .. بالرحلة فى أعماق الكون .. بالدودة الانسانية الساعية فى باطن الأرض مع عماها .. بالطفل الحابى على أعقاب حجرته للمرة الاولى .. بدأب البشر واصرارهم منذ الازل .. بلمحة الفضول التى يسمونها ذكاء وعبقرية ..

ويضع واحد منهم أصبعاً مرهفة على زر .. يضغط .. ويتكلم
فى لاقط الصوت المثبت بذقنه ..

- الى فجر .. الى مركز اطلاق الصواريخ المصرى فجر ..
اليكم تقرير رقم ثلاثمائة وأربعة ..

يستمر تدفق التقرير تحمله موجات التليفزيون الملون فى عكس
مسار السفينة الكونية .. محتويًا على آخر تسجيلات الرحلة .. أرقام
الضغط الجوى والحرارة والرطوبة .. ضخ الأكسجين بداخل
السفينة .. سرعة انطلاقها وزوايا الانحراف وتصحيح المسار
.. وصف دقيق للظواهر الفلكية حول الأرض التى تركوها وتابعها
المقطب القسمات .. ثم حول المريخ .. الكوكب الذى مروا
بجواره منذ ٤٠٠ ساعة زمنية .. وتسجيل للنيازك التى يقابلونها
.. وفحص لتركيبات الغاز فيما بين السيارات والمذنبات ..
واختبار لجسيمات الشهب فى الفضاء .. ورصد للمجرات
والنجوم وأشباه النجوم المنتشرة بعمق الكون الفسيح ..

كلها أعمال رتيبة .. مألوفة .. سبق القيام بها فى رحلات
مشابهة ..

- انظروا ..

تستدير العيون تلقائياً .. تحمق ..

- يا للروعة ..

- ساحر .. بالغ أقصى درجات الابداع ..

ونملاً الرؤية نافذة السفينة الخلفية مثلثة الشكل .. المشهد
فريد .. لم يسبق أن وقع عليه بصر كائن أرضى قبلاً .. على البعد
.. على البعد القصى .. عند مسار فلك رابع الكواكب قرباً من
الشمس .. راح المريخ .. الكوكب الأحمر .. يسعى حثيثاً
لحجب الأشعة الذهبية .. من قبل السفينة توغل فى النسيء عن
النجم الأم .. عن الشمس .. الذى يمد مجموعة كواكبه بفيض
ثابت من الأشعة .. من الضوء والحرارة .. كلما نأت عنه فقدت
أشعة النجم الملتهب سطوتها .. وأصبحت أكثر برودة .. وأكثر
اعتاماً ..

لكن اللحظة .. الكوكب المريخى يصر على حجب الضياء كلية
.. يتقدم فى جراءة أمام القرص البرتقالى .. الباهت .. المتقلص
هما تعودت العين على رؤياه فوق ظهر الأرض .. وخلال دقائق

يعتلى الكوكب قرص الشمس .. فيحدث الكسوف .. تختفى
الاشعة .. فيما عدا حزاما متوهجا من الالوان الاخاذة يلف المريخ
المرئى فى لمسات حنو رصين ..

- نحن اول بشر يرون كسوف الشمس يحدثه المريخ ..
- وهل هناك غيرنا ليستمتعوا بما نشاهد ؟
- سفينة كونية مصرية ستغادر الارض منتصف الشهر القادم ..
- وتتجه فى نفس مسارنا ..
- انا أقصد مخلوقات غير أهل الارض .. ليروا ما نرى ..
- سكان الكواكب ؟
- أجل .. أين هم ؟ !

غامضة هذه النظرية .. هذه الرغبة المنقوشة بلوح وجودهم
.. الامنية التى ترجف قلوبهم .. الصيحة التى أطلقها أكثر من
واحد منهم .. غامضة .. ومبهمة .. واسطورية .. لا أحد
يمل تكرارها .. الكل يستعذبها .. يهفو اليها .. والكل يرتعد لها ..

الكون على اتساعه ملئ بملايين المجرات .. المشغولة بدورها
بملايين النجوم المتألقة .. وكل نجم غالبا ما يأسر فى فلكه
مجموعة من الاجرام الكوكبية .. ترى فكم ملايين الملايين أعداد
الكواكب بانحاء الكون .. وما مدى فرص قيام حياة تشابه الحياة
الارضية على ظهر أحداها ؟

وهل لا بد من تماثل الحياة على الارض مع غيرها .. ألا
تعيش مخلوقات أخرى فى ظروف مختلفة .. مجمدة فلا تموت
كأنجراثيم .. أو تتنفس ثانى أكسيد الكربون مثل النبات .. وربما
بخار الماء كما تفعل أنواع من الفطر .. أو تتنفس أى غاز خلاف
الاكسجين .. أو حتى لا تعرف التنفس اطلاقا وليست لها رئات
ولا خياشيم ولا مسام للتمثيل الجوى ..

غريبة هذه العقول التى تنحو اتجاهات فلسفية معقدة ..
مغلقة .. التى تغرق خلاياها المفكرة فى تيه من الاوهام والتصورات
.. فى دوامة النظريات .. الخيالية ..

فمستحيل أن يضم الكون مخلوقات ذكية غيرنا ولا تتصل
بنا للأن ..

وغير منطقي أن تفشل كل محاولاتنا على تعددها وتنوعها في جذب أنظار أى كائنات حية الى حقيقة وجودنا على كوكب الارض .. بل ان الطبيعة لا تكرر نفسها مرتين والظروف الكونية والفلكية ضمنية بمثل النموذج الارضى الفريد .. الوحيد ..

ثم التجارب العلمية .. العملية منها بالذات .. ما تزال تثبت هكس النظريات العاطفية ..

التجارب العملية تقول لا حياة على القمر .. ولا على عطارد والزهرة والمريخ .. فهل يجدونها على سطح المشتري الذى يتجهون اليه الآن ؟

كل الدراسات والتكهنات تؤكد خلو عملاق المجموعة الشمسية والذى يبعد عن الارض بـ ٣٩٠ مليون ميل من أتفه دليل او مظهر للخلق ..

مكابرة هذه العقول التى تصر على احتمال وجود ولو نوعا من الحياة الدنيئة على المشتري وهى تعرف أن حرارته فى المتوسط تقل عن ١٤٠ درجة تحت الصفر .. وان الغازات على سطحه - وأولها الايدروجين - توجد فى حالة صلابة تعلوها سحب كثيفة من غازات الامونيا والميثان والنشادر .. وأن جاذبيته تبلغ قدر جاذبية الارض مرتين ونصف مرة ..

- انتباه .. انتباه .. خرجنا توا من منطقة النجيمات ..
- تعليمات .. توقف المغناطيسية المنفرة المانعة للصدام بالنجيمات .. وتضاء خريطة النجوم ولوحة القياس الردارى ..
- الجاذبية المنفرة أوقفت ..

- يتضح الآن بخريطة النجوم الجزء الاسفل من كوكبة السفينة .. وكوكبة الصليب الجنوبى .. وكوكبة قنطورس .. والحافة الشمالية لكوكبة المائدة ..

- تعليمات .. يحول مسار السفينة فى اتجاه ٣٤ درجة جنوبا .. لتبتعد بنا عن جاذبية المشتري .. حتى تحين اللحظة المناسبة للدخول فيها فلا نسحق سحقا ..

- الاتجاه جنوبا .. بانحراف ملائم قدره ٣٤ درجة ..
ونتحرف السفينة الكونية الضخمة « برق السماء » لتدور بعيدا

بخمسة وعشرين مليوناً من الاميال عن مجال جاذبية سيار
المشتري الجبارة ..



أخيراً .. يبقى هو .. ووحدته الابدية .. أخيراً .. أخيراً ..
اللانهاية تحيطه تغلفه بوحشة الفراغ .. الضياع .. العدم ..
أخيراً - وقد مرت فترة زمنية حافلة بالعمل الشاق - تهجع
أربع عيون .. تسحب الى هوة النسوم بلا احلام مرعجه بعد ان
تناول صاحبها كبسولات زرقاء وتبت كل منهما منها على راسه
ثم أويا الى مضجعيهما المصنوعين من الالياف الزجاجية ..

ولا تبقى يقظتان .. مفتوحتان .. غير عينية هو .. تطلان من
فوق شاربته الكثيف كعيني وحش حبيس ..

يهمس لنفسه .. يكلم الآخر المؤنس لوحده القائلة التي تمزق أعماقه

- انها رحلتى الثانية فى الفضاء .. قد عدت أصبح فى الدرب
المظلم .. الحالك السواد .. على هدى النجوم .. المتناثرة على
مرمى بصرى .. عاد جسدى حبيسا بداخل العلبه التي تأخذ
شكل سهم يتقدم أماما بذوابته .. عاد حبيسا .. مقيدا .. مع
أفكارى .. هنا .. أنا وأفكارى .. هنا .. أنا وأفكارى ..
والحواء من حولى .. هنا .. المكان الوحيد الأمن من حماقات
صديقتى .. من سخرية صاحباتها .. من هزه زملائنا ومعارفنا
.. هنا .. أنا وحدى مع فكرى المسيطر .. مع حريتى .. مع
الانطلاقة الرهيبة الى المجهول .. بل الى حيث توجد مخلوقات
لا تعرف قسوة الانسان .. ولا تعرف استعباد المخلوق لنفسه ..

لكن .. أتوجد حقاً مخلوقات .. أخرى .. غير مخلوقات
الارض .. على غرارها او مختلفة عنها ؟ مخلوقات نحيا فى دعة
.. فى اخاء .. فى سلام .. لا يشترط أن تكون راقية .. متقدمة
الحضارة .. يكفى أن تكون مسالمة ! هو واحد منهم .. لا تحذف
أفكاره عن أفكارهم .. لا يشذ عقله عن اتجاه عقولهم .. يفيد
نفس القيد .. نفس الاغلال الثقيلة التي تقيدهم ..

هو واحد من البشر .. واحد من أبناء آدم .. من نسل حواء
التي خرجت من ضلع آدم .. هو واحد جده انسان العاب ..
وجد جده القرد وأول جدوده الاميبة ..

واحد كبقية المماثلين له .. مل أمه الأرض .. وتاه فى الكون ..
عنه يجد الملجأ والملاذ فى كنف كائنات - أيا تتشكّل - يرجو
تواجدها .. يصورها بخياله المثقل بعقده وأمراضه .. يهرب إليها
من واقعه الأرضى .. وما يلفه من منازعات ودساس وفتن
وحروب .. حربه مع صديقه .. حبيبته .. صورة مصغرة لما
يمزق عالمه من جراح دامية لا تلتئم ..

مسكين هذا الواحد مثلما كلهم مساكين غرس الأرض ..
بؤساء .. مفرغة عقولهم من المنطق السليم .. من واقعية زرعهم
الأرضى .. مسلوبة إرادتهم بسطوتهم العلمية .. بما توصلوا
إليه من انجازات متطورة خارقة فى ميدان التحضر البشرى ..
حتى امنوا بأنفسهم سادة الأرض .. وسادة لما يجاورهم من
كواكب جرداء .. وقريبا سادة لمجرتهم .. ومستقبلا سادة للكون
بأجمعه .. وقد خلا من الخلق .. خلا من الحياة فيما عداهم ..
وحدهم .. لا منازع لهم لا منافس لسلطانهم .. لجبروتهم ..
لسطوتهم الآمرة .. بلا حدود .. الجرثومة الآدمية هى وحدها
النامية .. الجرثومة الآدمية بعد أن شبت فى مختبرها .. كسرت
.. انطلقت منه .. غزت ما حوله .. كل ما حول المختبر ..
وما فى نطاقه .. ثم زحفت للخارج .. بعيدا عنه .. بعيدا جدا
عنه .. هى تجوب الآن الحجرة .. المجموعة الشمسية ..
وقريبا سيصل مداها الى الحجرات المجاورة الى المسكن كله ..
المسكن المجرة .. ومن بعد المسكن حديقته لتصل الى المسكن التالى
بعده .. فالمساكن القريبة ثم القصية .. المجرات الأخرى ..
ومن يدرى الى أين المطاف بعد آلاف السنين .. وآلاف آلاف
السنين ..

وخارج المختبر .. فى الحجرة المجاورة أو المسكن التالى ..
فى أقصى الأماكن نأيا .. هل من جراثيم حية .. مماثلة .. من
نوع مختلف .. من نوع خيالى لا يتصوره عقل ..

هل من لمحة حياة ..

حتى اللحظة الشئ الأكيد .. هو النفى ..

اذن فهذا الواحد ليس مسكينا .. بقدر فكره وتصوره هو ليس
متجنيا ولا مختالا .. بقدر معلوماته وانجازاته أقل القليل أن
يركبه الغرور .. والصلف ..

- أنا هنا آمن من سلاطة صديقتي .. من علاقاتها السخيفة
بشبان .. صبية .. تافهى الملبس والمظهر .. هم أقدر منى على
مجاراة رقصاتها الخلية .. سهراتها المشحونة بالشراب واكوام
الطعام ولعب الورق .. أقدر منى فى مشاركة نزواتها .. طيشها
.. جنونها .. لكنى ما زلت أبزهم .. أنا بالفعل أجراً منهم على
خوض المخاطر الواقعية .. على أخذ طريق الفضاء عنوة ..
قسراً .. نظرات صديقتي .. فتاتى .. نظراتها الجنسية تستغرنى
.. تثيرنى .. تقلب معدتى .. ألا تشبع من هذا الشيء .. كذا
نظرات زميلاتنا .. قريباتنا .. ماذا يرين فى .. أنا هنا آمن
من محولاتهن كلهن .. آمن من أهواء كل ذوات الشعر السائب
والصدور البارزة الرجراجة فى تقزز .. فهل أجد أخريات لسن
على شاكلة فتاتى .. على الأقل غير منفرات مثلها .. مع كل
.. فالكون على اتساعه .. على مذهل أبعاده واتساع أنحائه ..
على زحمة جوانبه بالاجرام العملاقة والقزمة والمتناهية الصغر
على هيئة ذرات .. على ما يتداخل فيه من ضياء مبهر وظلمة
حالكة .. ثورة وفوران وسخونة لافحة أو سكون وبرودة يخيم
عليهما العدم .. هذا الكون الذى يستحيل تصور أبعاده .. هذا
الكون قد خلا مما عدانا .. نحن البشر ..

أرضنا لا يوجد مثل لظروفها ..

أناسنا .. لم تتكرر صورهم السامية .. المنحطة ..

هناك شمس لا يمكن حصر أعدادها .. وهناك كواكب ..
أجرام سيارة .. كتل حجرية وأخرى غازية ..

سحابات كثيفة .. هشة .. تتراكم من غبار ومن مواد مرئية
وغير مرئية ..

ولا دليل .. أتفه دليل .. على وجود أحياء .. من أى نوع
.. وعلى أى صورة أو شكل .. أين الأحياء فى عرض الكون
.. أين .. أين ...



تستدير السفينة الكونية لتتحرف خمس درجات جديدة فى طريق
تلمسها زاوية الدخول الى جو المشتري .. تنحرف لتتقرب عن كذب
سمائه الكثيفة المليئة ببثورات الميثان الثلجية ..

وتمر فترة زمنية تالية ٠٠ تم حسابها بمقياس أرضي دقيق
وحدته « الساعة ٦٠ دقيقة » ولا قيد عليه من شروق شمس أو
غروب لها ٠٠ فالشمس في هذه الآونة نجم ٠٠ معلق ٠٠ بعيد
٠٠ يصل ضوءه في مشقة ووهن كأنه يحتضر ٠٠

يثبت اثنان من ملاحى السفينة الثلاثة منبهى الإيقاظ ٠٠ وتغفو
عيونهم الأربع في الموعد المحدد ٠٠ وتبقى عينان ساهرتان
كالاعتاد ٠٠ عينان مدربتان ٠٠ تجذبهما عدسة المنظار الفلكي
بالسفينة ٠٠ تسمرهما ٠٠ وتسمر القلب الذى يدفع بالدماء من
أجل حياتهما ٠٠ فلا يدق ٠٠ ولا تطرفان ٠٠ فهناك ٠٠ فى ركن
الكون ٠٠ ركن من أركان الكون ٠٠ تتجلى قطرة من بحر الخالق
العظيم ٠٠ تتراءى فى عنفها وذراها ٠٠ وبالرغم من بعدها بعشرة
ملايين سنة ضوئية فهى واضحة ٠٠ مرعبة ٠٠ يلفها الجلال والرهبة ٠

إنها مجرة بأكملها ٠٠ وقد انفلقت من مركزها ٠٠ من قلب
نواتها ٠٠ أضواء ضوءا باهرا ٠٠ ليس مثله ضوء ٠٠ ثم ندت
السنة جبارة من رفات ملايين النجوم ٠٠ والسنة مهولة من الغازات
ومسحابات الغبار القاتم الكثيف ٠٠ وراحت السنة تندلع بسرعة
٦٠٠ ميل فى الثانية ٠٠ ليصل مداها الى بعد ١٤ الف سنة ضوئية ٠

وتحركت عينا الرجل بعد طول تحديق ٠٠ أخذ نفسا عميقا ٠٠
فتحرك قلبه يدق مترجعا ٠٠ ورمشت عيناه ٠٠ ان وزن الحطام
الذرى الناتج عن انفجار المجرة يقدر بوزن خمسة ملايين مثل
شمسنا ٠٠ وقد تولدت طاقة تدميرية ربانية تقدر بمليون بليون
بليون بليون قبلية هيدروجينية ٠٠

تدور عيناه فى قلق وقد لمع سوادهما من خلال رقعة الوجه
الاملس المكتنز الناصع البياض ٠٠ ويناجى الرجل داخله ٠٠
يسمع الصوت ويعيش معه ٠٠

- ينام اثنان ٠٠ يبقى الثالث متيقظا ٠٠ هكذا النظام ٠٠
التعليمات ٠٠ لا ارتجال ٠٠ ولا فوضى ٠٠ كلمة الصدفة محذوفة
٠٠ الزمن ٠٠ الوقت ٠٠ يقيدان كل حركة ٠٠ قيودهما خفية ٠٠
قوية ٠٠ فولاذية ٠٠ هما ناتمان وأنا وحدى متيقظ ٠٠ أطل بوجهى
من نافذة السفينة ٠٠ ضياء المشتري العملاق حابية ٠٠ ضياؤه
عكرة ٠٠ كأن ضبابا منيرا يغلفه ٠٠ وفى الخلفية الملح رؤوس
الدبابيس المتألئة ٠٠ اننى أطل على نور الله ٠٠ على خارق
قدرات الله ٠٠ هذه سماواته ٠٠ واحدة من سمواته ٠٠ هذا الكون

من بنائه .. هذا نظامه المحكم البديع .. وهذه ومضات الضوء
نوره الاعظم .. من نور الله تشكل العدم وجودا .. ومن دون
ملايين الملايين من الاجرام السماوية .. خلق الله عبده على الارض
.. ولم يخلق غيره على جرم آخر .. فهل خلق غير ابناء آدم حقا ؟؟

يا الهى .. يا رب الكون اللانهائى .. يا رب السماوات
والارض .. ابعد عني أفكارى العاصية .. انتشلني من محنة
عقلي الدائب الاستفسار فى عقوق .. فان تساؤلاته تفرعننى ..
تخفئننى .. تسحقننى ..

يا الهى .. ان مشروعى الآخر فيه الملاذ .. ان شركة سيارات
النقل التى أزمع تكوينها هى خلاصى من أفكار وحدتى كلما انطلقت
بصاروخ الى رحاب كونك الشاسع .. المذهل .. الذى ليست له
بداية ولا نهاية .. ان لى ولدين .. هما أحق برعايتي ..
بتواجدي معهما .. وقبر زوجتى محتاج لارويه بدموعى ..

يا الهى .. حقق فوزى .. اجعلهم يقبلون تقاعدى .. يستغنون
عنى كملاح كونى .. يتركونى لحال مسبيلى لاحقق مشروعى
الارضى .. فأعمل على ظهر كوكب الارض .. لا خارجه .. لا
بعيدا عنه .. فلا أعود لمحنة أفكارى .. الشاذة .. الشوهاء ..

آخر يحمل نفس الانطباع .. العقيدة .. ولا يجروء على
الافصاح .. ان أحدث النظريات .. نظرية « الاستحالة » ..
تنفى بالقطع تواجد مخلوقات فى مكان ما بالكون سواء كانت
راقية أم رديئة ..

نظرية الاستحالة .. واللاممكن .. وغير المنتظر .. نظرية
رياضية فلسفية تحتم أن مستعمر الكون - فى القريب العاجل -
هو الانسان .. انسان الارض .. وحده ..

فهذا المخلوق حامل العقل المفكر على عنقه الرفيع له قوة منحدر
الماء واصراره .. فى اتجاه بعينه يجتاح على السدوام كل ما
يصادف طريقه .. يجتاحه ويفرقه .. ليعتليه فى هدوء الازل ..
لا ينكص ولا يتقهقر .. فقط يتقدم عنيفا مكتسحا .. قد يخرب
بغريزة دفينه ما يصل يمينه .. أو قد يحيله بعصاة خياله السحرية
الى ما يزيد رفاهيته ..

وان اعترضه عائق فهو الغاضب .. الشلال الهادر الذى
يحمل آلاف المعاول يمهّد بها خط سيره وخط قدره .. الى أن

تقوده خطاه المهرولة .. بعد طول الرحلة وكثرة مشاقها .. الى
ختام المطاف .. الى نهايته المحتمة .. فينسكب في البحر العظيم
.. في اللجة المتسعة الفائرة .. فيتلاشى كل أثر له ..



- الى القاعدة الدولية « م.ك » .. الى قاعدة المراقبة الكونية
الدولية بالقارة المتجمدة الجنوبية « م.ك » .. تحياتنا من « برق
السماء » في مناسبة العيد الخمسين لقيام هيئة الامم المتحدة ..
تحياتنا .. وتمنياتنا بالوثام والرفاهيه يسودان كوكب الارض ..

يبقى ثالث ملاحى الفضاء متيقظا وحده ..

قائد السفينة الاسمر الجاد القسمات .. نجم الشاشة الصغيرة
المرتقب .. معبود صغار السن الاقل من ١٦ عاما .. لا تخرج
افكاره ولا يشذ ايمانه عن النطاق الشامخ المعتقد بقدرات البشر
الى ذراها ..

لكنه لا يترك لافكاره السيطرة النهائية عليه .. ولا يسمح
لبصره بالتوهان عبر نافذة السفينة فيما لا يفيد .. فوقه لا يتسع
لغير تشغيل الآلات المعقدة .. وادارة ما يحيطه من أجهزة رصد
وتسجيل ومراقبة فلكية وتفقد أردية الخروج من السفينة والمقاعد
الطائرة المزود كل منها بفوهتى دفع نفثات تستخدم فى تجوال
الرواد .. وغير ذلك من أدوات برنامج الرحلة الحافل الذى
تنطلق السفينة من أجله مسيرة الصمت بعيدا عن كوكب الارض ..
ينكب على لوحة القيادة الرئيسية .. يراجع البيانات ..
يراجع أجهزة المراقبة فى دقة وأناة ..

تمر ست وأربعون دقيقة .. يفرد جسده .. يقف .. يتقدم
قدر نصف متر .. يشرب بعنقه الى أعلى .. يلمس عجلة بسقف
السفينة فيديرها .. تلتق بالجدران رجفة يسيرة مكتومة ..
لقد أدار خلية الوقود التى تزود الملاحين بمياه الشرب عن طريق
مزج عنصرى الاكسجين والهيدروجين بوسيلة كهروكيميائية ..

والى أن تملأ القطرات المتساقطة وعاء الخلية الشفاف فانه
يبدأ فى تناول وجبة مركزة .. ما الذى تضمه العلبة الورقية ..
شطائر البكتريا ذات نكهة الخرشوف المسلوق مضافا اليه الزبد
.. انه لا يستسيغ طعمها .. وهذا كيس مسحوق البروتين
المستخلص من النفايات البترولية .. هى لذيذة لكنه قد مل تناولها
.. وماذا فى اللفافة الصفراء .. أه .. أقراص وقوالب جيلاتين

الفيتامينات والاملاح المعدنية .. أيضا لا يحبها برغم أهميتها ..
واللغافة البيضاء .. بها شرائح عجينة الطحالب المزوجة بعناصر
رائحة ومذاق لحم الضأن .. واكتفى بقضم شريحة طحلبية ..
انها تذكره بقطعان الخراف التي نشأ على رؤيتها بمرعى جدو
بواحة سيوة حيث ولد ..

وتبعث الذكرى فيه حثينا غامضا .. فيزفر من أعماقه زفرة
طويلة .. حلوة ..

فى بطء يفتح الصنبور ليملأ كوبا بالياه النقية .. يرشف
محتويات الكوب فى تودة .. على أنه بلا مناسبة - وقد ملا
معدته - يتذكر كذلك النقاش الذى غالبا ما يدور بين رفيقيه
على مسمع منه دون أن يشترك فيه .. يتذكر حدة كل منهما ..
تشبته برأيه .. حينئذ وفى خفية منهما أثناء نوبة سباتهما يمد
أصبعه برغمه يجذب مقبضا فضيا أملس -

ووقتها .. أجابه الحاسب الالىكترونى الناطق فى لهجة ساخرة ..

— بالطبع — الانسان — الحيوان — الناطق — هو سيد — الكون
ولا — حيوان — هناك — غيره — يدانيه — فى — ثرائه — أو
— تعاسته — — — —

ويطوى القائد الاسمر رموشه على فؤاده .. يتمتم فى استكانة
ونظراته تحط فى تراخ على عداد الجهاز المتصل ب صدره وذراعه
اليسرى دون أن يقرأ تسجيله المتتابع لانتظام دقات قلبه ..

— لا ريب .. الانسان سيد الكون بلا منازع .. ولكنه ليس
.. سيدا .. لنفسه .. انه ما يزال عبدا .. ذليلا .. لاطماعه
.. لقد ارتكب جريمته الاولى منذ آلاف السنين .. قتل أخاه
هابيل فى لحظة ضعف وضياع .. قتله وما درى انه .. بيده
المرقعة .. قتل ذاته .. ومن يومها أصبح منقادا .. أسيرا
.. لعقدة ذنبه .. محال أن يصبح الانسان .. سيدا حقيقيا ..
وهو ما يزال يرسف فى أغلال شهوة القتل والتدمير والافناء التى
لن يملك الفكك منها أبدا .. والتى لن يسلاها أبدا ..



وتومض لمبة حمراء بسقف السفينة .. ويتعالى أزيز متقطع
.. كلما ومضت الللمبة سمع الازيز .. يصحو الرجل من غفوة
أفكاره .. تدور عيناه الخبيرتان بعجلة تتفحصان عشرات القراءات

بعضرات العدادات والمؤشرات .. تتوقف عيناه .. العداد المنحني
في نصف دائرة يعطى دلالة خطيرة ..

السرعة تزداد تلقائيا ..

١٦ ألف ميل في الدقيقة ..

١٧٠٠٠ - ١٨٠٠٠ - ١٩٠٠٠ - ٢٠٠٠٠ - ٢١٠٠٠ -

السرعة ليست ملموسة لحواسه .. لكنها تطرق خلايا عقله
طرقات متلاحقة .. قرعبه ..

ويستيقظ الملاحان الآخران ..

على الفور ينكب ثلاثتهم على أجهزة السفينة في تحفز وارهاق
.. يديرون تلسكوب الرؤية التليفزيونية وأجهزة القياس المعقدة
.. ويكتشفون انحراف المركبة المباغت بزاوية حادة تجاه سطح
المشتري .. ويكتشفون ارتفاع حرارة السطح الخارجى للسفينة
.. ثم يكتشفون انقطاع الاتصال اللاسلكى مع الارض ..

ويروح الحاسب الالىكترونى الناطق يردد فى نبرات صدى ..
عصيبة .. لا تكل ..

— قوى — جذب مجهولة — تسيطر — على — مسار — سفينتنا
— وتحوله — فى — اتجاه — سطح — كوكب — المشتري — مباشرة
— لدى — خط — استوائه — — — —

وتستحث أصابع الرجال فى لهفة أزرار الحاسب الالىكترونى
ليفصح عن كنه القوى المجهولة التى تسحبهم الى حتفهم .. فيردد
الحاسب شاردا على غير عادته :

— لا — أعرف — لا — أعرف — لا — أعرف — — — —

تغشى نافذة السفينة ذرات غبار مضيئة .. ذرات غبار كثيفة
تتراقص فى سرعة ونشاط غريبين ..

ويظل الحاسب يزعق : — لا — أعرف — لا — أعرف

تزداد حرارة السفينة حتى يصبح تنفس الاكسجين المصنع
محليا عسيرا .. شاقا ..

— لا — أعرف — لا — أعرف — — — —

٥٤٠٠٠ ميل - ٥٨٠٠٠ ميل - ٦٨٠٠٠ ميل - ٧٩٠٠٠ ميل
ميل - ٦٠٠٠٠ ميل - ١٠٠٠٠٠ ميل ٠٠ ويصير الضغط الجوى
بإسداخل وبرعم أجهزة الامان عملية الم لا تطاق ٠٠ ورعم احدام
الجدران السميحه يسقط انوفهم رائحة المسبق العطن ٠٠ ما
حدايتها ٠٠ من اين جاءت ٠٠ لا يدرون ٠٠ فقط هي تريد مرارة
عذابهم ٠٠

- لا - أعرف - لا - أعرف - - - -
تتجمد حرحه الملاحين الثلاثة ٠٠ الا من تردد خافت لرنات
متحشجة ٠٠ وقنوب مطحونة محضرة ٠٠
- لا - أعرف - لا - أعرف - لا - أعرف - -



الوجه الثانى

لو ترك مؤثر جهاز استقبال لاسلكى يتجول على هواه ٠٠ بلا
هدف ٠٠ على صفحة احدى موجات الاثير العصار ٠٠ فان
ما يتعالى فى اعلاه من اصوات لن يكون أكثر تشويشا وخطا
وتضاربا فى حدة النغمات عما راح يتارجح فى هذه الآونة ٠٠
قاره بين الحفوت الشديد ٠٠ وقارة الى الاندفاع القاسى الى
عنف الانفجار ٠٠

فى قتال ٠٠ رقابة ٠٠ بدا وكأنه شريط أبدي ٠٠ لا بداية له
ولا نهاية ٠٠ من الصرخات والانات والسجار ٠٠ يمتزج بحسبو
الايقاع ٠٠ بعد ان يدفعه نفخ بوق بدائى ٠٠ خفى ٠٠

نغم خافت ٠٠ يهف بطيئا ٠٠ بعيدا ٠٠ يعرض ٠٠ يزداد وقعه
٠٠ له جلبه ٠٠ تعثره هممة ٠٠ نغم وهممة ٠٠ ثم حفيف ٠٠
بل صرير ٠٠ بل قعقة ٠٠ وضربات طبل يقترب ٠٠ ومواء ٠٠
ما هو أشبه بالمواء ٠٠ يضخم ٠٠ يشتد ٠٠ يصرخ ٠٠ وانفجار
بعيد ٠٠ وانفجار أقرب ٠٠ وزلزلة ٠٠ وأصوات حادة ٠٠ منداخلة
٠٠ متصارعة ٠٠ تتناقش ٠٠ تتفاهم ٠٠ تضطرب ٠٠ تتلاقى ٠٠
تخفت ٠٠ وتبقى همسات ٠٠ صفير ٠٠ صفير وهمس ٠٠ ودمدمة
قصية ٠٠ راحلة ٠٠ ونقرات ٠٠ تجميع ٠٠ تتباعد ٠٠ تنقطع
٠٠ تصير هففة ٠٠ نسمة ٠٠ مرور نسمة ٠٠ نغم خافت ٠٠
٠٠ منفرد ٠٠ ينساب فى ايقاع شاعرى ٠٠

ويطبق الصمت ٠٠ ولا يبق سوى طنين البوق ٠٠ بينما تتلاحق

الثونى ٠٠ أو الدقائق ٠٠ وربما الساعات ٠٠ ثم يدور الشريط
من جديد ٠٠ مرة أخرى ٠٠ ومرات ٠٠ ومرات ٠٠ ومرات ٠٠
لا بداية له ولا نهاية ٠٠

وتتحرك كتلة الهلام ٠٠ الجيلتين المتماسكة ٠٠ وتتحرك قبالتها
كتلة ثانية ٠٠ ولا ملامح محددة للكتلتين ٠٠ عدا نهايات مثلث
لكل منهما ٠٠ تعلوه قمة رفيعة وينتهى فى أسفل بقاعدة منفصلة
من منتصفها على هيئة صخرتين أو فخذين أو تلين ٠٠

على أن القمة أكثر صلابة ٠٠ أو هى صناعية ٠٠ تشبه
طاقية ٠٠ قدر مقلوب ٠٠ قمع حانى الطرف ٠٠ والقمة تملؤها
زوائد ٠٠ بؤرات حساسية ٠٠ للرؤية ٠٠ والشم ٠٠ واللمس
٠٠ الانذار بالخطر ٠٠ الاسترخاء ٠٠ التخاطب عبر مسافات
٠٠ العلاج الذاتى ٠٠ الاتصال بالموتى ٠٠ تحمل الصقيع وتحمل
ما دون الصفر المطلق ٠٠ امتصاص الطاقة وافراز مخلفات الاحتراق
وغيرها بؤرات عديدة ٠٠ رئيسية ٠٠ وثنائية ٠٠

وثمة جهاز مسيطر ٠٠ يحرك بؤرات الحساسية ويحافظ عليها
من التلف ٠٠ هو عقل ٠٠ لا بل أرقى من مجرد عقل ٠٠ انه صندوق
غضروفى به خلايا ليفية ٠٠ بالغ الصغر بالغ الدقة والتشعب ٠٠
ومركزه قلب القمع من الداخل أو قلب الطاقية ٠٠ وتحيطه
البؤرات وقد اتصلت به عن طريق شبكة أنابيب عصبية جرثومية
رقيقة ٠٠

تتحرك كتلتا الهلام تنسابان عبر درب زلق ٠٠ الارضية بلورية
ضاوية زلقة ٠٠ ذرات البلور نقية ٠٠ رائعة ٠٠ تعكس قامتى
كتلتى الهلام كالمرآة ٠٠ تعكس هرمين عملاقين مائلين ٠٠ باهتين ٠٠

وأرض البلور تمتد باتساع مهول ٠٠ تقاس بمئات الأبعاد التى
تفوق الكيلو والميل طولا ٠٠ أرض ملساء ناعمة تعكس المرئيات
٠٠ والسماء الملبدة بالسحب والضباب الدائم الذى لا تنقشع فيه
الا فرجات نادرة يعكس بدوره ما تعكسه الأرض ٠٠ والسطح
عموما ٠٠ فى أسفله وفى أعلاه ٠٠ مرايا متداخلة لا تنتهى ٠٠

المرايا تصور أشكالا ولا تصور ألوانا ٠٠ أرض البلور لاتعرف
الألوان ولا تعرف تدرج قوس قزح ٠٠ بؤر الرؤية لدى كتل الهلام
لاتميز سوى الابيض والاسود ٠٠ وان استطاعت أن تميز فى وضوح
٠٠ وبرغم قلة الضوء ٠٠ ما يترامى لدى الافق البعيد ٠٠

يمينا ذلك المجرى العريض من غازات الميثان والنوشادر
السائلة تمتد وراء تلال داكنة كونتها غازات الامونيا البلورية
المتجمدة بفعل البرودة الخيالية الراسخة منذ أزمنة سحيقة في القدم .

ويسارا مستعمرات القباب المعدنية المضيئة الجدران بذاتها .
وقبلها . . وفيما وراءها وبطول الدرب يسارا . . استقامت محطات
التدفئة الجوفية . . ومحطات بث تيارات الليزر للنقل بين المستعمرات
. . ومحطات الحد من مغناطيسية الكوكب الطبيعية . .

وفيما وراء ذلك كله . . اليمين واليسار . . فيما وراءهما . .
بعيدا . . بعيدا جدا . . هناك شيء يصل السماء بقمم التلال . .
يلتحم بهما . . ومضات خاطفة لبرق لم يكف أبدا عن الوميض
منذ ملايين السنين . . وهمهمات رعد خافتة متلاحقة . . تعبت
. . تعوى . . تتلاطم أصداؤها . . خارج نطاق المحطات
المغناطيسية . . فوق صحراوات الكوكب الجليدية المهولة بلا حدود
أو آفاق .

خلال أحد تيارات الليزر كان انسياب كتلتى الهلام . . فى
ليونة ويسر . . كأنهما تسبحان على صفحة البللور . . يسبقهما
هرما ظليهما . . الباهتين . . وتحيطهما نفحات رطبة من غاز
النوشادر الخفيف . .

وتومض شحنة غير مرئية لها طاقة التعبير وليست لها نغمات
صوت . .

- محطة التدفئة الرئيسية بها مولد معطب . .
وتجيب شحنة مماثلة مصدرها الكائن الهلامى الآخر . .
- القبضات المفكرة تقوم حاليا باصلاح العطب . .
- ومحطة تدفئة معمل أجنة الانابيب . أتم تزويدها بمحرك
الذئب النوشادرى . . أم رضى ادارتها كالمتبع عادة بواسطة مولدات
التفاعل الكيميائية .

- لم يبت فى أمرها بعد .
- متى اذن ؟

- ليس قبل أن ننتهى من تمهيد الطريق الثلجى الاضافى .
- سأطلب من الاب الروحى . حاكم القطاع . أن يزيد من
طاقات القبضات المفكرة ١٤ درجة ضعف .

• وهو ما يحقق الغرض •

وتبرز من فرجة بالسحاب كرة رمادية •• مضيئة على البعد
•• قمر منير يعبر السماء •• فى أعقابه •• بعد برهة •• يمر
قمر ثان أكبر فى الحجم •• وقمر ثالث فرابع •• الا أن الفرجة
سرعان ما تلتحم من جديد دون أن تتضح بقية توابع الكوكب ••
وتكون كتلتا الهلام قد وصلتا الى أول الهامات الشاهقة على شكل
أبراج ذات قباب مدببة الاطراف •• وتغادران تيار الليزر ••
وتقفان قبالة فوهة مستمرة •• ثم تشفط الكتلتان الى أعماق
المبنى ذى الجدران المعدنية المبطنة بطلاء كثيف مطاطى القوام ••

بالداخل حجرات أو قاعات أو عنابر ملئت بتروس وآلات وأنابيب
•• أكثر ما تميزه بؤرات الرؤية الانابيب المختلفة الاحجام تملأ
كل بقعة وتعتمد الى كل ركن ••

لا نوافذ للقاءات وانما نمط من طاقات عرض تليفزيونى أو
طاقات فيها أجهزة لنقل المرئيات عن طريقها يمكن مشاهدة ما يضمه
المبنى أو ما يحيطه بالخارج وفى الجوار ••

والمكان برغم الحركة الظاهرية •• الحركة الموهلة التى تسبق
السرعات المعروفة على الارض مثلاً •• وبخاصة حركة العناصر
المتقاذفة المتطايرة •• يجتم عليه جو فاطر أميل الى البرودة ••
يحط عليه صمت عميق قاتل ••

حركة البركان فى ذروة ثورانه •• بلا هدير •• بلا صوت
مسموع ••

المطرقة تهبط فى جنون •• ترى •• ولا تسمع ••

وتومض شحنة تعبير مختلفة •• بطيئة التردد •• جوفاء ••

• للعلم • للعلم • القبضه المفكرة المركزية تنادى • للعلم •
للعلم • الذراع الالية لمنصة الفضاء ٢٢٠٥ حصلت على عيبه من
مادة الفضاء • بها • شىء • مثير •

تتساءل كتلتا الهلام فى وقت واحد : ماذا ؟

تجيب شحنة القبضه المركزية تلقائيا : الاتنا الموجهة امتصت
ضمن مادة الفضاء • وعاء • مصفح • بالغ الصغر • يصدر
ذبذبات غريبة • شاذة •

تقذف احدى كتلتى الهلام بشحنة تعبير غاضبة : الينا بهذا
الشيء • وليوضع تحت المجهر الجسد •

تمسك رافعة ميكانيكية بالشيء الغريب •• الوعاء الصلب ••
قضعه برفق تحت ما يماثل عدسة فى حجم قبة السماء •• تضيقها
آلاف الكشافات ••

وتخترق جدران الشيء الدائرية أشعة مبهمة ••

فى حين تتملك احساسيس كتلتى الهلام طبقات متضاربة من
الانفعال القاسى المر ••

ويسارعان باملاء صيغة تقرير خطير ••

على الفور تشرع شحنات طاقات التعبير غير المرئية بنقل
الخبر المذهل عبر المستعمرات البعيدة فالابعد طول الدرب البلورى
المترامى •• الطويل •• القصى ••

تتالى الشحنات وتتسابق يعترىها الذهول ••

• لأول مرة فى تاريخ كوكبنا العملاق • القابع فى برودة جوه
الثلجى منذ الازل • لأول مرة يعثر فى سمائه الملبسة بالغيوم
المقدسة • عبر الفضاء الحانى المحيط به • وبين توابعه الحارسة
الاثنى عشر • يعثر على وعاء من مادة لم تعرف بعد • وبداخل
الوعاء يكشف ثلاث جراثيم دنيئة تحيطها أغلفة مجهولة التركيب •
وقد عكف علماؤنا على فحص الوعاء ودراسة محتوياته فى الحال •
وسوف تذاق نتائج وتفاصيل ما يتوصلون اليه أولا بأول • •

الدقى - نوفمبر ١٩٧٠

القصر

مكان ناء لدى حافة المدينة .. نوافذ محكمة وأبواب قلما تفتح
.. أسوار مرتفعة ونباتات كثيفة تحيط البناء .. رجال (هيئتهم
قبيحة) وكلب شرس للحراسة .. أناس مريبون يتسللون وصناديق
مغلقة تنقل سرا .. أنات وصرخات وأصوات صاخبة يتخللها
عزف موسيقى حزينة تتعالى ليلا ..

كل ذلك وغيره كان كفيلا بأن يبعث فى أضعف العقول خيالا ..
وأقلها قابلية للفهم والتصور .. نوعا من الاقتناع بأن البناء الضخم
المتعددة النوافذ .. قصر مهيب كان أو قلعة قائمة بذاتها .. إنما
هو دون ريب موقع تزاول فيه الجريمة بعيدا عن الاعين المتطفلة ..

وأظنكم معى فى أن الغموض مترادف صريح للسرقة والتزييف
والاختطاف والقتل والجاسوسية والشذوذ الجنسى .. وكافة
ما يندرج تحت بند الاعمال التى يعاقب عليها القانون ..

كان ذلك يوم كنت شابا فى العشرين من عمرى أقرأ دوما
روايات هولمز ولوبيين وعملاء الحرب السريين .. وأولع بأفلام
المغامرات السينمائية .. فانكم مسلمون بأن سنى تتيح لى
قدرا موفقا من النشاط الذهنى .. كما أن خبراتى البوليسية
تساعدنى على الحكم الصائب لاختيار أنسب مخابىء ملوك الظلام
والعالم السفلى ..

لذلك فاننى كنت كلما مررت بدراجتى البخارية من أمام القصر
فى النوافذ العديدة البنية الطلاء .. والبرج المغطى بالأواح لامعة
تواجه الشمس .. تحيطه أسواره المرتفعة المميزة بفتحاتها
الهلالية الضيقة .. كنت كلما مررت قبالة عند ذهابى أو أوبتى
لمعهدى عبر الطريق .. الزراعى .. أسأل نفسى مأخوذا ..

فري اليس هو اصلح مكان حقا ؟؟

ويوما في أعقاب يوم تروح حاستي السادسة تغذي أفكاري
السوداء النشطة رغما عني .. وفي المبدأ لم أكن أصارع أحدا بما
يدور في رأسي .. لكن وجدتني أكلم أبي ذات مساء مفذ قرابة عام
قبل وفاته في أمر « قصر الباشا » .. ولا أنسى نظرات الاستنكار
التي شملني بها رحمه الله قبل أن يجيب في مرج كعادته ..

- متولى باشا يابني من أقدر علماء مصر ..

- لكنني مصمم على أن أمرا مربيا يجري وراء جدران قصره ..

فتمتم أبي وشاربه الرمادي يهتز فوق شفتيه الرفيعتين : هل
شاهدت أو سمعت بنفسك شيئا مما تذكر ؟

- لا ..

- فلماذا تحكم على الرجل لجرد أقاويل يرددها مغرضون ..

- لا رماد بدون نار ..

- حكمة سخيفة .. فالثابت للأسف أننا قوم لا نترك غيرنا

يعيش في سلام .. ومن هنا يكثر الرماد بلا حاجة لفار ..

لكني لم أقتنع بحجة أبي ..

فقد كان طيب القلب وثقته بالناس لا حدود لها .. ولو كان في
فطنة جارنا عباس عبد البر المحامي أو في فراسة مدرس الاقتصاد
بالمعهد ودود شوكت .. لما أضفى مديحه على صاحب القصر بلا
حساب .. صحيح أن متولى باشا كان طبيبا للأمراض الباطنية
ذائع الصيت .. وكان على ثراء فاحش .. يبدو نشطا على الدوام
رغم التجاعيد التي تملأ وجهه وبشرته .. كما كان محسنا لا يرد
مريضا فقيرا .. غير أن حياته وتصرفاته الشخصية كانت تلفهما
استتار كثيفة من الغموض ..

والا فقيم الاسوار تحمي القصر من كل جانب .. وفيهم الكلب
الضخم والاتباع والاصوات تفر منه لتمزق جوف الليل شر ممزق
.. فيم كل هذه الاسرار والمعميات التي تحيطه ..

في بعض الاحيان كنت أهدى روعي بأن ثراء الرجل يحول
دون انغماسه فيما أتخيله من كبائر .. على أن نظرة يسيرة ألقياها
من فوق دراجتي البخارية - وهواء الحقول يلفح صدري - الى

النوافذ الموصدة والابواب المقيدة بالسلاسل الغليظة كانت كفيـلة
بتغذية ظنوني واحيائها من جديد ..

مع من يعيش الطبيب بداخل قصره .. أهو متزوج ولديه
أطفال أم أعزب .. كم عدد خدمه أو معاونيه وكم عدد حجرات
القصر .. وما الذى تضمه الحجرات .. وما هذه الألواح العريضة
من الصاج شديد اللمعان بالبرج .. وفيـم تستخدم وهى تعكس
أشعة الشمس طوال اليوم الى ما وراء السور الجنوبي .. تعكسها
على ماذا ؟

اسئلة لم أكن أجد لها أجوبة .. ولا أحد سواى بالبلدة الا
اننى ما جرؤت على الاقتراب ليلا من حدود القصر لاتصنت الى
الاصوات التى تتعالى منه .. غريبة وبشعة ومخيفة كما يتهاـمـس
عنها الاهالى فى وجوم ..

وتلاحقت أشهر كثيرة .. وأنا لا أكف عن التأمل .. والتوجس
.. من بعيد ..

حتى لحته خارجا ذات أمسية ملبدة بالسحب من باب جانـبـى
فى هيئة مذنب أثيم .. قد حنى قامته داخل معطفه الزيتى وأسدل
قبعته على جبهته وغطى عنقه بكوفية سميكة فى محاولة لطمس
ملامحه .. لكنى عرفته رغم تخفيه .. كان عمى فهيم .. بقامته
القصيرة وعينيه الجاحظتين الخبيثتين .. وبشاربه الكثيف تحت
أنف قان .. وبالسـتـة والسـتين عاما على كاهله ..

كان اكتشافا خطيرا .. فمنذ أحيل عمى الى المعاش وتوفيت
زوجته وهو قابع فى داره لا يغادرها الا فيما ندر .. اما ولداه
فلم يحدث قط أن سافر لرؤيتها بأعلى الصعيد حيث يعملان ..
فلماذا توجهه الان مرا الى قصر الدكتور متولى ؟

ومنذ علمت بتردد عمى على قصر الباشا أصبحت مراقبتى
للقصر واجبا دقيقا أقيته على عاتقى .. وأخذت أجد مبررا
للاقتراب من جدرانـه الحجرية المتحدية .. بل وامتدت مراقبتى من
بين فرجات عيدان الذرة بالحقل المواجه له الى ساعات متأخرة
من الليل .. وكم كان سرورى بصـدق حدسى حين شاهدت ذلك
التابوت يخرجونه من أعماق الظلمة الضاربة فيما وراء البوابة
الحديدية ليلقوا به فى جوف سيارة الاثاث المطوَّاة الانوار ..

لقد كنت أكف عن المراقبة فى تلك الليلة لاصابتى بنزلة برد من



طول وقوفى وسط الحقل المبلل وربما أيضا لفشلى فى العثور على دليل يدين الطبيب ٠٠ لكن الموقف تغير حين لمحت سيارة الاثاث تقترب مع مغيب الشمس مما أثار انتباهى ٠٠ وفضولى ٠٠ ولم تمر ساعتان حتى رأيت الصندوق المستطيل يحمله رجال أربعة ويغيبونه فى أعماق السيارة من الخلف ٠٠

وقد حكمت من مظهر الصندوق ومن كيفية حمل الرجال له ٠٠ انه تابوت ثقيل ٠٠ وانه يحمل فى طياته دون أدنى ريب جثة انسان ميت ٠٠

أهى جريمة الدكتور متولى الاولى أم سبقتها جرائم أخرى ؟

لكن ما الحاجة لاغتيال انسان ؟ أبغرض السرقة مثلا ؟ سرقة ماذا ؟ ٠٠ ومن هو الذى اغتيل ؟ ٠٠ فى النهاية قررت أن أسأل عمى عن الموضوع برمته ٠٠ أن أصدمه بمعرفتى لترده واشتراكه فى أعمال الباشا صاحب القصر المهيّب على طريق الخطاطبة/وردان الزراعى ٠٠ لدى بدايته من شرق الخطاطبة ٠٠ وعند ظهيرة اليوم التالى قصدت بيته رأسا ٠٠

وعمى مع أنه صاحب ثمانية وثلاثين فدانا فى الجانب الغربى لقرعة الخطاطبة شمال البلدة إلا أنه يدعى الفقر ويعيش عيشة الكفاف فى منزله المهدم ذى الحجرتين والحوشة الخالية من أى أثر للاخضرار ٠٠ اخترقت الحوشة تحيطنى هالة من أتربتها ٠٠ على الباب قبضة نحاسية أمسكتها ورحت أطرق الخشب العتيق الذى يواجهنى طرقات عجلة متفجرة ٠٠ ولم يجبنى أحد ٠٠ هل عمى فهيم موجود ؟

رمىّت بالسؤال فى شبه صراخ الى أذن جارة عمى البدينة فقد كانت ثقيلة السمع ٠٠

- من ٠٠ عمك ٠٠ لا ٠٠ لم يأت بعد ٠٠
- لقد طرقت بابه منذ برهة ٠٠ فلم يجبنى ٠٠
- ماذا ٠٠ طرقت الباب ٠٠ انه ليس ببيته أيها الشاب ٠٠
- أين هو اذن ؟
- لا أدرى ٠٠ لقد رآته ابنتنا يغادر بيته الليلة الماضية ٠٠ ولم نره من لحظتها ٠٠
- غادر بيته ٠٠ الى أين ؟

- لابد أنه سافر الى مكان بعيد .. فقد شاهدته ابنتنا يحمل
حقيبة منتفخة ..

وقلت لنفسي وأنا أغادر السيدة لابد انه قد فعلها أخيرا فاستقل
القطار الى ولديه بالصعيد .. لكنى أخذت فيما بعد حين علمت
من ابن مسجل مكتب الشهر العقاري بدمنهوور وكان زميلا لى يدرس
فى المعهد الذى ألقى فيه تعليمى .. ان عمى فهم قد باع منذ
أيام أرضه عن آخرها للدكتور متولى .. عمى الذى يتجنب الناس
ويخفى عنهم أمواله وأحواله .. ويقترب فى الانفاق حتى على نفسه
.. يبيع أرضه - مصدر رزقه - كلها .. ثمانية وثلاثين فدانا
تضم أجود زراعات المنطقة يبيعها لمن .. للدكتور متولى بالذات ..

بلا توان حررت خطابا الى أكبر أبناء عمى أستفسر منه عما
إذا كان والده قد حضر لديه حقا .. وجاءنى رده بعد ستة أيام
بالنفي .. اذن .. وبغير أدنى تردد أو تحفظ فإن عمى وبكيفية
ما يوجد الان بداخل أسوار متولى الفولاذية .. لكن أتراه ذهب الى
عرين الاسد بمحض اختياره أم أرغم على الذهاب تحت تهديد
لا يقاوم .. وهل هو مطلق السراح .. أم سجين .. أم فى عداد
الأموات .. وإزاء شعور جارف بالمسئولية تجاه شقيق أبى رغم
عدم مودته لى .. وتحت وطأة الحاح داخلى بالاقدام وعدم
النكوص .. وبعد علمى بأن آخرين باعوا من قبل أملاكنا تخصهم
لنفس الطبيب .. فقد قررت أن أقتحم قصر الطبيب الباشا ..
أجل مهما تكن المخاطر الكامنة فى انتظارى ومهما يكن قرارى
متسرعاً وأحمق .. فعلى أن أمد يدا لأنقذ عمى من براثن الطفمة
التي برأسها متولى عبد الحميد بركات الزيتونى باشا ..

وطيلة ليلتين مسهدتين قلبت الموضوع على جميع جوانبه الى
أن رقت أمرى أخذاً الالهة لمواجهة ما أتوقعه من مجرمين عتساه
لديهم من صنوف الاسلحة أقسامها وأشدّها فتكا ..

فى الليلة الثالثة قبعـت بجوار أقل الاسوار ارتفاعا الى أن مر
على هبوط الظلام ساعات ثلاث .. حينئذ ألقيت فى هدوء قطع
اللحم المزوجة بالمخدر ..

استلقى الكلب يلهث فى حشـرة ..

اعتليت السور وبعد جهد قفزت الى الحديقة ..

بصعوبة تقدمت وأنا أتعثر وسط الظلمة .. وحين اقتربت من

القصر وجدت نوافذ طابقه غارقة فى السواد كلها ٠٠ لكن عزف
ناى حزين جعلنى أتريث ٠٠ وأدور مع الاحجار البارزة كأنها
رؤوس أشباح ترقبني ٠٠ خلف القصر رأيت ضياء ٠٠ أربع نوافذ
متجاورة بالطابق الارضى يتضح بصيص نور من فرجات ضلقاتها
٠٠ وكانت هناك شرفة خفيضة للطابق العلوى ٠٠ وتبينت كذلك
هددا من مواسير المياه ٠٠ وسقفا واطئا لحظيرة جانبية ٠٠

وزاد وقع العزف الشجى فى أذنى ٠٠

وتعالى تصفيق ٠٠ جماعة من الناس يصفقون فى ايقاع
متوازن ٠٠

بغثة امتزج بالتصفيق ضجيج موسيقى جاز تدوى عبر
(ميكروفون) حاد النبرات ٠٠ ثم اختلط التصفيق بضجيج
الموسيقى بطرقات طبل محموم ٠٠ وزاد عليها صرخات هستيرية
فيها نشوى وفيها مرح جنونى ٠٠

أحفل ماجن يقام لمناسبة ما ؟ يقام قبل أم بعد ارتكاب جريمة ؟

وزادت ضربات قلبى ٠٠ جف حلقى فتعذر على البلع ٠٠ وكنت
أحمل خنجر رحلات فرحت أتحسسه لاسئد من وجوده سرايا
يطمئننى ٠٠ ثم لمحت بابا مواربا ٠٠ دفعته فدخلت ٠٠

الدھليز قبالتى ضيق ٠٠ طويل ٠٠ مملوء لآخره بموجات كل
ما يصخب متفجرا فى الحجرات المطلة عليه ٠٠ اذن فأنا أشد
ما أكون قريبا منهم ٠٠ الطبيب وزبانيته ٠٠ وعمى ٠٠

خطوت على أطراف أصابع قدمى ٠٠ فى حرص دفعت أقرب
الابواب التى يتضح الضوء باهتا من أسفلها ٠٠ أه ٠٠ لم تكن
حجرة ٠٠ كانت قاعة رحبة دافئة بها عدة نوافذ هى التى شاهدتها
من الخارج فظننتها حجرات متجاورة ٠٠ لكن العجب ما كان
يدور بالقاعة المضيئة بعشرات الشموع ٠٠ أشباح كثيرة لها ظلال
عملاقة تنتشر فى كل مكان ٠٠

أجساد هزيلة معتمة تترنح فى رقصات عشوائية على ايقاع
نغمات تصدر من حاك عتيق الطراز ٠٠ وزكمت أنفى روائح عفنة
نفادة ٠٠

فقبالتى كانوا يتناثرون ٠٠ عشرة ٠٠ أربعة عشر ٠٠ أكثر ٠٠
أقل ٠٠ بأجسادهم النحيفة النحيله المهذلة الجدد ٠٠ البارزة

العظام • • يتناثرون فرادى وجماعات • • يتحركون ويتداخلون
فى يسر وخفة شيطانية • •

وحين تبينت سحنات بعضهم وجدت روحى تفر من جسدى • •
شعرت الارض تميد تحتى وعقلى يشت من وعاء جمجمتى • •

أبشع من هذه الوجوه لم تر عينى قبلا • •

كانت مربعة فى قبحها • • لها قسمتات دب فيها نتن القبر قبل
الالوان • • متقلصة • • مشوهة • • كريهة • • تملأ الغضون
والتجاعيد كل ثنية فيها • • وتنتشر القروح والبثور غائرة فى
أفخاذها • • وكانت الرؤوس كلها صلعاء صلعا شاملا • •

أى بشر هؤلاء • •

أى أشباح لفظهم الجحيم لحظة توقف فيها الزمن وبكت فيها
السماء دما قانيا • •

أى أرواح شريرة تسكن جثثهم البالية ؟

ومن وسط دوامة الروائح ودوار الرؤى القتالة امتدت أصابع
رفيعة معقوصة • • أصابع مومياء رخوة الجلد متقيحة السلميات
منزوعة الاظافر • • • • • امتدت وجذبتنى من ياقة ثوبى فى عنف

• • • • • ثم توقف كل شىء • •

جمدت الاجساد والانغام والظلال • • انتهت الحركة والاصوات
دفعة واحدة • • حتى لهيب الشموع تبيث فى أماكنه مشرعا بلامعنى
تجاه السقف المعرى بياضه • •

- من أنت ؟ كيف دخلت ؟ وماذا تفعل هنا ؟

طوقتنى الكلمات وقيدتنى مبجوحة • • خشنة • • جوفاء • •
قأتى من غور سحيق • • سحيق • • من باطن الثرى • •

ألقيت بصرى الى الوجوه المقيتة فى زهول دون أن ينطلق لسانى
من عقاله • • دارت عينائى أكثر من مرة بلا حيلة • • وقد سمرتنى
قيود معنوية غائرة بينما الاسئلة تنهال بلا رحمة • •

- من أنت • • أجب • •

- نصرى عبيد • • • • •

- نصرى من ؟

- ابن عبد ربه وكيل مكتب بريد الخطاطبة ..
- لا نعرفه .. المهم كيف دخلت ؟
- عند بداية الدهليز وجدت بابا مواربا .. دخلت منه ..
- وكيف تسلفت الى الحديقة ؟
-
- من سمح لك بعبورها .. انفا لم نسمع نجاح الكلب ..
- فهل قتلته ؟
- خدرته ...
- لابد أنك قفزت من فوق السور ؟
- هو ... ذلك ...
- وأعوانك .. أين هم .. انطق بسرعة ..
- لا أحد غيري ..
- لا نصدق .. لابد من وجود شركاء .. تكلم .. كم عددهم ..
- .. أين نجدهم ..
- لكن صوتا متعاليا أمرا أنهى المهزلة .. وحين استدرت أتبين
- القادم من خلفي عرفته في الصال .. بوجهه المصفر في لون
- النحاس .. وبقامته الفارعة العريضة وذراعيه الطويلتين المقلبتين
- حتى تكادا تلامسان ركبتيه .. وبالمشارب الاحمر الملتحم بلحية
- حمراء أسفل الشفتين بيضاء الطرف والجوانب حتى أسفل الاذنين ..
- والاكثر اثارة .. نظرات عينيه المركزة .. المنومة ..
- وهل أنسى لقائي الاول به منذ أيام بعيدة .. في محطة سكة
- حديد البادية .. يومها رمقني بلفظة عابرة أحسست بعدها انني
- استسلم لقوى لا أدريها .. واليوم .. الان .. هو يقبل يشع من
- عينيه نفس الخدر المخادع .. الفتاك عن سم الافعى ذات
- الاجراس ..
- اتركوه ..
- واحتضن ذراعي .. جرنى في لفة وأشرطة روبه النصفى تلمع
- بطول ياقته وفتحتى جيبيه الى ركن به مقعد وثير ..
- «اجلس» قالها ببساطة ترسبت في نخاعى الشوكى .. فقعدت

متأدبا .. وبلا دعوة ثانية للكلام رحت أخرج كل ما فى جوفى
من اتهامات بتهديد عمى .. وخطفه .. وربما تعذيبه .. ثم
سرقة أملاكه .. أطيانه .. حتى وصلت لتصورى قتله .. كل
ما فى أعماقى خرج بقدرة سحرية فأصبح على طرف لسانى ..

وابتسم الدكتور متولى ابتسامة مشجعة .. وربت على ظهر
يدى بحنان .. لكنه برغم حركته التى توخى فيها البراءة لمست
السخرية تختفى وراء قالب فمه المزموم .. ومن وراء السخرية
بدت ومضة تهديد وغدر ..

- أهذا كل ما لديك ؟

- لم يتبق ما أكتمه ..

التفت الدكتور بوجهه يمينا وأوماً بطرف لحيته الى واحد من
الرجال البشعى الخلقة .. فأسرع يغادر القساعة فى خطوات
رياضية رشيقة تتنافى مع الكهولة البادية على جسده .. بل
العفن والتحلل الغائرين فى مواضع هيكله ..

عاد الرجل ومعه آخر ..

لم أتبين المرافق الجديد لبضع دقائق .

مستحيل أن يكون هذا المسخ .. الداوى الملامح والقسمات ..
المهدل جلد الوجه والاذرع بصورة بشعة .. والذى يحتل عنقه
حرق بنى عليه قشرة تقذى العين ..

مستحيل أن يكون هذا الحطام المتحرك .. عمى ..

لكن الدكتور متولى همس مؤكدا : انه فهم افندى .. عمك ..
- لا يمكن أن

- بل هو عمك بالفعل .. وقد أنقذناه فى اللحظة المناسبة ..

وربما جرؤت للمرة الاولى وقد نسيت نفسى على مواجهة نظرات
الدكتور بوجهى الغارق فى حيرته وتخبطه وأساه .. ورحت أتمتم
« أنقذوه من ماذا .. أنقذوه أم أمرضوه وأحرقوه .. » ..

- كل ما تود معرفته سيخبرك به عمك .. لكن لا تغادر القصر
قبل أن أسمح لك ..

ثم دفع بى مترفقا الى نراع عمى الممدودة . فحدقت فى الاصابع

المرزقة المتقلصة مترددا .. كتمت دمعة ألم .. أغلقت عيني ..
واستسلمت لها ..

في الحجرة الضيقة بالطابق العلوى جلست أنا وجثته عمى
متقابلين .. أنا على مقعد خشبي .. وهو على طرف فراش تغطيه
بطانية داكنة رصاصية اللون وثلاث من الوسائد العالية مزركشة
الحواف .. في حين أعطانا الدكتور ظهرة وراح يعد مزيجاً
مزرقاً في قنينة من عدد من الزجاجات ملئت بسوائل مختلفة
ووضعت كلها على طاولة رخامية مجاورة .. وكانت تنير الحجرة
شمعة كبيرة ..

انسابت الكلمات في مرج من بين أسنان عمى البنية الخربة
قتلتى في نقاء شريط جهاز للتسجيل رائع الأداء .. أهدأ صوت
عمى .. أم يكلمنى من أعماقه شاب صغير لم أتعرف عليه بعد ..
قال ان الدكتور متولى عالم نابغة مثلما هو طبيب قدير ناجح ..
وأنه سيأتى قريباً اليوم الذى نعرف فيه حقيقة قدره ونبوغه ..
وحقيقة أيديه البيضاء على الجنس البشرى ..

- هكذا فى سهولة !! الدكتور الباشا ليس مجرماً كما توقعت ..

وقال عمى ان سبب وجوده فى قصر الباشا وسبب وجود
الرجال الآخرين .. هو اكتشاف الدكتور لمعجزة علمية فريدة ..
فقد توصل لتركيب اكسير يؤخذ كشراب يطيل الحياة البشرية الى
ما يزيد على ضعف قدرها الحالى .. وقد أعد الدكتور أول
كمية منه منذ تسعين عاماً مضت .. وأن الاكسير ..

- أرجوك يا عمى .. انتظر قليلاً ..

- ماذا ؟

- لعلك خلطت يا عمى بين التواريخ .. فكيف يعد الدكتور
اكسيره من تسعين عاماً .. وعمره كما أراه لا يتجاوز الخمسين
بأى حال ؟

ضحك عمى .. أو بدا فى اهتزاز وجناته الجافة ما يشبه
انفعال الضحك .. وقال ببطء ..

- أتم أوضح لك يابنى انه اكسير يطيل الحياة .. فمن فى
وأبك أولى بتناول جرعاته الاولى .. من غير صانعه ..

- تقصد أن الدكتور .. عمره الآن يقارب .. مائة عام ؟

- بل مائة واثنين وعشرين عاما .. فعند اكتشافه الاكسجين
كان فى الثانية والثلاثين ..

ورحت أقلب التواريخ الميلادية فى ذاكرتى .. نحن الان فى
عام ١٩٤٠ .. نطرح منها ٩٠ عاما .. فيكون .. تاريخ تحضير
الكمية الاولى من الاكسجين عام ١٨٥٠ .. لا لا .. انه المستحيل
بعينه .. تخبطت صيحتى بين الجدران الاربعة الصماء بعيدة
عن الادمية حتى ظننت عمى الذى نطقها لا أنا ..

- انها الحقيقة الفعلية يا نصرى ..

كان صوت الدكتور متولى الهادى الهازىء هو الذى تكلم
ردا على استنكارى بينما يحمل بكلتا يديه قنينة السائل الازرق
والابخرة تتصاعد منها ..

- تماما .. والقصر الذى يضمنا ويرجع تاريخ بنائه الى عام
١٨٥٤ .. أنا الذى شيدته .. بل ان بعض مساعدى الذين
يعاونوننى فى أبحاثى تزيد أعمارهم عن المائة من الاعوام ..

اعترضت متشفيا : بانى القصر .. وكما يعنم جميع هن البلدة
.. هو والدك صادق باشا يا سيدى ..

- ان صادق ومتولى اسمان لشخص واحد .. هو أنا ..
ساد صمت متوتر .. استطالت ذبالة الشمعة تطاول السقف ..
فى حين انطبعت ثلاثة ظلال ضخمة لثلاثة رؤوس مستطيه الانوف
على الحائط .. تنحنح عمى .. سعل .. ثم عاود حديثه فى حماس ..

- بعد أن جرب الدكتور الاكسجين على نفسه وتأكد من مفعوله
.. أخذ يجربه فى المبدأ سرا على بعض خاصته .. جربه على
امراتين فلم يؤثر فيهما .. وجربه على رجال أربعة فأعصى أربع
نتائج ايجابية .. ثم جربه على المزيد من الرجال ونجح دائما
معهم .. وبرغم النتائج المدهشة التى توصل اليها منذ اكتشافه
العظيم وطيلة التسعين عاما .. فان الدكتور لم يقو على اعلان
اكسيره على الملأ ..

غلبنى الفضول : ولم ؟

- لان الاكسجين على نجاحه المذهل فى اطالة الحياة الانسانية
.. بقى له عيب واحد لا يستهان به ..

- عيب فى اطالة الحياة ؟؟

استطرد عمى وقد أراح نطقه على عظمة نراعه فانحنى ظل
وأسه على الحائط معطيا شكل قط واقف ..

- العنصر الرئيسى فى الاكسير « نوع نادر من الفطر » أمكن
للدكتور تحضيره بعد تجارب تقنية وعزل وتسخين شاقة ..
والفطر يهاجم التحللات واخطاء الاتزان فى الاجهزة الداخلية
الحيوية بالجسد البشرى .. فيوقفها .. وبالسيطرة على عمليات
الاستهلاك الداخلى وأولها ضمور عضلات القلب وتصلب الشرايين
.. يمكن السيطرة على مرض الشيخوخة تماما .. وتأجيل سريانها
لسنين أخرى عديدة ..

التقط عمى أنفاسه ثم تابع وقد تغيرت نبرات صوته
فشابتها المرارة : هذه حال من يتناول جرعات الاكسير
قبل الخمسين .. أما فى حالة تناوله بعد الخمسين فان
مفعوله يؤثر على أجهزة الجسد الداخلية التى تقل قدراتها وتهبط
كفاءتها بنسبة ٢٠ - ٥٠٪ .. بينما يفشل الاكسير فى التأثير على
الانسجة الخارجية .. وما كان وضع اللوحات العاكسة لاشعة
الشمس ببرج القصر الا من أجل امداد بشرات الرجال وجلودهم
(بفينا مين د) بصورة مركزة فى محاولة للحد من الانهيار الخارجى
للجسد ..

تساءلت : لا أفهم ..

- معناه أن المخ والقلب والرئتين والكليتين وغيرها من الاجهزة
الداخلية تظل تعمل طبيعيا مادام يواظب على تناول الاكسير ..
فى حين لا يظهر التأثير كبيرا على الغدد الصماء .. وينعدم تماما
على الانسجة الخارجية وأولها خلايا البشرة والجلد وبصيلات
الشعر ..

تمتعت هامسا ومشاعرى تتعرض لانسكاب وعاءين من الماء
على أم رأسى فى آن واحد .. أحدهما مثلج والآخر يغلى ..
- انه التفسير .. لرؤياى هذه المياوات حولى .. هم ..
اذن .. شيوخ تناولوا ...

أكمل عمى : شيوخ كانوا على حافة القبر .. تناولوا الاكسير
فلم يموتوا .. بقوا أحياء سنين طويلة وان استمرت أنسجتهم
الخارجية فى الموات دقيقة بدقيقة ببطء شديد .. لذلك أيضا
.. فالرجال لا يجسرون على مبارحة القصر وترك أسواره فلو
وأهم الناس بهيئاتهم الزرية هذه لتجنبوهم أو نفروا منهم أو صبوا
عليهم نقمتهم وطاردوهم حتى يبيدوهم ..

— يا ه .. اهذه حالهم ؟؟

— بل انهم يضطرون الى كبت رغباتهم الجنسية التى ينشطها
الاكسير عن طريق المسكنات .. او التسلل أحيانا تحت جنح الظلام
ولو أن هذا ممنوع ..

— وأنت يا عمى تعاني من كل ذلك .. مثلهم ؟

— اننى ما أزال فى أول الطريق .. وان اتضح مفعول الاكسير
سريعا على ..

ولم أطق بشاعة الفكرة : لكن .. لكن .. ما الذى يجبركم على ..

تناول الدكتور مهمة الرد على : الانسان فى سن الغروب يتشبث
بحبال الحياة ويتعلق بها مهما انغrust فى لحمه .. وأدمت
أصابع يديه .. المهم .. أن تبعد الحبال عن عنقه ..

بكيت : بشاعة .. بشاعة ..

قال الدكتور فى فتور : تقولها لأنك ما تزال فتيا .. شابا مغرورا
يقف على أول الطريق .. أوله .. لا آخره ..

اعترضت : الشيخوخة .. الكهولة .. ما بعد الستين ..
ذروة الحكمة ..

— ليس دائما .. ربما هناك مغالطة .. لكن فى الغالب هى
ذروة العودة للقهرى .. الى الطفولة ..

قصدت أن أنتقم فقلت وأنا أضغط على كل حرف أنطقه ..

— وأنت تستغل طفولة الشيوخ يا دكتور فتستولى على أموالهم
وممتلكاتهم بعد أن تخضعهم باكسيرك .. الا يعود بنا الكلام مرة
أخرى .. الى صدق ظنوني فيك ..

أجاب على الفور : أرجوك .. التعبير الاصح اننى أحولها الى
بالاسم فحسب .. وانما لأصرف منها على أصحابها .. ألا
يقيمون هنا .. فى قصرى .. بصفة دائمة .. يتناولون أشهى
الاطعمة ويلبسون أغلى الثياب ويتمتعون بمباهجهم المحلية من
موسيقى والالعاب للتسلية وكتب ومجلات للقراءة .. حتى يودعوا
بعد عمر طويل .. طويل جدا ..

قلت : كما ودع صاحب الجثمان الذى حملته سيارة الاثاث
منذ أيام .. واحد قتله الاكسير !

قال : رأيته .. هه .. لا تسرف فى خيالاتك .. بل هو واحد
جاءنى متأخرا .. كبده كانت مصابة فعجز الاكسير عن اسعافه
.. حتى داخليا .. ثم ان الانسان ولو أضاف الاكسير أو سواه
الى عمره مائة عام أخرى فان مصيره فى النهاية معروف ..
الست معى ..

صمت أنا فى حين غمغم عمى كمن توصل لشيء غاب عنه أو
قنأساه : الخاتمة .. هى الخاتمة .. واحدة .. ولو بعد الف
عام .. واحدة ولا مهرب منها .. بحق لا مهرب منها ..
لم ألق بالآل لكلمات عمى انما وجهت الى الدكتور سؤالاً مباشراً
.. محرراً ..

- وأنت .. ما الذى تجنيه من وراء ضيوفك .. الشيوخ ؟
أغمض الدكتور متولى عينيه نصف اغماضة وحلق باحاسيسه
وراء الجدران .. وراء القصر برمته ..

- اننى أعشق البحث .. الدراسة .. التجريب .. الاختبار
.. كلها تقودنى الى المجهول .. فيها أجد عالمى وأقصى متعة
أعرفها .. ثم بالطبع تأتى الفائدة الشخصية فأنا أتناول الاكسير
فيمتد العمر بى .. كذلك أجنى راحة نفسية بأدائى خدمة الآخرين
.. وقريباً يأتى الذبوع ومن ورائه الشهرة والمجد وهذه أشياء
معروفة ومنتظرة .. هل اقتنعت ..

- ان إطالة الحياة حلم البشرية منذ الازل .. نعم .. اقتنعت ..
- حسن .. نعود لحديثنا الاول .. كنا نتكلم عن الحالات
المتأخرة .. فى الحقيقة أنا غالباً ما أرفض امداد من هم فوق
السبعين بالاكسير .. هؤلاء محال أن تظل أجهزتهم الداخلية
سليمة .. وبالتالي يعجز الاكسير عن مداها بمفعوله .. أجل ..
كلما صغر متلقى الاكسير كانت استفادته منه أكثر تأكيداً وأكثر
احكاماً ..

على أن الدكتور بتر حديثه .. صمت بغتة .. ترك القنينة على
الطاولة الرخامية والتفت نحوى يتفرس فى وجهى بطريقة وقحة
.. ووجدت نظرات الاهتمام تحلل حدقتيه العسليتين الصافيتين ..
سألنى : كم سنك ؟

أجبت متحيراً : عشرون عاماً وسبعة شهور ..

- ما الامراض التى تذكر اصابتك بها فى طفولتك ؟
- الحصبة .. والانفلونزا لمرات متباعدة ..
- زاد اهتمامه : وأنت الآن لا تشكو مرضا مزمننا ؟
- لا ..
- ولم تصب بأية كسور أو رضوض ؟
- بالمرّة ..
- عظيم .. ووالداك كانا صحيحي البدن ؟
- أمى توفيت فى حادثة .. أما أبى فقد رحل اثر ..
- لا يهم .. الذى يهمنى انهما كانا لا يشكوان أمراضا خطيرة ..
- لا أظن ذلك ..
- سكت الدكتور متولى برهة .. كان يسلط خلالها فيما يبدو كل خلايا مخه حول فكرة استحوذت عليه ..
- أخيرا صاح فى حسم : نعم .. انه .. أنت ..
- عمنى قلق لا أدريه : أنا .. ماذا ؟؟
- انك أصلح نموذج لاجراء تجربتى الكاملة لاطالة الحياة ..
- ماذا تريد منى ؟
- ستشرب الاكسير .. لتعيش الى ما بعد المائة .. بل ربما وصلت سنك .. للمائتين ..
- وقبل أن يتحرك لسانى بالرد كان قد تناول قنينة وأدناها منى :
- اشرب ..
- هب عمى واقفا والشرر يتطاير من عينيه الدامعتين المحمرتين ..
- اختطف القنينة .. قال فى اقتضاب : لن يشربه .. الشاب ..
- ما يزال يافعا ولن يقوى على تحمل آلام تعاطيه ..
- بان الغضب على وجه الدكتور : ليس شأنك ..
- لكن عمى ضمنى اليه بعظامه فتناسيت رائحته الفظيعة : بحق
- قرايته لى سأمنعك ..
- أو يجسر مخلوق على معارضتى ..
- انه أنا .. سأمنعك ..

قالها عمى وهو يلقي بالقنينة الى الارض ويقفز فى رشاقة امهر
الرياضيين لينشب فى عنق الدكتور أسياخا حادة هى أصابعه ..
وصرخ فى عمى أن أبادر بالهرب ..

فى المبدأ قفزت نحو باب الحجرة .. لكن تحذير عمى من أعوان
الدكتور ومن مرضاه صحح اتجاهى .. عرفت أن النافذة أسلم
.. وقفزت على سقف الحظيرة .. وفى النهاية عبرت الحديقة
وتمكنت من مغادرة القصر والابتعاد عنه بمسافة شاسعة فى سلام ..
والان ما الذى تبقى لاضيفه ..

لقد غادرت البلدة فى أعقاب تلك الليلة المشئومة تاركا عمى
تحت رحمة الدكتور الملعون .. ولم أجسر على اخطار الشرطة
خوفا من تكذيب عمى لى أو قتل الدكتور له وانما سافرت الى
القاهرة لعدة أيام ثم هاجرت الى كندا تاركا القطر بأكمله هربا
من انتقام الدكتور الباشا الذى كنت أتوقع بأعصاب محطمة بطشه
بى فى كل حين حتى لا أكشف سره ..

وهأنذا ثانية وبكل الشوق يجتاح مشاعرى أجندنى فى
طريق عودتى الى مصر .. والى بلدى الخطاطبة .. بعد غيبة
خمس وعشرين عاما .. تبدلت فيها معالم الحياة المصرية تبدا
جذريا ومنها الغاء الالقاب ..

ترى - وقد مر ربع قرن كامل - فما هو مصير الباشا السابق
الدكتور متولى .. وما هو مصير رجاله الذين تجرى قطرات
الاكسير السحرية فى دمائهم ..

والاخطر ما هو مصير عمى فهم ؟ ..

لقد كان آخر ما وصلنى فى مهجرى عن أخبار القصر انه
مايزال قائما فى مكانه يتوسط بناءه برجه الشهير وان انهارت
معظم أسواره ..

بلطيم - نوفمبر ١٩٧١

مندوبة فوق العادة

اعتادوا أن يطلقوا على بيتى مجازا اسم الجزيرة .. وبعضهم كان يصر على تسميته بالسفينة .. أما أنا فلكونى واقعيا .. جادا .. فقد اكتفيت بأن أحدد معالمه بالكوخ .. فى حين كانت هى تصفه بشفتيها الرقيقتين وبالبسمة الوردية لا تفارق وجهها .. بأنه الصومعة .. الصومعة الفريدة فى هدوئها وشاعريتها .. تسميتها هى الاقرب الى الواقع .. فبيتى لا يزيد فى تكوينه عن حجرتين ومطبخ ودورة للمياه فى أسفل تعلوهما حجرة يتيمة .. رحبة فى شكلها المثلث وما يحيطها من شرفات هى فى الواقع شرفة واحدة تلف مع الوجاهات الاربع وأن اتسعت غربا حيث البحر يصخب تحتها ومع امتداد البصر الى الافق البعيد .

صومعتى أو كوخى يقع فى بقعة نائية .. موحشة .. من آخر شاطئ الدخيلة فى أقصى الطرف الجنوبى الغربى لمدينة الاسكندرية ..

ومنذ توفى أبى قبل عامين مضيا وتزوج أخى الشقيق الذى يكبرنى بستة أعوام وأنا أقيم مع والدتى المفاقدة البصر فى هذا المكان وحدنا ..

والدتى أصرت على ألا تبرح الكوخ لاحتوائه على ما تبقى لها من ذكريات أيامها الخوالى مع أبى حينما كان يعمل مديرا للصباغة بشركة الجلود القومية الشهيرة بالمكس .. وأنا وجدت فيه ملاذا نموذجيا فى عزلته وهدوئه مما يهيب لى الجو المناسب لتأملاتى ولزاولة أبحاثى فى الطب والكيمياء العضوية والحيوية .. أما هى فقد أحببت الشرفة المطلة على البحر وكانت اذا أطلقت منها لاتمل التحديق فى الموجات المتلاحقة المزبدة وقد اعترتها حانة من التوهان الغامض .. فاذا ما جن الليل كانت لا تكف عن التصنت لصوت

البحر الصاخب فى حنين غريب ثم تهمس لنفسها بكلمات مبهمه
لا أستطيع تفسيرها ..

والدتى جعلت الحجرتين السفليين احدهما لنومى والثانية لنومها
.. وجعلت مكانا لجلوسنا الفسحة المربعة بين الحجرتين .. فى
حين كنا نتناول طعامنا فى المطبخ الذى هيات من أحد أركانه فرنا
لشى السمك على الطريقة الاسكندرانية التى تجيدها ..

أما الحجرة العليا .. والتى كانت قبلا تضم أبوى .. فقد حولتها
أنا فى حدود امكانياتى المادية الى معمل يزخر بالعديد من الكئوس
والمعوجات وأجهزة الخلط والتسخين .. كما ضمت ميكروسكوبا
وهاونا وميزانا حساسا ومدوكا .. وغلاية كهربائية .. وجهاز
أشعة .. الى جانب ما تمتلئ به الارفف والدواليب من قوارير
وعلب وزجاجات ملئت بأنواع متباينة من السوائل والاحماض
والمساحيق والاعشاب ومختلف المواد الكيميائية .. وإلى جانب
أدوات مزجها وخلطها وقياس تفاعلاتها ..

كان أقرب مسكن لكوخنا بيت المقاول أبو درويش .. وهو مبنى
على غرار كوخوا بالطوب الاحمر وان كبر عنه فى الحجم وعدد
الحجرات .. وكان يبعد عن الكوخ قرابة الكيلومتر شمالا .. تقلوه
عدة دور متناثرة تكون بقية منطقة الدخيلة بشاطئها المعروف ..

فى حين لم يكن هناك ما يرى على امتداد البصر جنوبا سوى
تلك الملاحه بتلالها البيضاء تقع على بعد أربعة كيلومترات أوخمسة
.. وكان هناك أيضا البحر غربا .. ثم أرض ملحية جرداء تصل
الى امتداد بحيرة مريوط شرقا ..

هذا هو كوخي .. وهذه هى البقعة القصية المنعزلة التى كان
ولا يزال يقبع فيها منذ أنشأه أبى عليها .. أبى كان يزود الكوخ
دائما بالخزين من مواد الطعام والذئار واحتيساجات الوقود
والتموين المتعددة بما فى ذلك أدوات الاسعاف الاولى .. فقد كان
رحمه الله على يقين تماما من أن أحدا لن يجيرنا اذا ما جن الليل
حتى مطلع صبح اليوم التالى ..

ورغم حداثة تخرجى وقتذاك وانشغالى بأعباء وظيفتى الجديدة
كطبيب متخصص فى الامراض الجلدية فقد تحملت على عاتقى
- عقب وفاة أبى - القيام بمهامه المنزلية الضرورية بكفاءة وحماس
كبيرين .. ثم قامت هى فيما بعد .. وطوال الآونة الاخيرة ..

بنفس دورى فى امداد الكوخ بمتطلباته الحيوية دون أقل تدمير
ودون أن تفارق الابتسامة العذبة وجهها الندى ..

وفيما عدا عربة الخبز التى كانت تقبل لدى الظهيرة من أجلنا
ومن أجل حفنة الصيادين الذين يزاولون عملهم الشاق فيما يجاور
الملاحات والمألوفة وجوههم لنا .. فنادرًا ما كنت ألمح أحداً بالقرب
من كوخنا .. حتى على الطريق العمومى الذى كان يمر بحصافة
شاطيء البحيرة بعيداً عنا بكيلو مترين أو يزيد .. لذلك فقد كان
يومنا يمر هادئاً .. ساكناً .. منذ اشراق ضيائه وحتى زوال
شمسه التى تدأب عبر الفصول الأربعة على الاختفاء تدريجياً
فى أعماق اللجة المالحة .. أما ليلنا فكان أشد وطأة من النهار
.. فالصمت الموحش والسكون الثقيل الكثيف كانا يجثمان عليه
فيحيلانه نوعاً من الانقطاع عن بقية بقاع الدنيا .. أو ينشبان
مخالب شرسة بأنحاءهما فإذا هو قطعة من الأبدية .. وإذا نحن
فى طبيائهما .. جزء من العدم ..

والدنى لم تشك قط .. وإنما كانت تمتثل لحكم الضياع السائد
بكوخنا .. وما الذى يهم بعد فقدوها لزوجها .. ولنور بصرها
.. وأم محمد التى تعمل لدينا منذ أعوام وقبل مولدى كانت بدورها
سجينة مستكينة لواقع حياتنا .. ففى عدا اعداد الطعام وملء
خزان السطح بالمياه العذبة وتنظيف الحجرات فانها ما كانت
تغادر والدنى أو تمل الجلوس بجوارها ..

على أن حالى كان يختلف .. فأنا لم أتخط عقدي الثالث إلا
بعام ونصف عام .. وأنا موفور العافية ملئ بالحيوية والنشاط
.. ومثل هذا الطابع الرتيب الملول الذى يدمغ معيشتنا كان كفيلاً
باطفاء قبس الطموح فى أعماقى .. لولا حبي المتزايد لباحثى
وانشغالى بها وتفانى من أجلها ..

وحتى حينما كان يحتوينى وإياها ركن الشرفة فى استغراقه
عاطفية حاملة .. فتمر الدقائق تباعاً وهى غارقة بين ذراعى ..
وشفتاى تدغدغان شفتيها وتمتزجان بهما .. وشعرها الاشقر
الهفهاف يتطاير على رأسى فيغطيه الى عنقى .. حتى جلساتنا
سويًا بالشرفة وهواء البحر يداعب وجهينا .. رطباً .. منعشاً
.. أو نزهاتنا معاً على الشاطئ وأقدامنا تغوص فى رماله
المبللة الباردة .. هى ضاحكة لاهية .. وأنا مراقب .. مستمتع
بكل ما يصدر عنها ..

حتى مرور الزمن مهما أسكرنا ولفنا فى غيابه فانه ما كان ينسينى أهمية أبحاثى .. خاصة تلك التى أجريها مؤخرا حول مرض سرطان الجلد .. والذى بلغت فى تجاربى ودراساتى عليه شأوا مدهشا كلل بتمكنى من عزل الفيروس المسبب له .. ثم كانت ذروة نجاحى حين توصلت لذلك المصل الفعال الذى يقضى على الفيروس بلا مضاعفات أو انتكاسات ..

أجل كان يوما مشهورا فى تاريخ حياتى .. ١٤ يونية ١٩٨٢ .. حين تمكنت - بعد أن أجريت سلسلة من التركيبات الكيميائية المعقدة وقمت بمزج عدة محاليل ببعضها البعض - من استخلاص ثلاثة سنتيمترات من مادة المصل القاتل للفيروس ..

كما أن لقائى بها اتفق وتاريخ اليوم التالى لاكتشافى المصل مباشرة ..

فأى حظ موفق هذا الذى يلاقى صاحبه لليلتين متتاليتين ..

كانت أم محمد مريضة فى ذلك الصباح .. وكان اليوم جمعة لذا فأنا فى عطلة لم أغادر الكوخ الى عملى بالعيادة .. وكنت ساعتها أهبط السلم الخشبي المسند الى خزان المياه بالسطح بعد أن رمت ثوبا بأحد جوانبه .. وكنت ارتدى زيا خفيفا يتكون من قميص وسروال قصير وانتعل خفا ..

وبلغت عابرة من رأسى لمحتها .. هناك .. على الشاطئ الرملى تقف حيرى بجانب نتوء صخري ..

كيف برزت على الشاطئ هكذا فجأة .. ومن أين قدمت بملابسها العصرية الصارخة الالوان .. لا أدري .. وبرغم بعدها عن مجال الرؤية الواضحة لدى فقد بدت متناسقة .. جميلة التكوين .. كما ظهرت كبؤرة ناشزة وسط ما يحيطها من فضاء أملس .. ومن خواء ..

ورأيتها تتقدم فى اتجاه الكوخ بضع خطوات .. وترفع يدها الى عنقها .. الى جبهتها .. وترنحت .. دارت حول نفسها وسقطت ..

نفضت عنى جمودى وهبطت درجات السلم الخشبي المتبقية فى وثبتين .. ودرجات السلم الداخلى بين طابقي الكوخ فى وثبتين آخرين .. ومرقت من المبنى أسابق الريح .. وحين انحنيت عليها

أجس نبضها تحركت أهدابها الطويلة ببطء وفتحت عينيها بالكان
تتفرس في وجهي المثل على وجهها الشاحب .. وسمعتها تهمس
في ومن شديد : دكتور عبد العزيز ؟

على أنها لم تزد فقد طوتها الاغماء القاسية مرة ثانية ..
وقلت لنفسي وأنا أحملها بكلتا ذراعي الى الكوخ .. « أجل انه
اسمى الذي نطقت به .. فما اسمها هي .. ومن تكون ؟ » ..

على أن والدتي الكفيفة لم تسترح لمقدمها .. أو هكذا تخيلت
وأنا أحمل اليها نبأ عثوري على الفتاة .. فقد بدت متوجسة ..
مترددة .. تحرك رأسها يمينا ويسارا في اضطراب وضيق ..
بينما قبضت أصابعها على حافة كرسيها في عصبية ظاهرة ..
كذلك كان شعور أم محمد عدائيا حيال الفتاة ..

حتى الكلب الصغير بوبى الذي أهدانيه صديق مؤخرا تغير
سلوكه لدى رؤية الفتاة .. فحين أقبل من ناحية المطبخ كان يهز
ذيله كعادته مرحبا بلقائي .. لكن ما أن لحها بين ذراعي حتى
جمد في مكانه .. وقشتم الهواء من اتجاهنا في انزعاج .. ثم
رأيت يطوى ذيله بين فخذه ويسارع الى الانكماش بأحد الاركان
وهو يئن أنينا خافتا .. غير أن كافة ظنوني سرعان ما أذرتها الرياح
عقب عودة الفتاة الى رشدنا ..

علمت منها أنها ابنة أستاذى القاهري العالم النابه علوان مجاهد
الذى تتلمذت على يديه فى مادة الكيمياء العضوية طيلة دراستي
بطب القاهرة .. وانها قد أتت لالاسكندرية وبحث عن مسكني
استجابة لرغبة أبيها الموجود حاليا بكندا وقد بعث يطلب منها ضرورة
لقائي لتحصل منى على كمية حدتها بثمانية عشر سنتيمترا من
المصل الذى توصلت الى اكتشافه .. ليجربه أبوها بمعرفته فى
أحد مستشفيات كندا ..

- لكنى لم أحضر من المصل سوى كمية يسيرة .. كما أنه
لم يجرب حتى اللحظة فى أى محفل علمي ..
ترددت برهة ثم قالت : لقد قرأ أبى عن أبحاثك فى عديد من
المجلات العلمية الاجنبية ..

- أحقا .. العديد منها كتب عني ؟
- وبالتالي فقد توقع أبى سرعة توصلك لتحضير المصل ..
استرحت لاجابتها ولا أدري لم ؟ .. فقلت مؤكدا : انن فهى
الصدفة الحسنة التى قادتك الى فى الوقت المناسب ..

ولم أقر بمعرفة الكثير عنها .. فقط أخبرتنى أن اسمها عبير .. وهو اسم موسيقى كما ترون .. وأخبرتني أيضا بأنها طالبة فى سنتها النهائية بكلية علوم القاهرة .. وأنها وحيدة أبويها ومقيمة حاليا مع عمته بضاحية حلوان بعد سفر والديها الى تلك البعثة لمدة عام بكندا ..

كما أطالت فى وصف المشاق التى تكبدتها فى سبيل العثور على مسكنى النائي بأقصى منطقة الدخيلة .. وقد خيل الى يومئذ أن هذا الجزء من حديثها معى كان أكثر صدقا ..

على هذه الصورة المسرحية التقيت بها ..

ومع أنها كانت تقيم بحجرة فاخرة بفندق كارلتون بميدان سعد زغلول بالاسكندرية الا أن غالبية وقتها باتت تقضيه بصحبتى .. أما بالكوخ حيث انكب على أجهزتى من أجل تحضير كمية أكبر من المصل القاتل لفيروس سرطان الجلد تستحثنى هى بنظراتها الحنون وكلماتها المشجعة .. وأما بأحدى دور السينما أو منتزه من المتنزهات العامة أو شاطئ من الشواطئ العديدة الممتدة بطول الساحل السكندرى .. أو بداخل مطعم أو ملهى مما تمتلئ به المدينة .. حيث نمضى السويعات المرحية الهائلة سويا ..

ولعلى لم أتبين حقيقة عاطفتى حيال عبير الا فى أعقاب نوبة من أقسى نوبات احتباس الانفاس التى كانت تعترىها بين الحين والحين بلا سبب ملموس أو مرض تشكو منه .. فيزرق لها وجهها وتتيبس وتبرد أطرافها .. ثم لا تمضى النوبة الا بعد ابتلاعها الحبة الصفراء من دواء أجهل تركيبه ..

فحين سقطت اعياء فى تلك الامسية وتلقفتها بين ذراعى وعجلت بإعطائها الحبة ووراءها جرعة الماء لم يكن مفعول الدواء سريعا مثل المرات السابقة .. فلم تتحرك أطرافها عقب ابتلاع الحبة .. ولم ينتظم نفسها كعهدي به دافئا .. عطرا .. يملأ شذاه الهادئ أعماق صدرى .. حينئذ وبرغمى رحت أضم جسدها الرخص الى فى عاطفة جياشة وأنا أناجيها بأعذب كلمات الحب وأرقها .. وشفتاى الوالھتان تغمران كل ثنية فى وجهها وعنقها وكتفها بالقبلات المجنونة ..

وفتحت عينيها على مناجاتى ..

لكنى قرأت فى أغوارهما نظرة خوف واشفاق ..

وبحركة باردة لا شعورية مدت يدها تقصيني عنها في رفق ..
وفي حزم .. وأولت سلوكها بأنه رد فعل لمسلكى العنيف وللتعب
والارهاق الحاليين بها ولم ألحظ ما يعنيه من صد لي وخوف
واشفاق على ..

هكذا وضحت حقيقة العاطفة الدفينة التي شدتني برغمي الى
عبير ..
ظهرت دون مواراة مكشوفة عارية .. ناصعة كضوء النهار ..

تيفنت أن عبير أصبحت كل شيء بالنسبة لي .. واننى لم أعد
أقوى على فراقها .. صوتها وبه بحة ناعسة .. نظراتها المتكسرة
المتوترة .. تردد أنفاسها واستجابة صدرها البديع فى اباء وتخذ
.. حتى رائحتها المميزة .. النفاذة فى سطوة الياسمين الطازج
.. هى كل دنياى .. هى تردد لدقات قلبى .. أما والدتى .. وأم
محمد الشغالة .. فقد ظلتا تعاملانها بتحفظ وجفاء ملحوظين ..
وبوبى لم يعد يقبل مداعباتها له .. بل بت أحس شيئاً من النفور
والخشية بفصل بين عبير وبين الكلب الاثير لى والدتى .. على
أن منحى الهيفاء شقراء الشعر .. ذات العينين العسليتين فى
حلاوة رحيق الازهار والعنق الشاعرى فى تناسق عنق المعبودة
نفرتيني .. كان قد أسرنى .. قيدنى .. فرحت أشمر عن ساعد
جاء متمكن وعقل نشط التفكير وصدر ملئ بالوجد .. ملئ
بالآمال الكبار .. يستعجلون تحضير ما ألحت هى فى طلبه ..
المصل الذى توصلت الى اكتشافه ..

فهل كنت وقتها مسيرا بقوى خفية أحاطتني عبير بها ؟
انكبت بكل ما يكمن فى أعماقى من طاقة على أدوات معمل
.. رحت أصهر أعصابى وخلاصة فكرى وتجاربى بين جدران
الاربعة .. فلا يقف شيء حائلا أمام رغبتى فى ارضاء عبير ..

والمادة التى يتكون منها المصل معقدة .. تستنفد العصيب من
الوقت لاعدادها ..

من المبدأ انصبت دراستى حول العلاقة بين الفيروسات
ومرض السرطان .. أو مرض الخلايا لان الخلايا هى التى تتأثر
وتخرج عن النظام العام للجسم فى الميلاد والتغذية والنمو والموت ..

واطلعت على بحث لعالم أجنبى حول فيروس معين يسبب الورم
الخبث ساراكوما كما يسبب سرطان العظام والغضاريف والانسجة
المفصلية .. ترى فأى فيروس يسبب سرطان الجلد ؟

كنت على يقين من أن هذا المرض الجلدى يسببه فيروس ما .. وكانت حجتى فى ذلك اكتشاف وجود نسبة عالية من عناصر المقاومة فى أجسام أقارب وأصدقاء ومخالطى اثنين من مرضى المصابين بسرطان الجلد .. الامر الذى يدل على سبق اصابتهم بنفس الفيروس ولكن أجسامهم نجحت فى التغلب عليه ..

كانت حجتى التالية ما أجرите من تجارب وضع سائل أخذ من أنسجة مصابة بسرطان الجلد فى أنبوب يحوى خلايا آدمية سليمة .. ثم ملاحظة سرعة تشوه هذه الخلايا مما يثبت اصابتهما بالفيروس المشتبه فى وجوده .. مجموعات طويلة وشاقة من التجارب والابحاث كانت تقودنى حثيثا فى طريق عدوى الفيروس الغامض .. سلسلة متعددة الجوانب ومشملة على كل ظروف وأطوار وأنواع المرض الخبيث .. حتى مسبباته .. مثل السفر الطويل فى دروب الكون .. أو المداومة على تناول الاطعمة المحفوظة واللحوم النيئة .. أو التعرض بصورة دائمة لأنواع من الاشعة المركزة .. للاشعة الذرية بالذات ..

فى النهاية وجدت ضالتي المنشودة .. وجدتها فى دماء نوع من البعوض الذى يتكاثر بمناطق جنوب القارة الافريقية وتسبب لسعته بعض أمراض السرطان .. ومنها سرطان الجلد .. وحصلت على عينات من البعوض ناقل المرض .. وتمكنت من عزل الفيروس من دمائه .. وهيات مزرعة منه ..

وبمعاملة مزرعة الفيروس المعزول بمستخلصات نباتية معينة ونوع من المضادات الحيوية الحديثة .. ثم بعد تعريض المزرعة لاشعاعات بالغة التركيز .. استطعت آخر الامر أن أروض الفيروس مسبب سرطان الجلد .. استطعت أن أفقده قدرته على اتلاف الخلايا ..

وصنعت المصل المضاد لسرطان الجلد ..

حصلت منه على سنتيمرات ثلاثة ..

وهانذا الآن بسبيل تحضير كمية مضاعفة من المصل سأسلمها لعبير لتقوم بارسالها الى والدها بكندا .. فهل تأكد لى عمليا صدق ارسالها لخلاصة ما بذلته من جهد علمى كبير بل منقطع النظير الى أبيها حقا ؟ أبدا .. بالمره .. فقد كانت ثقتى فى كلماتها البريئة بلا حدود وبلا ذرة واحدة من شك ..

بل انها لما كانت تسارع فى بعض الاحيان بمساعدتى فى العمل
فتتعرض لتركيب مادة كيميائية أو خلط مزيج معين .. أو حين
تقوم بتفسير غوامض عقار معقد التركيب .. فأننى لم أكن أدهش
البتة لفهمها الخارق هذا ولسعة أفق معلوماتها مما يفوق دراستها
الجامعية بمراحل .. فعصابة الحب كانت تقيد ابصارى .. تخفى
عنى كل شائبة تلفها .. وكل تصرف غريب يصدر عنها ..

كذلك حين أنرت مشعلى الكهربائى ذات ليلة ونحن نسير على
مهل فوق رمال الشاطئء بالقرب من مبنى الكوخ .. وألقيت دون
قصد بالطرف المضىء للمشعل فى راحة يدها ثم أغلقت أصابعها
عليه مداعبا .. فان خلايا ظهر يدها لم تضىء بلون دماء شرايينها
القانية بالمرءة .. لم تضىء باللون الاحمر الذى يتضح عادة ..
وانما ظلت معتمة .. وعندئذ لم أفطن لعنى الظاهرة الشاذة ..
بل أرجعتها الى خداع ألم ببصرى لا محالة ..

وجد شيء مثير عقب لقائى بعبير بقرابة الاسبوعين .. فقلب
موازين افكارى ..

أيقظنى من سبات عاطفى كنت سادرا فيه لاذنى ..

فقد تقابلت مع أحد زملاء مهنتى القدامى أثناء تناولى لوجبة
غداء سريعة بمطعم على كيفك بميدان الرمل .. وخلال حديث
عابر ونحن نلتهم شطائر اللحم البارد ونرشف أكواب البيرة الثلجة
.. اذا به يخبرنى بأن الدكتور علوان مجاهد قد هاجر نهائيا الى
كندا منذ عام ونصف عام أو يزيد ..

- امتأكد أنت يا فهمى من صحة نبأ هجرته ؟

- كل التأكد فقد كنت فى وداعه بنفسى ..

- ظننت .. أنه .. سافر فى بعثة علمية ..

- بل لقد صفى أعماله هنا ورحل مع زوجته ليقيم اقامة نهائية

بالعاصمة الكندية منتريال مع أخ له هناك ..

قلت بلا مبالاة : وستلحق بهما ابنتهما بعد اتمام دراستها
الجامعة المصرية ..

تطلع الى فى استغراب : من تقصد ؟

- ابنتهما عبير ..

تمتم فهمى ووجهه المكتنز لا يزال يحمل علامات عدم الفهم بينما
مال بجسده البدين والعرق ينضح على ياقته فقد كان بدينا بدانة

مفرطة فائز فيه ازدهام المطعم وامتلائه بالناس وبمسحابات
الدخان المتصاعدة من عشرات اللقائف ومن موقد لحم الشاورمة
الشهى الرائحة ..

- لقد توفيت ابنتهما الوحيدة منذ أربعة أعوام ..
وددت فى خيرة : عبير توفيت منذ أربعة أعوام ؟
- كان اسمها لطفية يا عزيزى ..

غادرت المطعم وأنا لم أكمل طعامى .. اتخذت طريق عودتى
للكوخ وعقلى يتخبط فى تيه من الافكار السوداء المتضاربة ..
كيف يتفق أن الاسمين مختلفان .. والشخصين متباعدان ..
وإذا كانت ابنتهما توفيت فمن هذه المدعية التى خدعتنى بقصتها
الملفقة ؟

من هى عبير .. التى أحببتها ؟
وما هو الفرض الخفى وراء خداعها لى .. وفيم رغبتها فى
الحصول على كمية المصل التى انتهت من تحصيرها بالامس
فحسب ؟

أسئلة حائرة عديدة ظلت تعصف بكيانى وأنا أنتظر مجيئها لى
كوخى أو صومعتى النائية على شاطئ البحر ..

لقد اتفقنا على أن أسلم اليوم قارورة المصل لعبير التى تزعم
ارسالها لوالدها .. وقرر أن نحقل بهذه المناسبة فنسهر سويا
حتى الفجر .. ثم أقوم بتوصيلها الى محطة الاتوبيس الصحراوى
لتستقل أولى سياراتها فى الصباح التالى فى طريق عودتها
للقاهرة .. كما اتفقنا على أن الحق بها مع مطلع العام القادم
٨٢ بالسفر الى حيث مسكنها بالقاهرة .. نفس الموعد الذى يتفق
وعودة والديها من بعثتهما بكندا .. وحتى أطلب يد الابنة من
أبيها .. ونتزوج ..

لقد تلاقى قلبانا .. ربطنا الحب برباطه الوثيق فتقاهملا ..
اتفقنا .. وقررنا .. فهل كان ذلك كله مجرد وهم كبير .. هل
فى الامر خدعة .. لعبة .. ضحيتها الوحيدة .. أنا .. افقت
من افكارى على صوت والدتى يأتينى من الطابق الاسفل فلا أقوى
على تمييزه ..

لنحنيت برأسى من أعلى السلم : هل تكلمينى يا أماء ؟
نصاعد صوتها الحانى : فيم انشغالك وأصاك يا ولدى ؟

عجبا .. ما الذى اشعرها بدوامه الافكار التى تصهرنى
بداخلها .. ذلك الصراع العارم بين عقلى وقلبى ..
- لا شئ يا اماه .. اطمئنى .. فأنا بخير ..

ولكنها عادت ترسل الى كلماتها وهى تحاول اخفاء ما يختلج
فى صدرها من قلق وضيق : صحتك أبقي لك يا عيد العزيز .. لن
يفيدك أحد يا بنى ..

اكل الامهات مكشوف عنهن الحجاب ..
صحت فى قوة أطيب خاطرها : اننى منهمك فى تفحص بعض
العينات تحت المجهر .. ولا شئ يشغلنى سواها ..
تعالى هممة متوجسة : أرجو ذلك .. أمل ذلك ..

وأردت أن أشغل نفسى بالفعل فيما يخفف على وطأة أفكارى ..
فأخذت أدون فحوصاتى وانطباعاتى التجريبية حول مجموعة من
أدوية الحساسية المعروضة للتداول حديثا بالاسواق ..

مرت ساعة .. ترى فيم تأخير عبير .. هل أحست باكتشافى
لحقيقة امرها .. هل لن تلقى أبدا .. هل لن أراها ثانية .. ؟
على أن الساعة دقت بعد حين السابعة مساء ..

عندئذ طرق سمعى صرير السلم الخشبي بين الطابقين ..
وميزت خطو قدميها الرقيقتين على درجات السلم .. وأقبلت عبير ..
والثوب الطوبى وبنسيجه فتل الكريستال البراقة يلف بدنهما
فيبرز مفاتنه .. وفتحة الصدر منه تكشف عن ثدييها .. فاذا هما
مشرئبان .. كاملا الاستدارة ..

بادرتنى بقبلة سريعة على خدى لكنى لم أقبلها .. فتساءلت
وهى ترفع حاجبا منسقا فتبدو أكثر جاذبية ..
- ماذا بك ؟

أشحت بوجهى بعيدا وأنا أقاوم صراعا مريرا فى أعماقى ..
فسللت الى الشرفة أتلمس فى العتمة الهابطة بانحائها ساترا يخفى
انفعالاتى ..

أقبلت من خلفى .. أحاطتنى بذراعيها وجذبتنى اليها بعنف ..
ثم أراحت رأسها على ظهري .. وهمست : أنت على غير طبيعتك ..
قلت وأنا أجاهد ليخرج صوتى باردا جافا : وأنت على خلاف
ما تدعين ..

قالت مداعبة وهي ما تزال ملتصقة بي : الاننى تأخرت في مجيئى ؟
- بل لانيك كذبت على .. خدعتنى ..
- فى ماذا ؟

قلت بغير اكتراث :: لقد عرفت .. حقيقتك ..
احسست رجفة شاملة تعترىها .. ارتجفت فتراخت ذراعاها عن
وسطى قليلا ..
- لا أفهمك ..

اندفعت الكلمات برغوى عنيفة .. جارحة .. ألقيت عليها سيلا
من الحجارة الثقيلة ..

- لانيك ما تزالين تظنين في السذاجة والبله .. ولكن القدر
كان أرحم بي منك .. فلم يقبل استمرار تلاعبك بعواطفى ..
القدر كشف سترك .. أظهر زيف الاوهام التى جعلتنى أحياسها
وأرتب عليها كل مستقبلى ..

توقفت برهة التقط نفسا محموما أعود بعده فأتابع فى قسوة
.. فأنت .. أنت لست ابنة الدكتور علوان مجاهد الذى هاجر
وزوجته الى كندا .. فابنتهما لطيفة توفيت منذ أمد بعيد وهما لم
ينجبا سواها ..

انجابت ذراعاها عنى ببطء .. وابتعد رأسها .. وفى هدوء
تقدمت من سياج الشرفة واتكأت عليه .. ووقع بصرى على
وجهها .. كان باهتا .. شديد الامتقاع .. وتحرك احساس
داخلى بين ضلوعى يطلب قبسا من الاشفاق لها ..

تشاغلنت عنها بالتطلع فى اتجاه قارب يلقي شباك الصيد وسط
الموجات المتتابة عن بعد ..
- ألا تقولين شيئا ..

ظلت على صمتها الحزين السادر فى كآبته وانقباضه .. ووجهها
الجامد يحدق نحو الافق ..

عدت أقطع الصمت : لا بد أن أعرف الحقيقة كاملة .. من
انت .. ولماذا جئت .. وماذا تبغين من وراء كمية المصل التى
حضرتها لك ؟

التفتت الى بغتة .. أطاحت برأسها فى حركة عنيفة لارى
انفا محمرا وعينين متحديتين وفما مزموما يمثل خطا رفيعا عصبيا

- سأخبرك بكل شيء .. وبالتفصيل .. لكن اتركنى أولاً أعد لك ولى قدحين من القهوة .. حتى يهدأ كلانا فنستطيع التفاهم بلا شجار ..

- لا بأس .. قلتها وكان الامر سيان عندى .. وجذبت كرسيًا جلست عليه فى مواجهة البحر .. وقد بدأت تهب عليه رياح قوية تزيد فى تلاطم موجه .. ورحت أقتل الوقت بالانتظار ..

عادت بالقهوة .. قبالتى على السياج وضعت قدحا .. وقبالتها وضعت الآخر .. التقطت قدحى فرشفت جرعة كبيرة من السائل الدافئ الذى يحتويه .. أما هى فلم تقرب قدحها .. ظل وجهها متصلبًا يحدق بعيدا وقد علقت به لسة احيرة أرجوانية من أشعة الشمس الغاربة ..

وحركت وجهها فى تردد تجاهى ..
رأيت قطرات من الدمع تتجمع على خديها ..

وانفجرت شفتان وسيمتان برغم اضطرابهما واختفاء النضارة منهما ..

- حقيقة أنا لست ابنة ذلك الرجل أستاذك .. واسم عبير لم يكن يوماً من الايام اسماً لى .. ثم اننى لست من أبناء بلدك .. ولا أى بلد آخر على ظهر الارض .. صدقنى .. أنا لست من سكان هذا الكوكب الذى تعيشون على سطحه كلية ..

ما هذا الهراء .. ألم يكفها خداعى بكلماتها المعسولة المخلقة فتجرؤ الآن على السخرية والهزؤ منى ..

- كيف تتخيلين اننى مستعد لسماع

قاطعتنى فى رفق ودون أن تغضب لنظرة التكذيب التى رميتها بها ..

- أرجوك .. لا تقاطعنى .. دعنى أخبرك بالحقيقة .. انى لا أنطق سوى الصدق .. والحق .. أنا بالفعل لست مخلوقة بشرية من ساكنى كوكبكم « الارض » .. أنا لست من البشر متلك .. مخلوقاتنا تختلف فى نواح كثيرة عنكم .. وانما أنا العضو رقم ٩ من مجموعة الزملاء البالغ عددهم ٢٤ ملاحا هم طاقم السفينة الكونية « النجم الفضى » وتسير بالطاقة النووية المضاعفة .. وقد حملتنا سفينتنا فى رحلة كشف كونى عادية بدائناها من

كوكبنا ، المتألق ، المجاور للنجم المسمى لديكم بالشعري اليمانية
ويبعد عنكم ٨٦ سنة ضوئية .. وقد انطلقت رحلتنا بنجاح الى
ان كان مسارنا بداخل مجموعتكم الشمسية .. وحينئذ وبالقرب
من الكوكب عطارده حدثت الكارثة التي كانت تودى بنا لولا تلك
المقالة التي نشرتها عن أبحاثك وقامت اذاعتكم بقراءة ملخص لها !

انفرج فمى عن كلمات غريبة : التقطت .. سفينتكم .. الفقرة
الاذاعية الخاصة ببحثى ..

- بالضبط .. فاتفقنا على سرعة ارسالى اليك لاحصل على
المصل ..

استمراً فمى الكلام فى الموضوع : لا بد أن أحد ملاحيكم يعانى
من حالة سرطان جلدى ..

قالت فى أسى : أربعة من طاقمنا ظهرت عليهم الاعراض
أحدهم .. زوجى ..

لطفة جبارة أصابت كبريائى .. نالت مقتلا فى كيانى : أنت
متزوجة ؟

لكنها لم تسمعنى .. كانت مشغولة بأبناء جنسها .. كانت
معهم فى السفينة الكونية وليست بجوارى ..

- لقد تسربت بعض الاشعاعات الذرية نتيجة خلل بالمولد النووى
للسفينة .. والاشعاعات هى السبب فى ..

على أنى أصررت على ترديد نفس الكلمات المريرة : انت متزوجة
.. ألم أقل لك ان حبك لى مجرد خدعة ؟

- بل أحببتك بالفعل يا عبد العزيز .. اشتعلت عواطفى لمراك
وتعلقت بك عن صدق وإخلاص .. مع أنى زوجة لمخلوق آخر
.. سواك ..

- ستعودين اليه .. وتتركينى ..

- لا يوجد حل ثان ..

قلت وأنا أشعر ثقلاً فى جفنى : سيشق على فراقك ..
همست : وعلى ..

تشاءبت : مستظل صورتك ماثلة أمامى ما حييت ..

- وأنا .. لن أنساك .. مطلقاً ..

احتوانا الصمت الكئيب برهة .. ثم أردفت ..

- والآن .. أين زجاجة المصل ؟

أشرت فى وهن الى رف قريب بالحجرة : انها عليه ..

ترك الشرفة .. اقتربت من الرف وتناولت الزجاجاة وبها
السائل العكر القوام .. وبعد أن تأكدت منه استدارت نحوى فى
قرود .. بدت وكأن قدميها تعجزان عن الحركة ..

قلت من مكانى بالشرفة : اجاءت ساعة الرحيل .. هه ..

- عجلى به .. فلن أقوى على رؤياك .. تذهبين ..

اقتربت منى على الرغم من تحذيرى .. وطبعت على شفتى
قبلة طويلة ملهتبه .. ويلمحة خاطفه قرأت ألما ممضا يصرخ فى
مقلتى عينيها .. كانت تسوق نفسها .. بارادتها .. الى ما
يسحق قلبها ..

- اعذرنى يا حبيبى .. فاننى اشفاقا عليك وضعت تلك المارة
المخدرة فى قدح قهوتك ..

واختفى وجهها من أمامى .. سمعت قدماها تهرعان بهبوط
الدرجات الخشبية .. ثم تراءى قوامها هناك أسفل الكوخ ..
رايتها تتواشب على رمال الشاطئ نحو ذلك القارب وفيه شبح
رجل .. وغاص القارب قليلا حين اعتلته .. وتحرك ..

أخذ يبتعد وهى فيه .. اظنها وقفت تلوح لى بمنديل بطيره
الهواء فى اتجامى ..

رويدا رويدا كان القارب يصغر .. وصوت المجدافين يخفت
.. والضباب الرقيق يلفه .. يحجبه .. أو يحجب بصرى ..
لم أعد اميز بعض الخطوط المبهمة للقارب .. وقد أوشك على
الدنو من تلك الغواصة .. أو الطبق الطائر .. الجاثم على
صفحة المياه .. فى انتظاره ..

الاسكندرية ابريل ١٩٧٠

ثقب في جدار الزمن

مع دوران السياج بدا نهر الطريق مختلفا .. كان طينيا
مستويا والآن تحول متربا صاعدا .. وبرغم حلقة الليل ..
ووحشته .. راح الرجل يستحث خطاه فيما يشبه العدو ..
مقطوع النفس .. يفرق العرق فواديه وعنقه وابطيه وكل ظهره
رغما من برودة الجو .. وقارص رياحه ..

— سا .. لى ..

أفلتت الصيحة هاربة .. تسبق خطاه وقد جلجل صداها مفزعا
.. ملقاعا .. تشق كتلة الظلمة معرضة .. معرضة ..
مختنقة .. متلاشية فى طياتها ..

وانتهى السياج .. وصعد الطريق أكثر .. زادت وعورته ..
قدماه تغوصان فى حصاه بأطرافهما .. تغوصان وتنطلقان
تعدوان .. فى وهن ..

ساعات وهو يعدو .. ساعات طويلة .. بل أيام متلاحقة ..
لا يعرف عددها .. وقد تمزق نعلاه .. وكلت ساقاه .. وتصلب
ظهره وكثفاه ..

أيام وأيام وهو يعدو محروق القلب .. وينادى بحنجرة ملتهبة ..
— سا .. لى ..

وينعطف مع البناية المهدمة .. جامع هذا أم كنيسة .. الظلمة
لا تميز المثذنة من برج الناقوس .. وهو لا يميز شيئا على امتداد
بصره الكليل .. مال بدنه يثقل كشوال أرز أو زكية رمل .. لا
.. ليس هذا وقته .. لا بد من الاستمرار .. لا بد من العدو ..
لا بد من النداء عليها .. بكامل أنفاسه .. بأقصى ما يتسع له
صدره من هواء .. يمينا وشمالا .. وأماما .. أماما الى أعلى

هكذا يفتح فاه والشارب العريض يعلوه .. على اتساعه مع شفا
خديه وتصابيح عنقه ..

— سا .. لى ..

وسريعا سريعا تحمل الريح النداء فى اتجاه .. ويهبط به
الطريق فى اتجاه آخر .. منحدر هذه المرة .. وأقل وعورة ..
لكن سترته القطنية الزرقاء الضيقة الاكمام والمتدلية خلفا حتى
فخذه .. ثم سرواله الكتانى السميك الاصفر ذا الخواف المزينة
بأشرطة بنية .. وخفه الجلدى القاتم السواد .. كانت تعوق
انطلاقه .. ما حيلته .. فليبذل جهدا مضاعفا .. خارقا ..

يجفف الرجل وجهه وقفاه بكم سترته وقدماه تتابعان تقدمهما
الحثيث فى دهليز الليل العميق يدفعه اصرار جبل أصم من العزيمة
والتحدى ..

وبدا نور خاب .. متراقص .. لا يفسر شيئا حوله .. ومع
امتداد الطريق .. واتساعه .. اتضحت أضواء متعددة .. متناثرة
.. لكنها أكثر وحشة من الظلام ذاته .. تتراقص بدورها لاقل
هبة ريح .. هكذا قناديل الزيت وفوانيس الجاز ..

وعاود نداءه بملء صوته المبحوح المتحشرج المنبعث من أعماق
جب مهجور .. عليها تكون بجوار واحدة من تلك الواحات الضوئية
المقارحة بين اللمعان والانطفاء ..

— سا .. لى ..

ليتها تجيبه فيموت سعيدا باحتضان حلو جرسها .. ليتنه
يسمع همسها بدلا من السكون الذى يسحق أذنيه .. ليتها تكون
خلف مشربية .. تحت باكية .. وراء قبة بصلية الشكل ..
واقفة بشرفة مثمرة ذات عمد من الفسيفساء ..

فتسمعه .. وتجيبه ..

أو يراها هو فتلحقها روحه ..

زفر الرجل بعصبية .. فتعالى وجيب مشاعره على صدى
قدميه المنزلقين فى ايقاع رتيب .. ملول .. وسقطت طاقيته
الصوفية ذات الثنية الحريرية الحمراء والزر الاخضر الطويل ..
فلم يتوقف ليلتقطها .. بل عله لم يشعر بانكشاف رأسه للهواء
مباشرة .. حتى حين عاود تجفيف جبهته فانه لم يبه لفقده
الطاقية .. وهل اهتم قبلا بمسيرته طيلة هذه الايام بلباليها ..

ودلف الى طريق جديد .. له افريزان ونهر نظيف مغطى بطبقة
ملساء .. وميزت أذناه صوتا مألوفا .. دندنة عود من خلف
شباك .. ومع الدندنة بدا صوت المطرب المغنى ينساب شجيا
وخيفا .. أهى علامة من سلمى ترشده بها الى مكانها القصى ..

— سا .. لى ...

سلمى لا تحب التطرى .. تسأله .. انها تفضل الذوبان مع
طبقات صوت الست «خوندرة شيخ» المتعددة المتباينة .. انها لاتكف
عن ترديد الحان المطربة الصاعدة لا سيما حين تعكف على تطريز
ثوبها بجديلة قصب براق ..

تخطى الرجل ميدانا .. فملأت أنفه رائحة نفاذة .. منفرة ..
رائحة الكبريت .. صارخة كاتمة .. فازداد لهساثة وبطؤ
عدوه وهو يوازي السور المحيط ببركة العين التى تشفى مياهها
أمراض الجلد وأذى المفاصل ..

لماذا دخل البلدة من جوار العين الكبريتية .. لماذا لم يقصدها
من طرفها الغربى .. من جوار موقف العربات حيث ممر الدواب
يمتد من العاصمة مباشرة .. الطريق الاول أقصر .. حسن ..
وقادته قدماه الى ميدان ثان .. وقد سكنت هبسات الريح ..
وخفت حدة البرودة أو تلاشت .. انتهز الفرصة فصاح ما شاء
له الصياح عديدا من المرات .. فرادى وعلى دفعات .. الى أن
استقبله الطريق المتسع السابح فى أضواء متلائة .. أضواء قوية
قظهر ما حولها فى وضوح شاذ .. غريب .. لم يألفه قبلا ..
بل لا يتذكر رؤياه اطلاقا ..

وأحس لفح نسمة ساخنة .. فتزايد عرقه وجفاف حلقه ..
مد أصابعه يفك الجزء العلوى من أزرار سترته العسكرية دون أن
يتوقف عما يظنه عدوا .. كما لم يتوقف لاي عائق منذ بدأ بحثه
عنها .. منذ بداية الايام الطويلة القاسية .. متى كانت بدايتها ..

على أن أنغام موسيقى صاحبة مزقت السكون فجأة من خلف
حائط قريب .. سور واطيء تتوسطه بوابة خشبية ملونة ..
ومن خلف نافذة مربية التكوين يلفها نبات متسلق مزهر انبعث
غناء حاد النبرات .. سريع الايقاع .. وتبعته أصوات متفاوتة
لمجموعة من الفتيات يتصايحن جماعيا فيلاحقهن طبل مستيرى ..

واوضحت عدة أبنية عجيبة وشجيرات مشذبة ودور شاهقه
وأضواء ساطعة .. خرافية .. وجرت مركبة بلا حصان يجرها
أو بغل .. وزمجر طائر مضى فى السماء وهو يتجه شرقا فى
خط مستقيم ..

عجبا .. اتخونه عيناه أخيرا ..
يكاد يفقد عقله .. وعيه .. يكاد يسقط اعياء وقهرا ..
بغثة وصله صوتها .. ضحككتها الجذلة ذات الرنين الذى
يقدر على تمييزه من بين عشرات .. بل مئات وآلاف الضحكات ..
لا .. أكيد تخدعه حواسه .. بل هى نهايته تحل ساخرة منه
ومن عجزه ..

لكن مهلا .. الأرض والسماء تشهدان .. هذه بالفعل ضحكاتها
.. نغاتها .. تملأ أذنيه .. تمزقهما ..
- سا .. لمى .. سا .. لمى .. سا .. لمى ..
.



كانت الليلة قائظة .. راكدة الهواء ..
وكان أربعتهم .. الزوجان وضيافهما .. يشغلون أربعة مقاعد
خيزرانية تحتل ركنًا من الشرفة الرحبة بالفيلة ١٢ من شارع
عبد الله بضاحية حلوان ..
وقد استرسلت ضحكاتهم واتصلت أحاديثهم تغطى على الإرسال
المنبعث من تليفزيون شنطة لا يلتفت أيهم لعروض شاشته المنبعجة
.. ولما بدأ المذيع فى القاء النشرة الاخبارية امتدت يد أسكنته ..
وبقيت الرنات المرحية تدوى وحدها تحت لمبات الشرفة وقد امتدت
أنوارها الى السلم الحجرى بدرجاته الثمانى .. وإلى أحواض
الورد بالحديقة .. وإلى أشجار الليمون والمانجو المحملة بالثمار
فى نهايتها ..

ثم حدث الامر سريعاً بلا انتظار ..
اتضحت أصوات شجار لدى بوابة الحديقة .. وانفلت جسد
عملاق يتجه نحو السلم ووراءه البواب يصيح بكلمات غير مفهومة
.. واستدار الجسد ليسقط البواب على الأرض بلا حراك ..
فى حين عاد العملاق يرتقى السلم فى عجلة .. ووقف المضيف
وضيفه فى تردد ليدافعا عن زوجتيهما ضد خطر يجهلانه ..
تقدما فى مواجهة الجسد العملاق .. لكنهما سقطا كذلك كل الى
جانب .. وبقيت السيدتان .. مأخوذتين .. مسمرتين ..

لثوان ساد صمت دهر بأكمله ..
قطعه بعد حين همس بالغ الرقة والحنان ..
سلمى .. معبودتى ..
ردت إحدى السيدتين بلا وعى : نعم ؟
الا أن العملاق لم يتفوه بحرف .. فقط تقدم خطوة .. ركع ..
فى بطاء مد يدا كبيرة معروقة يقبض بها على أصابعها الرخصة ..
الصاغرة برغمها .. وانفجر يبكى وهو ينشج الما مرا .. علقما ..
وقد نسي كل ما حوله تماما ..
بعد دهر آخر استجمع الزوجان قواهما .. فتمكنا من القبض
على الجسد العملاق .. بلا جهد يذكر قيده الى واحد من الكراسى
الخيزران ..
ثم قاموا باستدعاء الشرطة ..



- اسمك ؟
- أنس باى داوودى ..
- أنس باى ؟
- داوودى ..
- سنك ؟
- ٢٨ عاما ..
- مهنتك ؟
- !
- ماذا تعمل .. أجب ...
- حضرتنا .. قائد عسكر .. رماة بنادق ...
- تعنى ضابط ...
- نعم ...
- ما هى اثباتات عملك كضابط ؟
- !!
- ألا تحمل مستندات .. بطاقة .. شهادة .. ترخيصا ..
- يمكن حضرتكم سؤال .. سعادتو جناب أمير كيرت بيك ..
- الوالى وأبو المفاخر والمعالي ..
- تقصد من ؟!
- أقصد جناب كيرت بيك .. أشجع فرسان .. وأعظم أمراء
هولة سلطان أشرف قانصوه غورى ..
- أنت ضابط فى جيش السلطان قانصوة الغورى ؟
- بكل تأكيد ..

حديق ضابطا الشرطة كل فى وجه صاحبه .. كان الموقف
هزليا فوق احتمالهما ...

كشر الاصفر سنا عن أنيابه محتدا : اتزن يا رجل .. لسنا
فمزح معك ...

تلفت الرجل الضخم الجثمان حوله فى حيرة ظاهرة .. مسح
شاربه الكثيف وطرف ذقنه المفلوج فى كثير قلق : حظرتنا ..
لا ينطق .. الا صدق ...

همهم الشرطى الاكبر سنا والبارز عظام الوجه بينما عيناه
تحاولان سبر غور محدثه ..

- وهل تريد منا أن نصدق كونك حيا موجودا بيننا الآن ..
بينما أنت تعمل فى نفس الوقت مع رجل .. أقصد سلطانا
توفى منذ أكثر من ٤٥٠ عاما ...

- لا .. أبدا .. سلطان حى يرزق ..

- بل مات منذ ٤٥٠ عاما مضت ...

- لا أفهم حظرتكم .. لا أفهمكم ..

- نحن الذين لا نصدق أقوالك ...

على أن الشرطى الاكبر سنا ألقى سؤالا عرضيا .. بريئا فى
مظهره ..

- ما هو تاريخ مولدك ؟

- والدانا رحمة الله واسعة عليهما .. رزقا بنا .. يوم

سابع من رمضان .. عام ٨٨٤ هجرية .. موافق عام ١٤٧٧
ميلادية ...



وفيما بعد .. وقد انقضى يومان من الاستجواب المضنى العقيم
.. فان اصرار الرجل لم يصبه الوهن .. وردوده الغامضة لم
تتغير ولم تتبدل ...

وجهه المحروق من لفح الشمس .. جبهته البارزة بحاجبين
كثيفين .. وشاربه .. الكث .. المدبب من طرفيه الى أعلى ..
كانت تنطق بالصمود .. وعدم التزعزع .. صوته المبحوح
الخافت .. ظل على حاله منذ البداية وحتى النهاية .. يردد
نفس الكلمات بنفس اللكنة التركية التى بطل استخدامها فى لغتنا
العامية ..

: وانه - أى أنس باى الداودى - ضابط فى عسكر السلطان
الملوكى الجركسى - الاشرف قنصوه الفورى - تحت رئاسة

القائد كيرت بيك .. وقد حدث أن انتهز أمير مملوكى ماجن يدعى برقوق مناسبة خروج السلطان على رأس جيشه وأمراء دولته من أرض مصر لمحاربة السلطان سليم العثمانى فى مرج دابق بالشام - وكان ذلك يوم السبت عام ٩٢٢ هجرية الموافق ١٥١٥ ميلادية - وانشغال رجلنا الداودى بمرافقة جيش الغورى الى بعض الطريق شرقا حتى الريدانية .. فقام برقوق وأعوانه باختطاف زوجة الداودى وتدعى سلمى - وكانت على درجة كبيرة من الجمال - وأخفاها سرا فى واحد من قصوره العديدة .. وأن الداودى - بعد بحث مضمن دام أياما بلياليها - عرف مكان القصر المخفأة بداخله سلمى بمدينة حلوان .. ضاحية القاهرة .. لذا فقد قصد حلوان وجال فيها حتى عثر على القصر وبه - سلمى زوجته - وهو يقسم انه وجدها نفس سلماه التى أحبها وأحبته وتزوجا منذ أكثر من عام مضى ،

- لكن .. كيف استبحت لنفسك أن تقتحم المكان عنوة ؟
- لأن زوجتى كانت سجينه فيه ..
- هى ليست زوجتك .. انها زوجة هذا السيد الواقف هنا ..
- سلمى زوجة حظرتنا ..
- والسيدة لم تكن سجينه بالمرة ..
- الجبان .. برقوق .. اختطف زوجتنا .. وسجنها أثناء غيبتنا فى مهمات قوميات رسميات ..

ولم تتغير قصة الداودى الغريبة .. البعيدة عن الفهم والادراك .. والتى لم يجرؤ واحد على تصديق حرف فيها من أصغر جندى بقسم الشرطة الى مأمور القسم ذاته ..

أيضا لم يتعرف أحد بالضاحية على المدعو أنس باى الداودى .. ولا أحد استدل على بيته الذى قال بتواجده فى نواحي بولاق .. وحتى أقاربه وأصدقائه اتضح أن جميع أسمائهم كانت وهمية .. أسطورية ..

فمن يكون الداودى .. الرجل الضخم البدن .. رفيع الساقين .. الذى يتكلم العربية العامية بلكنة تركية بالية .. ومن أين قدم ؟

مأمور قسم حلوان أحال الرجل الى الطبيب الشرعى .. والطبيب قرر جنونه بعد فحص افتقد العناية وأحاله بالتالى الى مستشفى الأمراض العقلية بالعباسية ..

الى هنا يكون الموضوع قد وصل الى خاتمة منطقية .. لكن
شخصا واحدا راوده الشك منذ البداية .. ولم تعجبه نتيجة
التحقيق فقد رآها لا تتفق ومابدا على نبرات العملاق وتغييرات وجهه
من صدق يصعب افتعاله ..

قرى .. ألا تحمل قصة الداوودى نواحي صدق بالمرة ؟

الشخص الشاك المتبرم كان هو المضيف زوج السيدة التى ناداها
الداوودى - ليلة الحادث - باسمها « سلمى » .. وكان أستاذا
لل فلسفة بالجامعة .. وصاحب مؤلفات وبحوث علمية عدة ..
وقبل كل شيء كان صاحب نظرة مدققة لا تخيب .. يزن الامور
بميزان عقله الدائب التساؤل والفحص والمقارنة .. ثم هو لم يكن
يتسرع عند ابداء رأى قاطع .. وقد تغلبت العاطفة على مشاعر
الاخرين أما هو فأبى عقله أن يكذب نبرات الصوت البريئة المخلصة
.. والملابس غير المألوفة التى ترجع الى عصر قديم ويندر الحصول
على مثلها حاليا .. كما حيرته للغاية مصادفة انطباق الاسم الذى
فاداه الرجل فاذا هو نفس اسم زوجته ..

لذا فقد صعب عليه أن ينفى قصة الداوودى كلية .. وببساطة
.. على الرغم من استحالة تأكيدها علميا .. وعمليا ..

حين انفرد صالح المصرى - أستاذ الفلسفة - بواحد من زملاء
مهنته وأسر اليه بموضوع الداوودى الغريب .. وجد بارقة أمل
.. فقد أشار عليه باستخدام جهاز كشف الكذب لاستخلاص
الاقوال الصادقة من الزائفة ومن هنا يمكن مجابهة المتهم بها ..
فبينهار .. وتعرف حقيقته ..

على أن الجهاز حين استخدم بعد أيام خمسة بناء على تصريح
من الجهة المختصة - وذلك أمر محير يبعث على الدهشة والتعقيد -
أعلن أن كافة ما يتفوه به الرجل الضخم الجثمان صادق وغير
مختلق ..

فهل أصاب الجهاز عطب ما !

وطوت صفحات الزمن شهرا .. شغل خلاله أستاذ الفلسفة
برعاية زوجته التى أثر تهجم الداوودى عليها بدرجة أذنت بالخطر
.. وهى سيدة رقيقة الطباع .. أميل الى الهدوء وصفاء السريرة
.. وطالما أسرت الكثيرين بعذب حديثها .. وحسن مجاملتها ..
وبضحكتها الجذلة المنطلقة من أعماق روحها لتلف أرواح سامعيها ..

واضطرب الزوج المحب الى مرافقة الزوجة الى الاسكندرية في
رحلة استجمام لاعصابها المرهقة تستغرق أسبوعين ..

وخلال نزهة بالاقدام على حافة الشاطئ الرملى .. وقد بللته
مياه البحر .. واخر أشعة للشمس تذوى فى الافق وراء الامواج
المتتالية فى رقابة .. وهدوء ..

طرات برأس صالح فكرة ..

ان شقيق زوجته باحث قدير تخصص فى تاريخ العصور الوسطى
وله مؤلفات فى عصر المماليك الجراكسة بمصر .. فلم لا يستشير
بشأن الداوودى والقصة الغريبة التى يصر على وقوع أحداثها
رغم بعد زمنها ..

وكان أول ما فعله عقب عودتهما من المصيف هو مقابلة شقيق
زوجته ..

الرجل المكتنز البعيد فى الشبه والطباع عن أخته والمقترب من
نهاية حلقة عمره السادسة بعامين وبضعة شهور ..

- واقعة مستحيلة من أساسها .. حسب التسلسل الزمنى
الذى تذكره ..

هكذا بادره شقيق زوجته بعد أن أنصت طويلا لكلماته اللاهثة ..
لكنه وبعد برهة من الصمت تطلع نحوه من خلف زجاج نظارته
الرمادى السميكة وتساءل ببطء ..

- لقد أرجعت توقيت خطف زوجة الداوودى الى زمن واقعة
خروج السلطان الغورى لمحاربة السلطان العثمانى سديم بمرج
دابق بالشام .. أليس كذلك ؟

أجاب صالح : هذا ما قاله الرجل بلسانه ..

انفجرت أسارير شقيق الزوجة الجادة : من حسن الحظ ..
لدى مخطوط للمؤرخ ابن أياس انتهيت من دراسته وتبويبه ..
يتحدث عن الواقعة وما جرى فى مصر بعدها .. بانماضة وشمول ..
وتناول شقيق الزوجة وريقات صفراء راح يتنقل بين سطورها
بسرعة حتى توقف عند ورقة تأكلت أطرافها وكادت حروف كلماتها
تطمس من البلى وقدم العهد ..

- أنصت يا صالح .. ان المخطوط يذكر اختطاف الامير برقوق
لزوجة قائد العسكر أنس باى الداوودى بعد أن شاهدها فى احتفال

هرس فاغرم بها .. وقد أخفاها فى قصره بخلوان فلما علم زوجها
بمكانها عجل برقوى بنقلها الى قصر آخر له مقام بمنطقة الغورية
.. غير أنها توفيت حزنا لفراق زوجها الداوودى الذى كانت
تبادل له حبا عنيقا ..

تساءل صالح فى لهفة : أهنك ذكر لثواها ؟

- انتظر لحظة .. أجل .. لقد دفنت .. بمقبرة .. بحوشة
خلف المسجد المعروف بجامع عرب اليسار بالقلعة .. والذى بناه
السلطان الغورى ..

- وزوجها ؟

- هنا فقط لمحة عابرة حول بحثه المتواصل عن الزوجة
المخطوفة ..

تمتم صالح مفتاظا : وشكله .. وصفه .. تاريخ وفاته ..
مكان دفنه ؟
- لا شيء يزيد ..

قال صالح بعصبية : على الاقل .. فقد أصبح يقينا انه كان
يعيش .. فى ذلك الزمن البعيد .. منذ ٤٥٠ عاما .. رجل يدعى
الداوودى .. من جراكسة المالك .. وربما اطلع الدعى الذى
تهجم علينا على قصة هذا الجركسى .. فصادت هوى فى نفسه ..
فاقتبسها ..



صمم صالح المصرى على تفقد الحوشة فى اليوم التالى ..
وقرر أن يصطحب شقيق زوجته .. لكن ظروف مرض الزوجة أخرته
يومين .. ثم جد جديد بفرار الرجل الذى يدعى انه الداوودى من
مستشفى الامراض العقلية بالعباسية .. غفل عنه ممرضوه فتسلل
الى حديقة المستشفى .. واختبأ فى سيارة التموين أثناء مغادرتها
المبنى فى طريق العودة .. ومرت اسبوع حفل باجراءات الامن التى
اتخذها صالح بسكنه بخلوان حتى لا تتكرر مأساة التهجم على
القاطنين بها .. وشدت الشرطة من يقظة رجالها حول الفيلا
وبأثناء الضاحية ومداخلها ..

وفى النهاية .. وجد صالح السانحة لاشباع فضوله ..

يوم الجمعة .. يمكنه استقطاع ساعة للذهاب الى الحوشة ..
عقب الصلاة فى مسجد عرب اليسار بالقلعة ..

ساعة تكفيه ليضع حدا لكل ما يعانیه من شك وقلق وحيرة ..
ساعة تكفيه لينبذ قصة الداوودي نهائيا من فكره ..



خلال سيرهما سويا بمحاذاة بناية المسجد في اتجاه خلفيته ..
سال شقيق الزوجة عن الجديد من انباء الرجل ؟

وقد أجابه صالح وهو يعرج في مشيته من عناء كدمة لحقت
ساقه اثر سقطته بالفيلة ان أحدا لم يره للآن .. وان الشرطة فقدت
اثره تماما ..

- وسلمى .. أختي ؟
- تحسنت صحتها في الآونة الاخيرة .. وبدأت تعاود زيارة
صديقاتها ..

وبلغا الحوشة .. لم يكن سورها قديما مهتما كما تصورا ..
هي تابعة حاليا لزماد المسجد .. وفي المبدأ فقد أبى الحارس
العجوز ذو العين الواحدة أن يفتح بوابته للغربيين .. منظرهما
الدال على الثراء ولهفتهما الواضحة على الدخول اثارا ريبته ..
غير أن الورقة النقدية الكبيرة التي دسها صالح في يده جعلته
يستعيز بالله من وساوسه ويفتح البوابة على مصراعيها للذين
لم يعرف فيهما أولا أنهما من مفتشي الآثار ..

بالداخل كان الاهمال والفوضى والانقباض تخيم ..
التكسية المهدمة .. الشجيرات اليابسة العارية .. الاتربة وخيوط
العنكبوت تكسو فجوات الحيطان .. كل ركن .. كان مهملًا يبعث
على القذى ..

تقدم صالح ورفيقه يتبعهما الحارس العجوز عن بعد وهو
يسعل بينما تدوس أقدامهم أوراق الشجر المتساقطة المتراكمة
وقد شاعت رائحة القدم .. تملأ أنوفهم .. تخدش بشرتهم ..
ولم يطل بحث صالح وشقيق زوجته ..

قبالتها وجداه واطنا .. مصنوعا من رخام رخيص ..
محفور في واجهته بخط فارسي متشابك « سلمى أنس باي الداوودي
- توفيت عام ٩٢٢ هجرية - قرينة قائد العسكر وحاجب حجاب
السراي - أمير السلاح أنس باي الداوودي المحمدي » ..

- ما هذا النقش على جانب المقبرة ؟

اقترب صالح من رفيقه وقد شغل بازالة الاتربة عن نقش لوجه
امرأة ..

- يا الهى ..

- سلمى .. زوجتى .. انه وجهها ..

- نفس شعرها المسترسل وخديها البارزين .. وذقنها الصغير
المربب ..

- مستحيل ..

- ونفس ثغرها الدقيق بشفتيه الرقيقتين ..

- مستحيل ..

- بل هى ملامحها بالتأكيد ..

- كيف يحدث التشابه المذهل بينهما .. بين سلمى المملوكية
وسلمى زوجتى .. وعلى هذه الدرجة من الانطباق كأنهما توأمتين
.. كيف .. كيف ..

الا ان احساس الرجلين بالضياح ازداد وتفاقم وبلغ ذراه حين
اتخذوا سبيل العودة بالمرور من تحت التغطية البالية الخالية من
النبات ..

فهناك فيما وراء قبر مهدم يجاورها .. بدا شاهد برتقالى اللون
ظهرت على طلائه حداثة العهد .. يلمع ساخرا .. وكأنه يبرز
من طبقات العدم لتوه ..

ودون قصد حطت عليه عيون الرجلين ..

وبلا معنى او هدف قرأت العيون الاربعة على الشاهد
البرتقالى .. كلمات ..

• انس باى الداوودى المحمدى - توفى عام ١٩٧٠ • ..

حلوان - ابريل ١٩٧١

حادث غامض

كانت كافة الدلائل تشير الى أن هناك شيئاً غير طبيعي قد حدث فجأة في تلك القاعدة النائية لارصاد الفضاء .. فقد سمعت مهمة انفجارين متعاقبين تتعالى من قلب القاعدة في وهدة الليل وقبل بزوغ الفجر بساعة .. ثم كانت تلك الطائرة العمودية التي صارت مع خيوط الضوء الاولى بالهبوط في القاعدة لتعاود التحليق على الفور في اتجاه المستشفى العسكري بوادي النطرون .. كذلك فقد تمت في الصباح المبكر مقابلة عاجلة بين رئيس القاعدة ووزير الطاقة النووية وأبحاث الفضاء دارت في سرية تامة بينهما ..

الا أن القاهرة التزمت طوال الثمانى والاربعين ساعة التالية صمتاً ثقيلاً فلم تصدر عن أجهزة الاعلام بها بادرة تشير من بعيد أو قريب الى ما جرى في القاعدة خلال ليلة حالكة الظلام قارصة البرد ..

ومع مطلع صباح اليوم الثالث تزايدت الهمسات حول حدوث أعمال تخريب في القاعدة أدت الى مقتل بعض العاملين فيها .. وعلى الاثر ردد المذيع في نشرة أخبار الثانية والنصف مساء صدور بلاغ رسمي من وزير الطاقة النووية وأبحاث الفضاء أعلن فيه استحالة حدوث أى عمل تخريبى من أى جماعة عدوانية من الاعداء لمنعة المكان المقامة عليه القاعدة ولاحكام الحراسة عليها بصفة مستمرة ليلا ونهارا .. وأنهى البلاغ كلامه بأن الامر برمته لم يزد عن انفجار محتويات معمل للمكثفات المستخدمة في مراقبة الاقمار الصناعية أثناء تجربة عملية كانت تجرى فيه .. وأن أحدا لم يقتل ..

لكن فى المساء انتشر نبأ يفيد مقتل عالم معروف بالذات ..
ثم استفحل النبأ بصورة أكيدة وراسخة ليحدد أن العالم الذى لقي
حرقه هو عالم الالكترونات الشاب سميح الفاضلى .. وتأكد
النبأ قرابة منتصف الليل بصفة شبه رسمية من أحد أطباء المستشفى
العسكرى بوادى النطرون .. على أن السلطات تجاهلت
الموضوع كلية هذه المرة ولم تعقب عليه بحرف .. حتى كاد الامر
بمرور الزمن وتراكم الاحداث الجارية بأنحاء العالم عليه أن يندثر
ويطويه النسيان ..



وبالفعل مرت ستة أعوام كاملة قبل أن يعثر على يومية هامة
سبق أن دونها أحد العلماء كان يعمل بقاعدة أرصاد الفضاء ثم
نقل الى المركز الكونى المصرى على ظهر القمصر .. فأتيج بذلك
لقطة محدودة من الناس أن يطلعوا فى النهاية على جلية الامر الذى
أوشك الزمن أن يمحوه من صفحاته ..



كانت اليومية معنونة بتاريخ ١٧/٢/١٩٩٩ ..

وقد بدأت سطورها بوصف شامل لقاعدة أرصاد الفضاء .. فهى
قاعدة عسكرية تحمل الرقم ١٢٢ وتقع على بداية طريق الصحراء
مصر / الفيوم لدى خروجه من العاصمة غربا حيث تستقر مبانيها
المزودة بنطاقين من الاسلاك الشائكة ونقط الحراسة ذات الكشافات
أعلى ربوة صخرية مكشوفة من جميع الجهات وتضم القاعدة
مجموعتين من المباني أولاها تتكون من عدد من الدور المتجاورة
ذات الطابق الواحد ترسم حدوة فرس يفتح ممر الدخول اليها
تجاه الغرب ومعظمها مبان سكنية وادارية ومخازن .. فى حين
تتكون المجموعة الثانية من بناءين صغيرين ملتصقين يقعان الى
الجنوب من حدوة الفرس ويعلوان بارتفاع أربعة طوابق ..

ويختص الشمالى منهما برصد الاقمار الصناعية وعمليات
غزو الفضاء التى تتم بواسطة الصواريخ بعيدة المدى .. أما
المبنى المجاور والاكثر تطرفا فى جنوبيته بالقاعدة فهو المخصص
لعمليات الاتصال مع الكواكب الاخرى - ذات الحضارة المشابهة -
عبر الفضاء الكونى والتى سبق أن أعدت من أجلها اتفاقية دولية
• تحرم التراسل الفردى عبر الفضاء مع حضارات كوكبية من أى

نوع ، وكانت مصر إحدى الدول التي وقعت على هذه الاتفاقية بمقر هيئة الأمم المتحدة الجديد في باريس .. وقد حدث الانفجاران في المبنى الجنوبي من البناءين المتصقين وليس في المبنى الشمالي منهما كما جاء في البلاغ الرسمي ..

وقد أكد صاحب اليومية في حرية تامة قد يزاح النقاب عنها عالميا ذات يوم أن السب الفعلي لكل ما قامت به السلطات من اجراءات ملتوية وصارمة لاختفاء الحقيقة وطمس معالمها انما يرجع الى مبلغ خطورة ما جرى يومذاك حيث يمكن التصريح في كلمتين بأن جمهوريتنا قد خرقت - برغمها - الاتفاقية الدولية بتحريم التراسل الفردي عبر الفضاء بطريقة مزعجة خرجت عن كل قدرة لديها ..

لكن كيف تم ذلك ؟

لقد بدأت المقدمات خلال ليلة مقمرة رطبة من أواخر العام المنصرم هي ليلة ١٩٩٨/١٢/٢٥ .. فقرابة منتصف تلك الليلة أحس أخصائي الارسال الالكتروني زاهر زيادة - وهو رجل قصير القامة تخطى عقده الرابع بعامين - أحس أرقا ملحا يعتريه فلم يجد مندوحة من التدثر بمعطفه واللجوء الى شرفة حجرته باستراحة الباحثين بالقاعدة ليشعل لفافة تبغ عليها تجلب النعاس الى عينيه .

ووسط ملايين حبات النجوم اللامعات وهي ترصع صفحة السماء التي أحالتها الأشعة القمرية الى اللون الازرقوازي لمح أضواء النافذة القصية بالطابق الرابع ..

ترى من الذي ظل ساهرا حتى هذا الوقت المتأخر من الليل .. أم أن أحدهم قد نسي اللببات مضاعة ؟

وعبر زاهر الفناء المليء بنبات الصخر التي نحتتها عوامل التعرية صوب البناء الجنوبي .. وارتفع به المصعد الى الطابق الرابع ليلج الحجرة المضاعة .. أجال بصره في عجلة خلال الاجهزة اللاسلكية المعقدة التي تملأ جوانبها .. وخيل اليه في المبدأ أن الحجرة خالية على أن مرأى القدمين البارزتين من أسفل جهاز بث الذبذبات اللاسلكية فائقة القصر والذي يشمخ بساريتيه النافذة من السقف الى الخارج دله على أن أحدا يجلس الى لوحة تشغيلها في استغراق شديد .. وربما في سبات عميق ..

- سميع .. انتبه يا سميع .. استيقظ ..

فتح سميع عينيه فى اعياء : انت !

- فيم انشغالك حتى هذه الساعة المتأخرة ؟

حملك سميع فى محدثه وهو يستعيد حواسه بسرعة : كنت أراقب
كوكبا جديدا اكتشفت وجوده منذ أيام وهو يعبر السماء على
مبعدة منا ..

نسائل زاهر وقد مد عنقه يحاول التفرس من خلال النفاذة
المفتوحة على اتساعها : كوكب جديد ؟

- كوكب دخیل على معلوماتنا الكونية .. وهو يمر حاليا تجاه
الحافة الجنوبية لمجرتنا المسماة بسكة التبانة أو حاوية المائة ألف
مليون منجم .. حيث يمكن رؤيته بالمنظار بين النجمين اللامعين
قنطورس أو قنطورب ..

زاد فضول زاهر : ترى من أين أتى .. وإلى أين يذهب !!

أجاب سميع فى نغمة متفلسفة : من اللانهاية واليها ..

ولكن .. أهنالك حياة على سطحه ؟

توجد حياة ..

- أعنى ما درجة حضارته ؟

عط سميع شفثيه ليهمس فى صوت جاف خلى من المعانى : لم
أتأكد بعد وان كنت أظن أن الكوكب ما يزال يرفل فى بدائية
مطلقة ..

هنا أطلق زاهر آهة عميقة وقال وهو يأخذ طريق عودته الى
الباب . معنى ذلك أنه كوكب متخلف يستحيل التفاهم معه .. اذن
فلا داعى لآخطار رئاسة القاعدة ليتخذوا أى اجراء دولى ..
لمخاطبته ..

- لا .. بالطبع لا .. فانه لن يسمح لنا بشيء كهذا ..

- تماما .. فالشروط حسب معلوماتك غير متوافرة فى هذا

الكوكب ..

اغتنب سميع ضحكة شيع بها زميله وردد فى سخرية : البنند
الثالث عشر من تحفظات اتفاقية الامم المتحدة بشأن التراسل
الكونى مع عوالم أخرى قصية .. يجب ألا تكون الدرجة

الحضارية على ثرى الكوكب البعيد الموجهة اليه رسالتنا الارضية
متخلفة باى حال من الاحوال عما يوازي بداية القرن العشرين
الماضى لدينا او متقدمة بدرجة ساحقة عن حضارتنا الحالية وحتى
لا يحدث ما لا تحمد عقباه من لبس أو ابهام تكون نتيجته القاء
نظرة غضبى علينا لا يمكن تحديد عواقبها ، فمما لاشك فيه أن
حتمية وجود أناس أنكياء أو مخلوقات عاقلة فى عالم آخر لانعرف
عنه شيئا يعد أمرا مؤكدا على الدوام وحينئذ فان الاتصال بهم
سوف يكون أعظم متعة يحسها انسان الارض منذ نشأته على ألا
يكون فى ذلك الاتصال طريق يؤدي لهلاكه ..



هكذا استمرت مراقبة العالم الشاب سميح الفاضلى للكوكب
الوافد من أعماق الفضاء تتزايد يوما وراء يوم وامتد النقاش مع
صاحبه دون كلل حول مظاهر الحياة على هذا الكوكب الذى يشق
طريقه عبر السماء فى اصرار عجيب ومدى أوجه التشابه بينها
وبين ما طرأ من تغيرات على وجه الارض منذ أزمنة قديمة ..
حتى كان ذلك اللقاء العاصف بين الاثنين يوم الثامن من يناير
١٩٩٩ .. فقد فوجيء زاهر بصديقه الشاب العسلى العينين يفتح
عليه حجرته عقب تناول الغداء ويخبره فى كلمات مقتضبة بأنه
عدل عن رأيه السابق وقرر أن يجرى فى السر اتصالا مع الكوكب
الدخيل وأنه يطلب مساعدته فى اتمام هذا الاتصال ..
فتمتم زاهر ملتاعا : لكنى لو جاريك فاننى أكون مشتركا معك
فى تكرار المأساة التى كادت تتسبب فى تدمير كوكبنا وفناء الحياة
من على سطحه ..

- تقصد توأم الازرق المتألق ؟

- أعنى اتصال الامريكان المتسرع به .. فمع أن الفرنسيين
هم أول من تحقق من وجود أناس عقلاء مفكرين يشبهوننا حضاريا
على ظهر الكوكب توأم الازرق المتألق الا أن علماء أمريكا وقد
بهرتهم قدرتهم التكنيكية المتفوقة سرعان ما قاموا منفردين
باتصالهم الاحمق بالكوكب القصى وبصورة استفزازية متعالية دون
أن يرجعوا فى تصرفهم هذا للعلماء الروس أو لعلماء أى دولة أخرى
.. فماذا كانت النتيجة ؟ ماذا كانت ؟

أكمل سميح فى استسلام : ظن سكان الكوكب أننا نزمع غزو
كوكبهم .. فأرسلوا اليينا على سبيل الانذار تلك القذيفة الهائلة

من الكوبلت والتي لولا عناية الله لاصابت أرضنا وأتت على ثلثها
في ثوان ..

على أن سميح انتشل مشاعره من وهدة الذكرى الاليمة وقال
في عتاب وهو يقذف بقطعة من اللبان المزوج بالنعناع الى فمه :
مالنا وما حدث منذ عشرين عاما .. لقد تمكنا من تفجير القذيفة
الموجهة اليها بصاروخ مضاد .. وانكشفت الغمة بالتفاهم مع
هؤلاء الذين يبعدون عنا بأحاد السنين الضوئية .. ثم انتهى
كل شيء بالاتفاقية الدولية لتحريم التراسل الفردي عبر الفضاء ..
وبات الموضوع تاريخا بعيدا .. وانما نحن الان بصدد محاولة
بربنة مع كوكب متخلف عنا .. وأنا أعدك بأن أجعل الاتصال
يقصر على المراقبة فقط وليس المخاطبة ..

حاول زاهر أن يثنى صاحبه عن فكرته الطائشة معددا له
العواقب الوخيمة التي قد يتعرض لها هو وزملاؤه .. بل والدولة
نفسها .. ولكن ذهبت توسلاته أدراج الرياح ..
وما كانت ساعات النهار تشد رحالها أمام حلقة الليل حتى
كان الاثنان يجلسان متقابلين الى الجهاز العملاق لارسل موجات
الانتقال الفكرى عبر الاثير بواسطة الذبذبات اللاسلكية فائقة القصر
التي يبتثها .. وتناول سميح القناع القائم المصنوع من رقائق معدن
لخفيف والمزود بواجهة زجاجية سميكة وسلكين عريضين لدى
الاذنين وآخر مزدوج لدى الفم والذي تزيينه مجموعة من المكثفات
وبؤرات الحساسية فأدخل فيه رأسه وثبت حافته السفلى حول
عنقه في تودة واحكام .. ثم رفع جبهته الى أعلى واسترخى ملقيا
بظهره وقفاه على المسند الجلدى المزود بوسائد الهواء المضغوطة
خلفه ..

وأعطى إشارة البدء ..

حينئذ جذب زاهر نفسا عميقا ملأ به صدره العريض واعتدل
في جلسته ليمد أصابعه الرشيقة يعزف بها على لوحة المفاتيح
ومؤشرات التحكم أمامه لحنا عويصا تركزت فيه ومضات الفضول
البشرى المتألقة أبدا تألق الحياة نفسها على مر الاف السنين ..

واضئبت لبة حمراء ..

وبوى أزيز المحركات الكهربائية ..

الدرجة ١١٧ م . ه . السرعة القصوى للابث اللاسلكى ،

واخذت الاجهزة تثن في رجرة ملحوظة بينما شحنات الكهرباء
تضوى عبر الانابيب الزجاجية والاسلاك الفليضة المعراة في ايقاع
يخطف البصر ..

• الكوكب في المواجهة .. منطقة جبلية تملأ مجال الرؤية •

لم برقت ومضة من الضوء في انفجار مباغت بين مكثفين
علاقين .. وبدأ وكأن قوى خفية متسلطة تسرى في عنف خلال
الصارية البارزة من السقف لتندفع بثقلها الى الخارج .. الى
الفضاء .. الى أعماق الكون .. انفجرت شفتا زاهر دون أن
يتحرك وجهه الجامد : نحن الآن على اتصال به ..

فامتدت أصبع تعرف طريقها جيدا .. وضغط على زر أسود
قصيرة ..

وسبحت الحجرة تلقائيا في ضوء أخضر ساحر ..

وتسلل صوت أجوف من اتجاه القناع وكأنه يأتي من قاع بئر
محيقة :

« اننى أقترّب منه أقترّب أكثر ان السحب المتراكمة
تغلّفه .. سحب ثقيلة داكنة .. آه .. هاذا اجتازها خلال
هبات متلاحقة من المطر الغزير والبرد المتكسر في جسم بيض
الدجاج .. لقد هبطت أكثر كثيرا اننى أرى كل شيء
بوضوح في هذه اللحظة انها منطقة صخرية وعرة تنبسط
بعض الشيء فيما يشبه واديا مقوسا يمتد بين جبلين أحدهما
سامق شاهق العلو .. اننى أقف على حافة الوادى بينما تتدافع
على مقربة منى سيول عارمة من المياه والثلج والطين وهى تفور
جارية كل ما يقابلها من الاحجار وكتل الصخر وبقايا أشجار
ضخمة وأجزاء من حيوانات عملاقة سبق أن اختفت مثيلاتها من
على وجه الارض ..

وأحاول عبثا العثور على مخلوقات تشبه الانسان .. اننى
لا أرى مخلوقا حيا حيث أقف .. فقط تطالعنى عن بعد أشجار
باصقة ضخمة ذات أوراق عريضة تتجمع في غابات متشابكة
تمتد بطول الوادى على يسارى .. ولكن مهلا .. فهناك على
الجانب الآخر من الوادى الملح حيوانات طليقة لها دروع تغلفها
وهى ترعى الكلا .. والمخ أعلاها بسفح الجبل فتحات غائرة في
الصخر .. انها كهوف مظلمة ..

وبغثة تدوى فرقة مخيفة .. وتبدا الجبال فى الانتفاض
والقراقرص وتغلى أرضية الوادى لتبرز فيها شقوق غائرة ..
.. انه الزلزال .. انها الطبيعة الثائرة غير المستقرة ..

ويندفع من الكهوف نفر من القردة المذعورة ..

لا .. معذرة .. انها ليست قردة .. انها مخلوقات متطورة
أقرب الى البشر .. انهم الحلقة المفقودة فى سلسلة التطور ..
انهم يعيشون منحنيين على قوائمهم الخلفية ويستعملون مخالب
قوائمهم الامامية كالايدى بينما تضوى فى أعماق أعينهم الغائرة
وتحت حواجبهم العريضة البارزة وجباههم المنحسرة نظرة ذكاء
هيرى .. انهم أقرب شبيها بالجايجانتوبيثيكس أو القردة العليا
العملاقة من أشباه الانسان التى ظهرت مع بداية عصر البلايستوسين
الاهلى من حقبة الحياة الحديثة بكوكب الارض .. وان كانوا
يختلفون عن الجايجانتوبيثيكس بانتماثلهم الى ازمنة أكثر قدما
وأكثر ابغالا فى البعد والانطواء .. قد تزيد عن أربعة ملايين عام
فهم لم يعرفوا بعد اللغة ولا النار ولا الزراعة ولم يتوصلوا لشيء
من أسلحة الدفاع عن النفس البدائية وهى أولى مقومات البقاء
والتصيد ..

انهم لم يتوصلوا لشيء اللهم الا لبعض العظام المنتزعة من
جثث حيوانات ميتة استخدموها فى أبعاد الكواسر عنهم .. أما
أهم الادوات اثارة وحيوية .. أما النار .. فلا يزال امامهم مايزيد
هن ثلاثة من ملايين السنين ليكتشفوها ..

على حين غرة سكث صوت سميع الاجوف المتسلل من ثنايا
القناع .. وبدأت واجهة القناع الزجاجية وقدحجبتها دخنة أنفاس
ساخنة .. بينما نضح رداؤه الصوفى بيقع داكنة متسعة من
العرق المتصبب برغم برودة الجو ... وفى بطء وثاقل رفع
سميح قامته وانحرف يميل يميناه تجاه لوحة المفاتيح قبالة صاحبه
.. وبدون أن يعي الآخر هدفه جذب ما يشبه السكين القصيرة ..
لم عاد فألقى بجسده بعنف خلفا كما كان ..

بهت زاهر .. لم يقو على التصرف كلية .. فقط أفلتت سبة
من بين أسنانه : مجنون ..

فى حين انطلق صوت سميع يعاود التسلل غائرا مخنوقا من
جديد :

« يا الهى .. كيف لم تراودنى هذه الفكرة من قبل ؟ كيف
غابت عني على عظمها وخطورتها ؟؟ ولكن ما يزال في الوقت متسع
..... لانفض عني جمودى أولا .. ثم لابحث عمن سأنفذ فكرتى من
خلاله .. هأنذا أتحرك فى لهفة .. اننى أقترب من جموعهم
.. اننى بينهم الان .. انهم ليسوا بالكثيرين .. هم قلة .. هم
قلة محدودة الافراد .. وأنا أرى واحدا منهم تبدو عليه مخايل
للزعامة أكثر من سواه .. اننى أدنو من هذا المخلوق الزعيم الذى
يمثل الحلقة المفقودة من أجسادنا فى أولى درجات سلم النشوء
والتطور البشرى .. اننى أشعر بلفح أنفاسه المتلاحقة تغمرنى
فى قسوة من بين فرجات أنيابه البارزة وأنا أدفع بموجات عقلى
من بين ثنايا شعره الكثيف المسترسل على كتفيه لتنفذ الى نرى
تلايف مخه المتقلص البدائى التكوين .. اننى أبذل جهدا فائقا
.. بل خارقا .. حتى أغلب خلايا الذكاء اليسيرة بمخه على
ما عداها من خلايا تفتقد النضج عبر صندوق الجمجمة العظمى
لدى المخلوق الزعيم ..

هل أحقق هدفى .. هل أنجح .. يبدو اننى سأوفق الى ذلك
فقد تحرك أخيرا فى كثير من التردد تجاه كومة دافية من الصخور
والزلط .. انه يخطو ببطء فى مشيته المنكفئة وقد تدلت ذراعاها
الطويلتان فوق فخذه القويتين .. ها قد توقف فى هذه اللحظة
.. متحيرا .. متجهما ..

هل ينكص على عقبيه ؟

حمدا لله .. لقد التقط زلطتين كبيرتين .. ثم جلس القرفصاء
قبالة جذع شجرة يابس .. وفى عزم أكيد ضرب الزلطتين كلا
منهما فى الاخرى فنتطايرت شرارات لها سمة من بريق الصواعق ..
واشتعلت النار فى جذع الشجرة اليابس ..

لقد تولد أول قبس من نار يقود أول زئد فى تاريخ الكوكب
المتخلف الوافد من أعماق الفضاء فقفزت بذلك النفخة الحضارية
على ثراه ثلاثة ملايين عام فى ثانية واحدة ..

غير أن أفراد القبيلة بغتة يتجمدون .. ثم اذا بهم يتفرقون
فرعا من معجزة النيران التى يرونها تتوهج ساخنة لافضة فى
وجوههم .. انهم يتصايحون فى زمجرة حيوانية حادة فيها القليل
من لغة التفاهم والكثير من هياج الجوارح حين تفقد وعيها ..

ثم ها هم يرتدون في غضب ليقبضوا على الزعيم .. يا للمسكين
.. انهم يدفعون به الى حيث الوهج المشتعل .. انهم يلقونه في
وحشية وسط الاتون ..

يا الهى ... اه .. اه .. اننى اكسوى معه داخل السنة
الدهيب ..

اننى أختنق .. أختنق ..

لكن مرحى .. فالنار ماتزال مشتعلة ولن تنطفئ ابدا بعد
ذلك .. ومنذ اللحظة ستنج النار لهم الحماية من الوحوش
والحيوانات المفترسة .. والدفع فى الاقامة والترحال .. وتكفل
لهم الوسيلة المثلى لاعداد الطعام .. كما أنها ستدفعهم قدما نحو
اولى خطوات صهر المعادن ..

اه .. اننى أشوى .. اننى أموت ..

لقد كانت أمامهم أعوام طويلة شاقة ليكتشفوها .. ليكتشفوا
النار .. لولاي .. لأضاعوها ..

الا أنه بفضلى ها هى الحضارة لديهم تقفز قفزتها الكبرى
فتتخطى ثلاثة ملايين عام من التخلف فى دفعة واحدة موفقة ..
اه ... اننى انتهى ..

ونحشرج صوت سميح وقد أمسكت نيران مبهمة فى ملابسه ..
واحتبست أنفاسه ياسا بينما صاحبه يحاول نزع القناع المنصهر
من على رأسه دون جدوى ..

وزاد اختلاج الرأس والقناع يتفتت من حوله .. ورائحة الحريق
تملا خياشيم زاهر فتثير غثيانه ..

وفجأة دوى انفجاران متعاقبان هذا البناء من أساسه فقد احترق
المكتفان الضخمان لازدياد الطاقة بهما .. فى الوقت الذى دوت
فيه صرخة ألم فظيعة .. صرخة ألم فيها عذاب أبدي ..

ومقط جسد يتلوى وهو يحمل أبشع صورة لوجب أكلته
النيران ..

وتوقفت اليومية ..

الدقى - يوليو ١٩٦٨
فازت بجائزة نادى القصة

فهرس

صفحة

٣	● امداء
٥	● حذار انه قادم
١٥	● لكى يختفى الجراد
٢٦	● رقم ٤ ٠٠ يا مكرم
٤٥	● نهر السعادة
٥٨	● عين السماء
٧١	● وجهان لقصة واحدة
٨٨	● القصر
١٠٥	● مندوبة فوق العادة
١٢٠	● ثقب فى جدار الزمن
١٣٢	● حادث غامض

كتب للمؤلف

١ - قاهر الزمن (رواية) • الناشر دار الهلال

٢ - رقم ٤ ٠٠ يأمركم (مجموعة قصص)
الناشر دار اخبار اليوم

تحت الطبع

١ - مرده المجال الثانى
(رواية علمية)

٢ - الماسات الزيتونية
(مجموعة قصص علمية)

٣ - امنعوا هذه النهاية
(رواية علمية)

٤ - سحرة الخيال العلمى
(مجموعة مقالات)

كتاب اليوم

يقدم...
هدية عام ١٩٧٥

سنة أولى السجن

بقلم الكاتب الكبير

الأستاذ مصطفى أمين

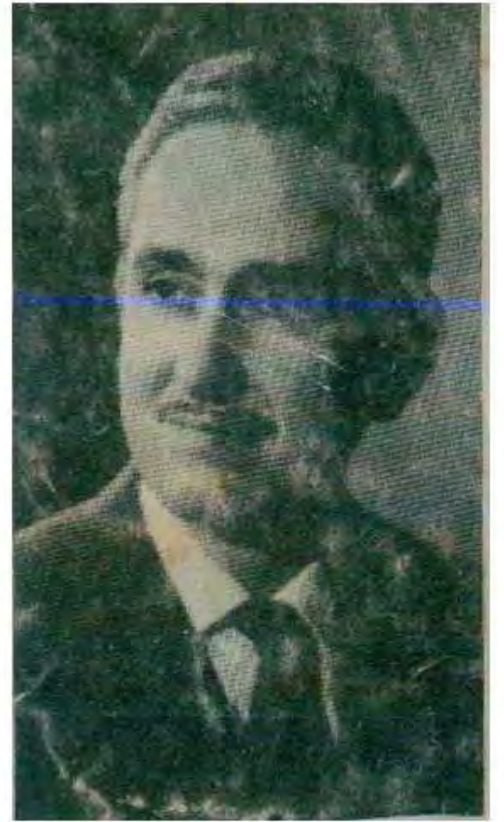
ماذا كان يحدث في السجن
أيام مراكز القوى..؟

لهدية أُنجز اليوم لقرار كتاب اليوم وطن
لم يتمكن من الحصول على الطبعة الأولى التي نفدت
فهذه أيام غم ضخامة كياترها (٣٠٠٠٠٠) قرشاً
وكان سعرها (١٠٠) قرشاً.

وسيقدم كتاب اليوم الطبعة الثانية
في نحو ٢٥٠ صفحة بسعر استثنائي

٢٠ قرشاً

اجز نستلك من الآن - مع لباقة ولا كسالة
يصدر أول يناير



« يضم هذا الكتاب عشر قصص علمية
منتقاة مما كتب الروائي القاص نهاد شريف من
قصص قصار خلال المئذونات الثماني المائتين ،
والتي تعلن عن احقيته وجد رقة كواحد من الرواة
المقلاص لهذا اللون العلمى الحديث على الينا
المعاصر .

ومجموعة نهاد شريف القصصية هذه تتضمن
ثلاث قصص سبق فوزها بجوائز مسابقات ندى
القصه . كما فاز صاحبها بجائزة الرواية الاولى
وميدالية يوسف السباعى الذهبية وكلمات بكاس
حسين القبانى الفضية . فى الوقت الذى اجمع
فيه النقاد على الاشادة بجهه كاتبنا الشباب
واصراره وتفانيه فى نشر الادب العربى الحديث
بتيار علمى طال الافتقار اليه .